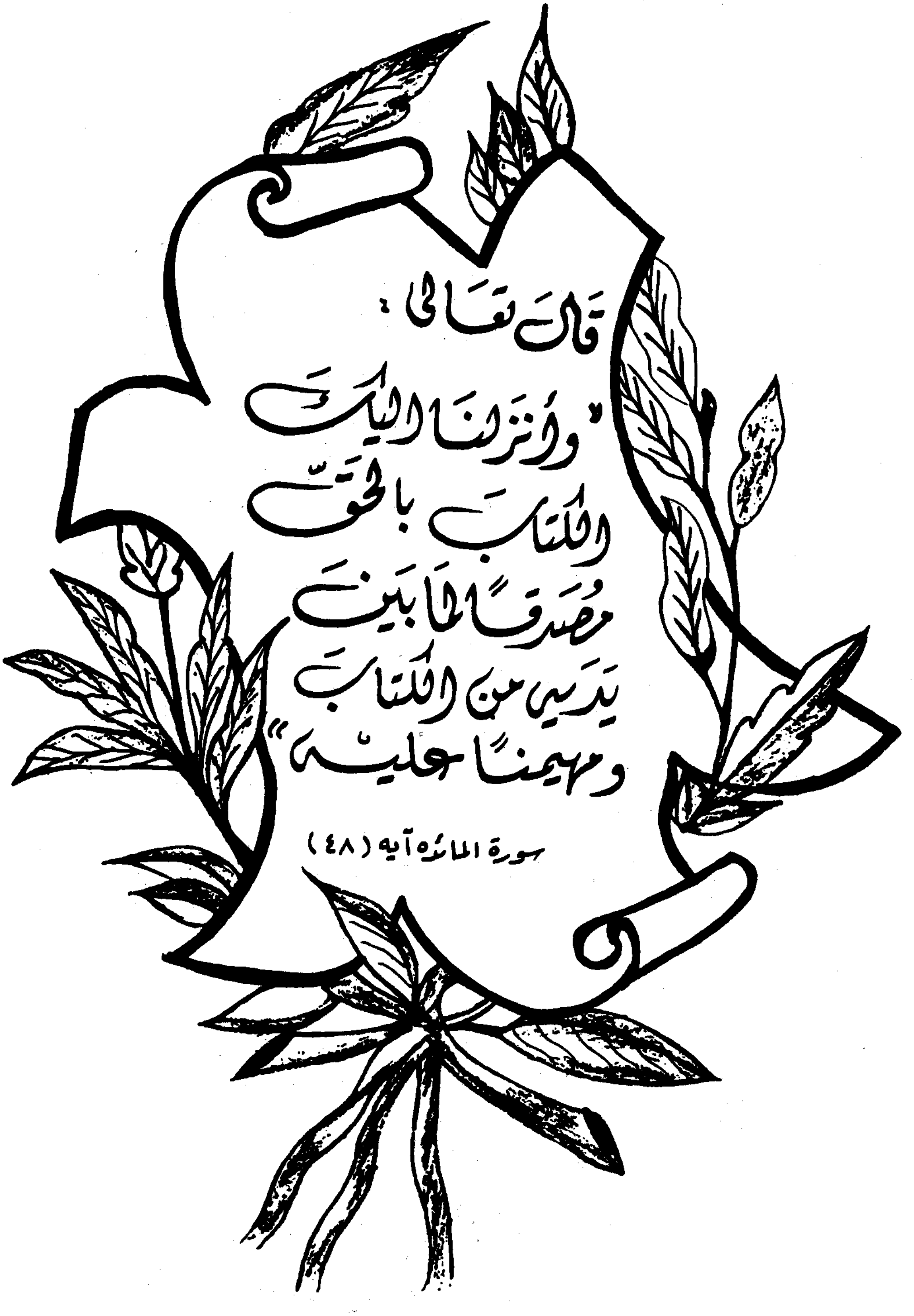
مَوقِف القرآن الكريم من التوراة

تأليف
إنشِراح أحمد عبد الله قراره

دار خضر
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب.: ١٣/٦١٤١
بيروت، لبنان


قال تعالى:
"وأنزلنا إليك
الكتاب بالحق
مصدقاً لما بين
يديه من الكتاب
ومهيمناً عليه"
سورة المائدة آية (٤٨)

مَوقِفُ القرآنِ الكَريمِ
مِنَ التوراة

الطَّبعَة الأولىٰ

١٤١٤هـ ١٩٩٤م

الإهداء ..

إلى نبع العطاء والأمان
ومصدر الحب والحنان
إلى من احترقت لتنير لي
درب حياتي

أهديها ...
أولى قطاف انتاجي
الفكري .

الباحثة

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله اللطيف بخلقه الذي أنار سبيل الهدى لعباده وعرفهم ثوابه وأليم عقابه والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات أجمعين قائد الغر المحجلين المبعوث رحمة للعالمين وخاتم الرسل والنبيين محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين. وبعد:

منذ أعلنت دولة الإسلام في المدينة وهي تتعرض لهجمات شرسة من أعدائها وبخاصة اليهود، ولقد حالت قوة الدولة الإسلامية الواحدة أمداً طويلاً دون التأثر بهذه الهجمات، إلا أن هذه القوة وهذه الوحدة انقضتا، وحانت الفرصة للكيد بأمة الإسلام وتحالف العدوان اللدودان سابقاً اليهود والنصارى لتحقيق ما لم يتمكنا من تحقيقه من قبل، وكانت الفتن، وكانت الفرق وتعددت معاول الهدم من بهائية إلى قاديانية ومن باطنية إلى خارجة ومن ماسونيه إلى ليونز إلى روتاري أسماء قد لا نتمكن من إحصائها على أننا إذ ما أعدناها إلى أصولها وجدنا أنفسنا أمام خطرين كبيرين:

الخطر الصهيوني، وخطر التبشير بالنصرانية.

أما الصهيونية الماكرة التي أخذت على عاتقها تحقيق هدفها العام المتمثل في الإطاحة بجميع الأديان فعملت جادة على:

(١) في كتابه الإسلام والدعوات الهدامة المخططات التلمودية، ص ١٠٩، نشر دار الكتاب اللبناني، الموسوعة الإسلامية العربية.

أ ـ تِحريف نصوص كتابهم المقدس بما يتواءم مع الفكر التلمودي المنحرف لتقوية الدوافع والحوافز النفسية الخفية لديهم.

ب ـ إقامة الجمعيات الماسونية وأندية الروتاري واستحداث أندية أخرى لها بالإضافة إلى الإندساس في الجمعيات الخيرية الوطنية خاصة في البلاد الإسلامية وفي الجمعيات الخيرية النسائية بالذات لنشر الإباحية والإنحلال الخلقي.

يقول الأستاذ أنور الجندي في هذه الأهداف:

تقوم مخططات أيديولوجية التلمود التي تقوم الماسونية بواجهة أساسية في تنفيذها على أهداف واضحة وهي محاربة الأديان بصورة عامة وبث روح الألحاد والإباحية بين الشعوب تقول المصطلحات: يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الدين لإزالة رجاله إن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعاً.

وهنالك الهدف الخاص لهذه الصهيونية الخبيثة وهو إبادة الدين الإسلامي بالذات وتقويض دعائمه وسحق جميع تعاليمه.

ويشير إلى هذا الأمر بصراحة الأستاذ الجندي إذ يذكر أن من أهداف هذه الصهيونية تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم الروحية والمعنوية وإثارة الشكوك حول المعتقدات وطرح فلسفات الشك.

إن تحريف اليهود للكتاب المقدس يرتبط إرتباطاً وثيقاً بتخطيط التلمود الذي يهدف إلى السيطرة على العالم والقضاء على سائر الأديان «إن هدف أيديولوجية التلمود هو إقامة امبراطورية الربا العالمية وقد رسم اليهود أهدافهم بدقة خلال منفاهم في بابل منذ ألف عام تقريباً حيث أعدوا مخططاً كاملاً للسيطرة على العالم والانتقام من الأممين ومن أجل هذا أجرى اليهود تحريفات كثيرة في كتبهم المقدسة ومنها برزت نقمتهم وأحقادهم فقد جشوها

بأفحش القول وأبشع الحقد على الأديان والأمم وضمنوها عديداً من التعليم الضالة والمبادىء . . . الحاقدة والقيم الفاسدة»[1] .

ثم يعرض الأستاذ الجندي لموقف اليهودية من الإسلام فيقول: «تحرص الأيديولوجية اليهودية على تطبيق شبهات الفكر الديني الغربي على الإسلام وذلك بغرض ضرب أكبر مقررات الإسلام وهو أنه دين ونظام ومجتمع فهي تستهدف أبعاد الإسلام عن المجتمع وإيقاع الخلاف بينه وبين العروبة وعزله عن الاقتصاد والقانون والتربية. تقف التلمودية اليهودية موقف المعارضة من منهج القرآن الإسلامي الرباني الذي يتمثل في الأخوة الإنسانية والحنيفية السمحة البعيدة عن العنصرية وإعلاء الجنس»[1] .

أما الهجمات التبشيرية التي يتعرض لها العالم الإسلامي من قبل النصرانية والتي تحاول أن تغزوه بشتى الوسائل والطرق حتى وصلت إلى هنا . . إلى مكة منبع الوحي والقداسة بواسطة أرقام صناديق البريد.

مما سبق يتضح لنا مدى الخطر اليهودي والمسيحي على الإسلام والمسلمين والفكر الإسلامي عامة الأمر الذي يتحتم معه ضرورة مواجهة هذه المخاطر. ومن ثم رأيت من واجبي أن أسهم بجهدي المتواضع في الكشف عن تحريفات اليهود للتوراة وبيان أن الوحي الإلهي المعصوم بريء مما يزعمونه في توراتهم المحرفة ومن ثم دعواتهم وذلك كله من خلال بحثي هذا «موقف القرآن الكريم من التوراة» .

وعلى هنا فإن من أهم أهداف هذا البحث :

أولاً ـ الكشف عن تحريفات التوراة لكونها النبع الأساسي الذي انطلقت منه الصهيونية الحاقدة على الأديان عامة وعلى الإسلام بخاصة.

ثانياً ـ بطلان دين النصارى لبطلان الجزء الأول[1] من معتقداتهم الذي

(١) المرجع السابق ص ٩٠.

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٣) هنالك من سبقني في إيضاح بطلان أناجيلهم المقدسة والتي تمثل الجزء الثاني أو العهد الجديد كما يزعمون.

هو (العهد القديم) وبذلك يمكن التصدي للهجمات التبشيرية التي يقومون بها والتدليل على مدى زيف هذا الدين المحرف.

٣ - إماطة اللثام عن التوراة الحقيقية التي أنزلها الله عز وجل على كليمه موسى - عليه السلام - وذلك بمحاولة جمع ما استطعت جمعه مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتكوين صورة واضحة عن التوراة الحقيقية التي أنزلها الله جلت قدرته وإيضاح البون الشاسع بين التوراة المنزلة والتوراة المحرفة.

هذا ومن خلال تناولي للأسفار الخمسة عمدت إلى كل سفر من هذه الأسفار فأوضحت أهم ما ذكر في كل إصحاح من إصحاحاته، وهذه نقطة لم يتناولها أحد من الباحثين قبلي فيما أعلم لأن جميع من قرأت لهم كانوا يتناولون السفر كله بصورة مجملة.

كما أنه لا توجد أيضاً فيما وصل إليه علمي أية دراسة سابقة تناولت موقف القرآن الكريم من التوراة بصورة تفصيلية شاملة، وكل ما عثرت عليه في الحقيقة من خلال بحثي العميق في الكتب والمراجع وهو مباحث جزئية متناثرة في. . العديد من الكتب والمؤلفات.

فمن الله وحده استمددت العون وبفضلهومنه وفقت في إكمال هذه الدراسة وإخراجها إلى عالم الوجود مصنفة إلى مقدمة وتمهيد ثم بابين وخاتمة.

وذلك على النحو التالي:

أولاً المقدمة:

أشرت فيها إلى أهمية البحث وأهدافه.

ثانياً: التمهيد: ذكرت فيه.

لمحة موجزة عن تاريخ بني إسرائيل في تلك الحقبة الغابرة من الزمن من حيث: نشأتهم - بنو اسرائيل في مصر - في سيناء - في فلسطين - في عهد القضاة - في عهد الملوك.

ثالثاً: الباب الأول «موقف القرآن الكريم من التـوراة المنزلـة». ويشمل خمسة فصول هي:

الفصل الأول: الوحي والكتب الإلهية.

الفصل الثاني: نزول التوراة.

الفصل الثالث: مضمون التوراة.

الفصل الرابع: هيمنة القرآن الكريم على التوراة المنزلة وتصديقه لها.

الفصـل الخامس: فضـل القـرآن الكـريم على التـوراة وسـائـر الكتب السماوية.

رابعـاً: الباب الثـاني «موقف القـرآن الكـريم من التـوراة التي بـأيـدي اليهود» ويشمل خمسة فصول هي:

الفصل الأول: أسفار التوراة وموضوعاتها.

الفصل الثاني: تدوين التوراة.

الفصل الثالث: تحريف التوراة.

الفصل الرابع: أدلة التحريف وشواهده.

الفصل الخامس: بواعث التحريف وأهدافه.

خامساً: الخاتمة: ـ

وأوضحت بها أهم النتائج المستقاة من البحث.

وأخيـراً أسأل الله العـون والسداد والثبـات على الحق أنـه نعم المـولى ونعم المجيب.

الباحثة

التمهيد
لمحة موجزة عن تاريخ بني اسرائيل

أتعرض في هذا التمهيد للمحة موجزة عن تاريخ بني اسرائيل في تلك الحقبة الغابرة من الزمن وقد آثرت إيراد العناصر التالية:

١ - نشأة بني إسرائيل.

٢ - بنو إسرائيل في مصر.

٣ - بنو إسرائيل في برية سيناء.

٤ - بنو إسرائيل في فلسطين.

٥ - عهد القضاة.

٦ - عهد الملوك.

١ - نشأة بني إسرائيل:

ينتسب بنو اسرائيل إلى نبي الله سيدنا يعقوب عليه السلام، فهو المسمى بإسرائيل والذي ولد ونشأ بأرض فلسطين، حيث استقر المطاف بجده سيدنا ابراهيم - عليه السلام - بها عقب عودته من مصر[١].

(١) سيدنا ابراهيم عليه السلام ولد بأرض الكلدانيين أو أور الكلدانيين من بلاد بابل ثم هاجر إلى حران من بلاد الشام ومن ثم إلى مصر ثم عاد بعد ذلك إلى بلاد بيت المقدس حيث استقر به المطاف هناك إلى أن قضى نحبه.

يقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١).

٢ ـ بنو اسرائيل في مصر: ـ

وقد ولد ليعقوب إثنا عشر ولداً وهم: سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وإخوته، ثم انتقل يعقوب وبنوه إلى أرض مصر بعد أن نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته، وحدثت مجاعة آنذاك كما رواها القرآن الكريم(٢)، واستقر بهم المقام هنالك في أفضل المناطق بمصر وأحسنها، وقد كان حكام مصر آنذاك من الهكسوس فلاقى بنو اسرائيل منهم كل إكرام وتبجيل غير أن الأمر لم يستقم على ما هو عليه إذ ما لبث أن زال حكم الهكسوس في حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد وتولت الأسرة التاسعة عشرة المصرية إدارة دفة الحكم في البلاد، وقد لاقى بنو اسرائيل منهم كل ذل وهوان وبخاصة في عهد رمسيس الثاني(٣)، فكانوا كما أشار القرآن الكريم مستضعفين يُقتل أبناؤهم وتُستحيا نساؤهم وهم لا يملكون حولاً ولا قوة، يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٤).

وغالب ظني أن هذا التغيير والإنقلاب في الحال لم يحدث لهم إلا بعد أن ابتعدوا عما كان عليه آباؤهم يوسف ويعقوب وإسحاق ـ عليهم السلام ـ يقول الله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ

(١) سورة العنكبوت آية ٢٧.
(٢) أنظر سورة يوسف في القرآن الكريم.
(٣) راجع تاريخ بني اسرائيل من خلال أسفارهم لمحمد عزة دروزه ص ٦٥، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م ملتزم الطبع والنشر المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت.
(٤) سورة الأعراف آية ١٤١.

وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2]

كما هي العادة، فقد اقتضت سنة الله في كونه أن يبعث لهم رسولاً فكان سيدنا موسى عليه السلام. وقد ذكر القرآن الكريم المجادلات التي حدثت بينه وبين فرعون مصر والتي انتهت بخروج بني إسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة موسى ـ عليه السلام ـ من مصر وغرق فرعون وجنده أمام أعينهم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ
إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ
أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ
وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ
وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا
هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ
وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾

(١) سورة الأنفال آية ٥٣.
(٢) سورة الرعد آية ١١.

رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ
ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ
أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا
مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا
هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ
مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا
فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾(١).

٣ - برية سيناء:

وقد سرد لنا القرآن الكريم قصة بني اسرائيل بعد هذا الخروج بصورة

(١) سورة الأعراف آية ١٠٣ - ١٣٦ .

تكشف عن طبيعة النفسية اليهودية وأفكارهم إذ لم يلبثوا إن رأو قوماً عبدة للأصنام فطلبوا من موسى ـ عليه السلام ـ أن تكون لهم آلهة محسوسة ملموسة كهذه حتى يعبدوها فنهاهم سيدنا موسى عن ذلك يقول تعالى:

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

ثم بعد ذلك تعجل موسى لقاء ربه فذهب للقائه بعد أن أمر أخاه هارون أن يقوم مقامه في قومه فانقلبت طائفة من بني اسرائيل وصنعوا عجلاً جسداً له خوار فعبدوه وقد أنبأ الله موسى بحال قومه ثم تاب الله عليهم وأمرهم بدخول فلسطين فتخاذلوا عن ذلك وخارت عزائمهم فضرب الله عليهم التيه في برية سيناء أربعين عاماً توفي أثناءها هارون وموسى[٢] ـ عليهم السلام ـ وذلك الجيل الخائر من بني اسرائيل.

حتى قيل[٣] إنه لم يدخل منهم سوى رجلين يوشع بن نون[٤] وكالب بن يوقنا[٥].

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٢) أنظر تاريخ الأمم والملوك المسمى بتاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ج ١ ص ٤٣٣ ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م إصدار دار سويدان بيروت. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ١١٢ الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ـ البداية والنهاية لابن كثير (الطبعة الثانية ١٩٧٧ م إصدار مكتبة المعارف ـ بيروت).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣١٨.

(٤) اسمه في اوصل هوشع ثم دعاه موسى يشوع، وهو ابن نون من سبط افرايم، ولد في مصر وكان خادم لموسى ثم عينه قائد لبني اسرائيل في معركة رفيديم وجعله خليفة له على بني اسرائيل بعد وفاته، انظر قاموس الكتاب المقدس تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص وفي اللاهوتين ص ١٠٦٨ الطبعة السادسة ١٩٨١ م من منشورات مكتبة المشعل بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط. =

(٥) كان رأساً لبيت أحد آباء سبط يهوذا وهو أحد الجواسيس الإثني عشر الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا على أرض كنعان وواحد من الاثنين الذين بقيا أمينين ليهوه منهم في جملة الاستيلاء على أرض كنعان. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٨.

٤ ـ بنو اسرائيل في فلسطين:

دخل الجيل الجديد من بني اسرائي أرض فلسطين من الجهة الشرقية بزعامة يوشع بن نون الذي قاتل الجبابرة[١] واستولى على أريحا[٢] وعدة مناطق من فلسطين وعبر نهر الأردن وقاتل من بقي من الكنعانيين[٣] وأنتصر عليهم[٤].

٥ ـ عهد القضاة: ـ

تولى أمور بني اسرائيل بعد يوشع قضاة منهم نشأوا فيهم واشتهروا بأعمالهم الحربية وبسالتهم فكانوا يفصلون الخصومات بين الشعب أيام السلم

(١) الجبابرة:
هم الأموريون وهم أول شعب سامي استوطن سوريا وأقام بها وقد أطلق عليهم جيرانهم السومريون اسم «أموريين» بمعنى الغرباء أو الغربيين وكانت عاصمتهم ماري الواقعة جنوب مصب الخابور وانتشروا بعد ذلك في لبنان وفلسطين وكانت أول إشارة لهم في عصر سرجون (حوالي ٢٢٥٠ ق.م) وجاء في سفر النبي عاموس (٢: ٩) أن قامة الأموريين كانت مثل قامة الأرز وأنهم أقوياء كالسنديان وتبدو قامات الأموريين من خلال المباني الأثرية الطويلة جداً.
أخذ من كتاب تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، لفيليب حتي ص ٧٠ ـ ٨١ ترجمة د. جورج حداد. عبد المنعم رافق الطبعة الثانية ١٩٧٥ م.

(٢) أنظر تاريخ ابن جرير الطبري ج ١ ص ٤٣٩ ـ ص ٤٤١ ـ انظر الكامل لابن الأثير ج ١ ص ١١٣ أنظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) الكنعانيين: ـ
الكنعانيون هم من عرب الجزيرة العربية وقد نزحوا منها الى فلسطين وبلاد الشام حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م واستوطنوها وهم أول من عرفهم التاريخ سكاناً لفلسطين وأطلق عليهم المؤرخون فيما بعد الفينيقيين وقد عرفت المنطقة التي سكنوا فيها باسمهم فاطلق عليها أرض كنعان وقد بنوا فيها مدناً وحضارة عظيمة.
من كتاب فلسطين قبل وبعد ـ ليوسف هيكل ص ٢ ـ ٣، الطبعة الأولى ١٩٧١ م مطابع دار الكتب ـ بيروت توزيع دار العلم للملايين.

(٤) أخذ بتصرف من كتاب تاريخ الإسرائيليين لشاهين بك مكاريوس ص ١٨ ـ طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠٤ م.

ويتولون الأحكام ويدفعون عنه شر الغزاة الذين كانوا يغيرون على البلاد من آونة لأخرى[1].

وقد بلغ عدد هؤلاء القضاة خمسة عشر وكانت مدة حكمهم بعد يوشع أربعمائة وخمسون سنة، يقول مكاريوس (كانت مدة حكم هؤلاء القضاة بعد موت يوشع ٤٥٠ سنة كانت البلاد فيها أشبه بشيء بولايات متحدة في كل ولاية سبط من الأسباط الأثنى عشر يحكمه كبار العشائر فيه وهذه الأسباط جميعاً مرتبطة برباط واحد أعني به عبادة الإله الواحد والاتحاد معه في دفع العدو المفاجيء أو رد الغزاة وكانوا يشتركون في الحفلات الدينية الكبرى على أنهم كثيراً ما ارتدوا عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام وفي التوراة أن ذلك كان سبباً لتسلط الأجانب عليهم فكان لهم من قضاتهم هؤلاء قواد يلمون شعثهم ويجمعون شملهم ويسيرون بهم إلى الحرب فيطردون الأجانب ويطهرون البلاد من الأرجاس والأنداس ـ ثم يصف حال هؤلاء القضاة فيقول ـ ولم يكن لهم شيء من امتيازات الملوك ولا أبهتهم، فإذا وضعت الحرب أوزارها عادوا إلى بيوتهم وعاد الشعب كل إلى مدينته أو قريته ومن القضاة من انحصر عمله في رد غارة أو دفع عدو ومنهم من تولى الحكم طوال حياته لحكمة فيه وخيرة ميزتاه عن بني عصره فاعترف له الاسرائيليون بالولاية وفزعوا إليه في فض مشاكلهم وحسم منازعاتهم فيقضي بينهم بحسب شريعة الله وبحسب ما يوحيه إليه التقليد والعقل السليم)[2].

غير أن هذه الحالة لم يستمر عليها بنو اسرائيل إذ أنهم لم يلبثوا أن طلبوا من آخر قضاتهم صموئيل أن ينصب لهم ملكاً فولى عليهم طالوت ملكاً وإلى هذه القضية يشير قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ

(١) أنظر المرجع السابق ـ ص ١٨.
(٢) أنظر المرجع السابق ـ ص ١٨ ـ ١٩.

عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا

هذا وقد ذهبت آراء المفسرين إلى أن النبي المراد في هذه الآية الكريمة هو شمويل معرب صموئيل عليه السلام[٢].

ومنذ هذا الحين انتهى عهد القضاة وبدأ عهد الملوك.

٦ ـ عهد الملوك:

بدأ هذا العهد سنة ١٠٩٥ ق.م وانتهى سنة ٥٨٨ ق.م[٣] بسبي اليهود وإزالهم ملكهم. وتولى الملك بعد طالوت داود ـ عليه السلام ـ الذي قاتل الجبارين وقتل عظيمهم جالوت، يقول تعالى:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[٤].

وقد اتسعت دولة بني اسرائيل في عهده وازدهرت وخلفه ابنه سليمان

(١) سورة البقرة آية ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٧٨ (ط. ت بدون) إصدار دار المعرفة للطباعة والنشر ـ تفسير الخازن للبغدادي الشهير بالخازن ج ١ ص ٢٥٤ (الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م ملتزم الطبع والنشر مطبعة البابي الحلبي ـ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير ج ١ ص ٣٠٠) الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م ـ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ـ تفسير روح البيان للبرسوي م ١ ج ٢ ص ٣٨١ ـ إصدار دار إحياء التراث العربي ـ تفسير روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ١٦٤ (ط الثانية) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. تفسير المراغي ـ للمراغي ج ٢ ص ٢١٤ (ط الثالثة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م) ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي..

(٣) أنظر كتاب تاريخ الاسرائيليين لشاهين بك مكاريوس ص ٢٠.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥١.

يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

وقد بنى سليمان الهيكل[2] وآتاه الله ما لم يؤت أحداً من العالمين يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾[3].

وقد توفي سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ سنة ٩٧٥ ق.م وخلفه ابنه رحبعام والذي لم يكن على قدر من الحنكة والسياسة فضعفت الدولة في عهده وانشقت إلى مملكتين.

(١) سورة النمل آية ١٦.

(٢) ذكر سفر الملوك الأول وصفا لهذا الهيكل جاء فيه (فبني سليمان البيت وأكمله وبنى حيطان البيت من الداخل بأضرع أرز من أرض البيت الى حيطان السقف وغشاه من داخل بخشب وفرش أرض البيت بأخشاب سرو...) وهو كما يزعمون بيت الرب يقول غوستاف لوبون (لم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح بل كان سياجاً مربعاً وبضم عدة أجنحة ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم فقد كان طوله حوالي مائة وأربع وعشرين قدماً وعرضه حوالي خمس وخمسين وارتفاعه حوالي اثنين وخمسين) وكان بناؤه فوق ربوة إلّا أنه لم يبق منه شيء الآن... إنظر اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٨، الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية.

(٣) سورة ص من آية ٣٤ ـ ٤٠.

أ ـ مملكة اسرائيل:

انشق عشرة أسباط عن رحبعام وكونوا لهم مملكة اسرائيل وجعلوا عاصمتها السامرة.

ب ـ مملكة يهوذا:

ظل مع رحبعام سبطا يهوذا وبنيامين ومنهم تكونت مملكة يهوذا والتي عاصمتها أورشليم[1] يقول ميكاريوس (وظلت مملكة اسرائيل في الوجود نحو مئتين وخمسين سنة، تولى عرشها في خلالها ٢١ ملكاً وفي سنة ٧٤٠ ق.م سبى تغلث فلاسر[2] ملك أشور الأسباط الساكنة شرق الأردن وهي رأوبين وجاد ومنسي وفي سنة ٧٢١ ق.م غزا سرجوا[3] ملك آشور مملكة اسرائيل فاستولى على السامرة وسبي الأسباط الباقية وأجلاهم عن أوطانهم إلى ما وراء الفرات وهكذا انقضى أجل تلك المملكة فلم يقم لها قائمة بعدها)[4].

وقد حاصر الأشوريون[5] مملكة يهوذا ولو لم يتفشى وباء بين الآشوريين

(١) أخذ بتصرف من كتاب تاريخ الاسرائيليين لمكاريوس ص ٢٥ ورد في كتاب مقارنة الأديان ـ اليهودية ـ لأحمد شلبي أن وفاة سليمان كانت عام ٩٣٥ ق.ك ـ ص ٨٦.

(٢) هو ملك أشور كان اسمه فول فلما تولى الملك لقب نفسه تغلث فلاسر العظيم ـ احتل أرض مملكة اسرائيل إلا أن ملك اسرائيل منحيم دفع له الضريبة فثبت ملكه له وترك أرض اسرائيل ورجع الى بلاده أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٩.

(٣) سرجون: هو ملك أشور وخليفة سلمناصر وأبو ستحاريب وقد كان ملكه من عام ٧٢٢ إلى ٧٠٥ ق.م ومعنى اسمه «الملك المقبت» وربما يكون قد اغتصب الملك لنفسه من شلمناصر. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٣.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٥) **الأشوريون:**

هم من الأقوام السامية التي استوطنت العراق وقد أسسوا امبراطورية قديمة قامت بغربي آسيا حول مدينة آشور الواقعة في أعالي نهر دجلة وجعلوا عاصمتهم فيها بعد كالاه ثم نينوي وفي القرن ٩ ق.م أقام آشور ناصر بال الثالث في ممتلكاته ادارة آشورية متماسكة وأخذ خلفاؤه اسلما نصر الثالث وبحلات بلسر الثالث وسرجون الثاني يبسطون سيطرتهم على منطقة الشرق الأدنى. وانتصروا على الكلدانيين وفتحوا مصر ثم بعد ذلك تدهورت ممتلكتهم في حوالى عام ٦١٠ ق.م وآلت الى الامبراطورية الفارسية.

لقضى على مملكة يهوذا نهائياً، وقد استشرى الضعف في دولة الآشوريين حتى دمر الميديون[1] في سنة ٦١٢ ق.م العاصمة الآشورية (نينوا) فثار ملك يهوذا مستغلاً للفرصة في سنة ٦٤٠ ـ ٦٠٩ ق.م إلا أن الملك المصري نيخوا أخمدها.

وقد تقاسم الكلدانيون[2] في بابل مع الميديين الامبراطورية الآشورية فكانت سوريا وفلسطين من نصيب بختنصر الذي غزا مملكة يهوذا سنة ٥٩٧ ق.م وحمل معه ملكها وعشرة آلاف أسير إلى بابل وجعلها تابعة لامبراطوريته إلا أن عامله عليها (زيد يكياه) قام بثورة فعاد بختنصر مرة ثانية إليها وحطمها نهائياً وبخاصة القدس سنة ٥٨٧ ق.م وسبي الكثير من سكانها

= انظر الموسوعة العربية الميسرة ـ ص ١٦٧، بإشراف محمد شفيق غربال ـ إصدار دار الشعب القاهرة ـ ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

(١) **الميديون:**
هم من قبيلة المعينين الذين سكنوا فلسطين ويرجعون في أصولهم الى الدولة المعينية التي هي من أقدم الدول العربية في التاريخ والتي كانت قد نشأت في اليمن في الألف الثالث قبل الميلاد على رأى بعض المؤرخين وإلى هؤلاء ينتسب الميديون الذين استوطنوا الأراضي الواقعة ما بين مصر وفلسطين الى بئر السبع والحجاز وإلى الشرق والشمال الشرقي من البحر الميت وبعضهم نزل في جهات طبريا واستقر بها.
وقد عاش الميديون مع الكنعانيين في هذه البلاد واختلطوا بهم واكتسبوا بعض عاداتهم وكانت لهم تجارة مع لبنان وفلسطين ومصر.
أنظر فلسطين قبل وبعد ـ ليوسف هيكل ـ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) **الكدانيون:**
هم آخر موجة من الموجات السامية البائدة التي سكنت العراق واستقرت في منطقة الفرات الأوسط وسميت باسمهم فأصبحت تسمى كلدية وقد قويت شوكتهم تدريجياً حتى شملت جميع أراضي الهلال الخصيب بجزئيه الشرقي والغربي كان أشهر ملوكهم بختنصر الذي حكم ما بين ٦٠٤ إلى ٥٦١ ق.م وهو الذي نفى اليهود إلى بابل بعد أن دمر أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م أنظر التاريخ العربي القديم والسير النبوية للصف الأول المتوسط ص ٧٠ (الطبعة الثامنة ١٤٠٦ هـ).

وقد انتشر اليهود بعد هذه الحادثة في الأرض وبهذا تكون مملكة يهوذا قد انتهت بعد أن عاشت نيفا و١٣٠ سنة بعد سقوط أختها اسرائيل[١].

وبعد هلاك (بختنصر) والملك الذي فوقه وهو (لهراسب) تولى ولده (بشتاسب بن لهراسب)، وقد بلغه عن بلاد الشام أنها خراب وإن السباع قد كثرت فنادى في بني اسرائي الذين كانوا آنذاك بأرض بابل من أراد الرجوع إلى الشام فيرجع وجعل لهم ملكاً من آل داود وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها وظلوا بها حتى ظهر عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف[٢][٣].

(١) مقتبس من كتاب تاريخ فلسطين لظفر الإسلام خان ص ٥٦ ـ ٥٩ (ط الثالثة ١٤٠١ ـ ١٩٧١) إصدار دار النفائس ـ بيروت.

(٢) ملوك الطوائف:

هم من وزع الاسكندر فيليبس المقدوني مملكته الشاسعة عليهم وذلك لأنه لما تغلب على ملك الفرس دار ابن دارا وأذل مملكته وخرب بلاده ومزق شمل الفرس أراد أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ولا يلتئم لهم أمر فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في إقليم من أقاليم الأرض ما بين عربها وأعاجمها فاستمر كل ملك يحمي حوزته ويحفظ حصته ويستغل محلته فإذا هلك قام ولده من بعده أو أحد قومه واستمر الأمر كذلك قرابة خمسمائة عام حتى أزال هذه الممالك ازد شيرين بن بابك من بني ساسان وابنه سابور من بعده.

انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) أخذ بتصرف من البداية والنهاية لابن كثير ج ٢/ ص ٤٢.

الباب الأول

موقف القرآن الكريم من التوراة المنزلة

الفصل الأول : الوحي والكتب الإلهية .

الفصل الثاني : نزول التوراة .

الفصل الثالث : مضمون التوراة .

الفصل الرابع : هيمنة القرآن الكريم على التوراة المنزلة وتصديقه لها .

الفصل الخامس : فضل القرآن على التوراة وسائر الكتب السماوية .

تمهيد

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبينا ورسولنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وهو وإن كان غنياً عن التعريف إلا أن البحث العلمي يقتضينا أن نذكر التعريف الذي ذكره العلماء للقرآن الكريم، فهو كلام الله تعالى المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

أما التوراة المنزلة فيراد بها ذلك الكتاب السماوي الذي أنزله الله عز وجل على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

ولما كان الحديث عنها هو موضوع بحثنا، فإننا نرجيء البحث التفصيلي إلى الفصول التالية والتي يتضمنها هذا الباب، وهي:

الفصل الأول ـ الوحي والكتب الإلهية.

الفصل الثاني ـ نزول التوراة.

الفصل الثالث ـ مضمون التوراة.

الفصل الرابع ـ هيمنة القرآن الكريم على التوراة المنزلة وتصديقه لها.

الفصل الخامس ـ فضل القرآن على التوراة وسائر الكتب السماوية.

الفَصلُ الأول

الوَحي والكتُب الالٓهيّة

الوحي

تعريف الوحي: -

الوحي لغة: -

لقد ورد الوحي في كتب اللغة بعدة معان، فيقال للإشارة وحياً وللكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال وحيت إليه الكلام وأوحيت ووحي وحيا وأوحى أيضاً أي كتب.

قال العجاج:

حتى نحاهم جدنا والناحي　　　لقدر كان وحاه الواحي

والوحي المكتوب والكتاب أيضاً وعلى ذلك جمعوا فقالوا وَحي ووُحي مثل حَلىٍ وحُلىٍ قال لبيد:

فمدافع الريان عُري رسمها　　　خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

أراد ما يكتب في الحجارة وينقش عليها وفي حديث الحرث الأعور قال علقمة قرأت القرآن في سنتين فقال الحرث القرآن هين الوحي أشد منه أراد بالقرآن القراءة وبالوحي الكتابة والخط، يقال وحيت الكتاب وحياً فأنا واح[1].

(1) انظر لسان العرب ج ٢ ص ٢٥٧ إصدار دار صادر بيوت، تاج العروس ج ١٠ ص ٣٨٤ (الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ) بالمطبعة الخيرية الناشر مكتبة الحياة، محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ص ٩٦١ طبع مؤسسة جواد للطباعة الناشر مكتبة لبنان قطر الميحط لنفس المؤلف السابق ج ٢ ص ٢٣٥٦، (نقلاً عن طبعة ١٨٦٩) الناشر مكتبة لبنان، الوحي المحمدي

أما الوحي شرعاً: فيعرف الوحي بالمعنى المصدري أو بالمعنى الحاصل بالمصدر. .

ومثال الأول: ما ذكره الدكتور دراز(١) بهذا الشأن إذ عرفه بأنه إذا أطلق في لسان الشرع انصرف إلى ذلك التعليم السري الصادر من قبل الله تعالى الوارد إلى الأنبياء عليهم السلام، فهو أخص من المعني اللغوي بخصوص مصدره، ووافقه عليه صاحب كتاب وحي الله إذ قال (هو إلقاء الله الكلام أو المعني في نفس الرسول بخفاء وسرعة)(٢).

ومثال الثاني: ما عرفه به الإمام البدر العيني(٣) بأنه (كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه).

وتابعه على هذا الشيخ محمد رشيد رضا(٤) إذ قال (ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة وهما الخفاء والسرعة، فهذا معنى المصدر ويطلق على متعلقه وهو ما وقع به الوحي: أي اسم المفعول وهو ما أنزله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم).

وكذلك ورد في القاموس بنفس المعنى فقيل عنه (غلب الوحي فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله تعالى)(٥).

= لمحمد رشيد رضا ص ٤٣ الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م الناشر المكتب الإسلامي بيروت، أنظر عمدة القاريء شرح صحيح البخاري للعلامة البدر العيني ج ١ ص ١٤ نشر دار إحياء التراث العربي، المختار من كنوز السنة لمحمد عبد الله دراز ص ١ الطبعة الثالثة نشر مدير الشئون الدينية بقطر.

(١) أخذ بتصرف من كتابه المختار من كنوز السنة النبوية ص ١ - ٢.

(٢) لحسن ضياء الدين عتر- ص ٥١. الناشر إدارة الصحافة والنشر بمكة المكرمة.

(٣) من كتابه عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ١ - ص ١٤، انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٨٣ (الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) إصدار دار إحياء العلوم بيروت.

(٤) في كتابه الوحي المحمدي ص ٤٣. (الطبعة التاسعة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م بيروت) الناشر المكتب الإسلامي.

(٥) أنظر قطر المحيط للمعلم بطرس البستاني جـ ٢ ص ٢٣٥٦. وانظر قاموس محيط المحيط لنفس المؤلف السابق ص ٩٦١.

الوحي عند الفلاسفة:

إن للفلاسفة رأياً خاصاً في الوحي إذ يرون أنه كلام يفيض على النفوس من العقل الفعال أو من غيره وبناء على ذلك يرون أن الكلام الذي سمعه موسى عليه السلام إنما كان من داخل نفسه ولم يسمعه من الخارج.

يقول ابن سينا عن الوحي في الرسالة العرشية: -

«فوصفه بكونه متكلماً لا يرجع إلى ترديد العبارات ولا إلى أحاديث النفس والفكرة المتخيلة المختلفة التي العبارات دلائل عليها بل فيضان العلوم منه على لوح قلب النبي ﷺ بواسطة القلم النقاش الذي يعبر عنه بالعقل الفعال والملك المقرب هو كلامه.

فالكلام عبارة عن العلوم الخاصة للنبي ﷺ والعلم لا تعدد فيه ولا كثرة. [وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر][1] بل التعدد إما أن يقع في حديث النفس أو الخيال والحس.

فالنبي ﷺ يتلقى علم الغيب من الحق بواسطة الملك، وقوة التخيل تتلقى تلك وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة وتجد لوح النفس فارغاً فتنتقش تلك العبارات والصور فيه فيسمع منها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الوحي لأنه إلقاء الشيء إلى النبي بلا زمان فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقي والملقى كما يتصور في المرآة المجلوة صورة المقابل فتارة يعبر عن ذلك المنتقش بعبارة العبرية وتارة بعبارة العرب فالمصدر واحد والمظهر متعدد فذلك هو سماع كلام الملائكة ورؤيتها وكلما عبر عنه بعبارة واقترنت بنفس الصور فذلك هو آيات الكتاب وكلما عبر عنه بعبارة نقشية فذلك هو أخبار النبوة[2].

(١) سورة القمر آية ٥٠.

(٢) نقلاً عن كتاب ابن تيمية السلفي لمحمد خليل هراس ص ١١٣ - ١١٤ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م إصدار دار الكتب العلمية.

أنواع الوحي

الوحي ضربان لا ينفك عنهما، فإما أن يكون وحياً بالمعنى دون اللفظ وإما أن يكون بهما معاً، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل الزهري، سئل عن الوحي فقال (الوحي ما يوحي الله إلى نبي من الأنبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثاً ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه)[2].

ويبدو أنه يعني بقوله (لا يتكلم به) في القسم الثاني الذي هو السنة أنه ليس مثل القرآن في التعبير عنه بأنه (كلام الله) لأن هذا الإطلاق يدل على أن اللفظ والمعنى من الله تعالى وليست السنة كذلك، إذ المعنى فيها من الله واللفظ من الرسول ﷺ. ولذا جاء في النص المذكور أن الرسول (يحدث به الناس حديثاً) أي يعبر عن المعنى الموحى إليه من الله باللفظ والعبارة من عنده، ولذا اشتهر التعبير عن السنة القولية بأنها حديث رسول الله ﷺ وكلامه.

وفي ذلك يقول ﷺ (ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه)[3].

(١) سورة النجم آية ٣ ـ ٤.

(٢) أنظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٤٤ (ط الرابعة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م) إصدار شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣٠ ـ ١٣١، (الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م).

إن القرآن الكريم كلام الله أوحى به إلى رسوله ـ ﷺ ـ بلفظه ومعناه فتكون نسبته إلى الله تعالى مباشرة فيقال ﴿قال الله تعالى﴾، أما الحديث النبوي فهو قسمان، قسم توقيفي وهو الذي تلقى الرسول ـ ﷺ ؛ مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه، وهذا القسم وإن كان مضمونه منسوباً إلى الله فإنه ـ من حيث هو كلام ـ حرى بأن ينسب إلى الرسول ـ ﷺ ـ لأن الكلام إنما ينسب إلى قائله وإن كان قد تلقى المعنى من غيره.

والقسم الثاني توفيقي وهو ما استنبطه الرسول ـ ﷺ من فهمه للقرآن لأنه مبين له أو استنبطه بالتأمل والاجتهاد وهذا القسم يقره الوحي إن كان صواباً ويصححه إن وقع فيه خطأ، وليس هذا القسم من كلام الله قطعاً، والقرآن جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت أما الأحاديث النبوية فمنها الصحيح والحسن والضعيف والقرآن الكريم معجز في اللفظ والمعنى ومتعبد بتلاوته أما الأحاديث النبوية فليست كذلك(1).

طرق الوحي:

للوحي إلى أنبياء الله ورسله طرق عدة متضمنة في طريق التكليم الإلهي للبشر وقد ذكرها الباري جل شأنه في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾(2).

وقبل أن أذهب إلى التفصيل في هذه الطرق أود أن أوضح العلاقة بين

= طبع ونشر المكتب الإسلامي بيروت، ورواه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب لزوم السنة ج ٤ ص ٢٠٠ بلفظ الكتاب وليس بلفظ القرآن، نشر دار إحياء السنة النبوية.

(1) أخذ بتصريف من كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان، ص ٢٦/ ٢٧ (ط الثامنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م) ـ إصدار مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

(2) سورة الشورى آية ٥١.

الوحي والتكليم وقد كفاني المؤونة في هدا شيخ الإسلام ابن تيمية[1] إذ قال: وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام في كتاب الله فيهما عموم وخصوص فإذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية ـ ما كان لبشر أن يكلمه الله ـ واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾[2] وأما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل، كما قال تعالى لزكريا ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[3] ثم قال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾[4] فالإيحاء ليس بتكليم ولا يناقض الكلام، وقوله تعالى في الآية الأخرى ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[5] أن أجعل معنى الاستثناء منقطعاً اتفق معنى التكليم في الآيتين، وإن جعل متصلاً كان التكليم مثل التكليم في سورة الشورى، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[6] وهو التكليم العام.

وقد تبين أنه أنما كلم موسى تكليماً خاصاً كاملاً بقوله ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ مع العلم بأن الجميع أوحي إليهم وكلمهم التكليم العام، وبأنه فرق بين تكليمه وبين الإيحاء إلى النبين، وكذا التكليم بالمصدر وبأنه جعل التكليم من وراء حجاب قسماً غير إيحائه وبما تواتر عن النبي ﷺ وأصحابه من تكليمه الخاص لموسى منه إليه وقد ثبت أنه كلمه بصوت سمعه موسى

(١) أخذ ببعض التصرف من كتابه مجموع الفتاوي ج ١٢ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ـ إصدار رئاسة إدارة البحوث العملية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض.

(٢) سورة طه آية ١٣.

(٣) سورة مريم آية ١٠.

(٤) سورة مريم آية ١١.

(٥) سورة آل عمران آية ٤١.

(٦) سورة الشورى آية ٥١.

كما جاءت الآثار بذلك عن سلف الأئمة وأئمتها موافقة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وفي بيان هذه الآثار يقول طيب الله ثراه «وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وإن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاماً لغيره، لا جبريل ولا غيره وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم فالصوت المسموع من العبد صوت القاريء والكلام كلام الباريء»[1].

والآن وبعد إيضاح العلاقة بين التكليم والوحي نأتي لتفصيل طرق الوحي الخاصة بالأنبياء والتي ذكرتها الآية القرآنية ضمن التكليم الإلهي للبشر فأول هذه الطرق كما ورد في الآية هو:

أولاً ـ التكليم وحياً ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[2]، والوحي المقصود به هنا هو الإلقاء والقذف في القلب في اليقظة أو في المنام، ومثال الأول: إيحاء الزبور إلى سيدنا داود عليه السلام فقد ألقى عليه في اليقظة كما روى عن مجاهد (أوحي الله تعالى الزبور إلى داود عليه السلام في صدره)[3].

وأما الثاني: فمثاله رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام حينما رأى أنه يذبح ابنه اسماعيل في المنام، قال تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى

(١) أنظر المرجع السابق ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥.
(٢) سورة الشورى آية ٥١.
(٣) أخذ ببعض التصرف من كتاب العقيدة في ضوء القرآن الكريم للدكتور صلاح عبد العليم ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ (الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م) مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع.

﴿ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وكذلك ما ورد في حديث السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ إذ قالت: (أول ما بدىء به رسول الله ـ ﷺ ـ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)[2].

وذكر ابن عباس وعبيد بن عمير وغيرهما (رؤيا الأنبياء وحي)[3].

ثانياً ـ التكليم من وراء حجاب: (أو من وراء حجاب)[4].

وهو أن يكلم الله نبيه مباشرة بلا واسطة مبلغ فيسمع النبي كلامه دون أن يدرك سبحانه بالأبصار كما وقع هذا لسيدنا موسى عليه السلام حيث قال تعالى:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[5] وخاطبه بقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[6].

فهذا يدل على استماع النبي لكلام الله تعالى كما يدل على أن هذا الطريق يسمى وحياً.

ولقد وقع هذا الوحي أيضاً لسيدنا محمد ـ ﷺ ـ في معجزة الإسراء والمعراج حينما عرج به إلى السماء.

(١) سورة الصافات آية ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ ج ١ ص ٣، (طبع على وفق النسخة السلطانية سنة ١٣١٣ هـ) دار إحياء التراث العربي.

(٣) صحيح البخاري في كتاب الوضوء باب التخفيف في الوضوء ج ١ ص ٤٧.

(٤) سورة الشورى آية ٥١.

(٥) سورة النساء آية ١٦٤.

(٦) سورة طه آية ١٣.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1][2].

ومصداق هذا ما ورد في حديث الإسراء من قوله ـ عليه السلام ـ (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ـ ففرض الله على أمتي خمسين صلاة... الحديث)[3].

ولسوف نتناول هذا الأمر فيما بعد حينما نتكلم عن موسى ـ عليه السلام ـ وتلقيه للتوراة إن شاء الله تعالى في فصل لاحق.

ثالثاً ـ التكليم بواسطة الرسول الملكي: (أو يرسل رسولاً فيوحي بإنه ما يشاء)[4] وهذا الطريق على ثلاثة أضرب.

أ ـ أن ينزل الملك على النبي غير متمثل في صورة البشر بل يتصل به بحيث يسمع النبي الوحي كصلصلة الجرس أو دوي النحل فيوحي إليه ما يوحيه ثم يفصم عنه وقد وعي عنه ما أوحي به إليه وهذه الحالة من أشد ما تكون على الأنبياء، ومثال هذا ما ذكره عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذ قال (كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرى عنه)[5].

وتوضيح هذه الحالة في الحديث الذي روته السيدة عائشة ـ رضي الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ـ ﷺ ـ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي

(١) سورة النجم من آية ٨ إلى آية ١١.
(٢) أخذ ببعض التصريف من كتابه العقيدة في ضوء القرآن الكريم للدكتور صلاح عبد العليم ص ٢٤١.
(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات ج ١ ص ٩٨.
(٤) سورة الشورى آية ٥١.
(٥) المختار من كنوز السنة للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٥٢.

الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول). قالت عائشة (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)(١).

وأيضاً ما رواه ابن مسعود أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال (ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب من النار إلا قد نهيتكم عنه لا يستبطئن أحد منكم رزقه إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فأتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته)(٢).

ب ـ أن يأتي للنبي متمثلاً له في صورة رجل كما ورد في الحديث السابق(٣) وكما جاءت الملائكة لابراهيم وللوط ـ عليهما السلام ـ وأيضاً كما جاءت في حديث الإيمان والسلام حينما جاء جبريل في صورة رجل وأخذ يسأل النبي ـ ﷺ ـ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة.

جـ ـ أن يظهر الملك للنبي في هيئته الملكية التي خلقه الله عليها ومثال هذا ما ورد في حديث السيدة عائشة أن النبي ـ ﷺ ـ قال (لم أره ـ يعني جبريل ـ على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض)(٤).

(١) صحيح البخاري كتاب الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ ج ١ ص ٢ - ٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين من كتاب البيوع ج ٢ ص ٤، ملتزم الطبع والنشر دار الباز مكة.

(٣) الحديث الذي روته السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ والذي سأل فيه الحارث بن هشام رسول الله ـ ﷺ ـ عن كيفية إتيانه الوحي.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب معني قول الله عز وجل: ولقد رآه نزلة أخرى ج ١ ص ١٥٢. رقم الحديث ٢٧٨. إصدار دار احياء التراث العربي بيروت.

وما رواه الترمذي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ (لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهي ومرة في أجياد)[٢].

وهذه الطرق متفاوتة الدرجات فسأدناها التكليم بواسطة الرؤيا ويتلوها التكليم بواسطة الرسول الملكي وأعلاها جميعاً التكليم المباشر من وراء حجاب.

(١) أنظر زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ج ١ ص ٨٠ ـ (الطبعة الثامنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) ملتزم الطبع والنشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

الشبهات الواردة على الوحي

لقد أُثيرت الشكوك والظنون وتتابعت الشبهات تترى حول الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وحول ما يأتيهم من الوحي الإلهي في قديم الزمان وحديثه، فنجد أقوام الأنبياء كانوا يصمونهم بالكذب تارة وبالسحر والشعوذة تارة وبالجنون وبكل ما يمنع من اتصالهم بالملأ الأعلى، وملأ حدة هذا الزمان ماثلوا سابقيهم في نفس الدعوى غير أنهم حاولوا إضفاء شيء من العلمية المفتعلة على أقوالهم وسوف أذكر أهم الشبه التي أثيرت حول الوحي بشيء من الإختصار لأنه ليس إلا استكمالاً لبحثي.

من هذه الشبه ما يلي: ـ

أولاً ـ ما ذهب إليه المستشرق اليهودي جولد تسهير[1] حيث يرى أن الرسال نابعة من نفس الرسول فنراه ينفي الوحي الإلهي المعروف شرعاً عن الأنبياء بعامة، فيقول: (ليس الأنبياء من رجال علم الكلام، فالرسالة التي يأتون بها بدافع إدراكهم المباشر وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها).

ولتوضيح زعمه هذا نراه يستفيض بالحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ وأنه لم يأت بشيء جديد إنما أتى بمزيج من المعارف والآراء اليهودية والنصرانية تشبعت بها نفسه فتوهمها وحيا موحى إليه وأن عليه تبليغها لأنه قد استشعر نفسه نبياً متمماً لرسالات السماء فيقول: (فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً

(١) من كتبه العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٧٧، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين الطبعة الثانية القاهرة دار الكتب الحديثة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م.

منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قَوّتْهُ التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً فأصبح ـ بإخلاص ـ على يقين بأنه أداة لهذا الوحي)، ويقول في موضع آخر (ففي مكة كان يشعر أنه نبي يتمم برسالته سلسلة رسل التوراة، وأن لهذا عليه أن يقوم بإنذار أمثاله في الإنسانية وإنقاذهم من الضلال)(١).

ثانياً ـ هنالك شبهة أخرى ذكرها الشيخ الزرقاني(٢) مفادها (لو كان الوحي ممكناً لأوحى الله إلى أفراد البشر عامة ولم يختص به شرذمة قليلين يجعلهم واسطة بينه وبين خلقه).

الرد على الشبهات:

أولاً ـ نقرر أن الوحي إعلام من الله ومعارف إلهية يتلقاها الأنبياء عن الله تعالى وليس مصدر هذه المعارف أنفسهم كما يزعم الفلاسفة إذ

(١) نفس المرجع السابق.
غير أني أود إيراد شبهة أخرى بنفس المعنى ذكرها الشيخ محمد رشيد رضا عن المستشرق درمنغام وهي ليست عن الأولى ببعيد إذ يرى أن وضع المجتمع هو الذي أدى بمحمد ـ ﷺ ـ إلى إدعاء ما ادعاه فهو قد ضاق ذرعاً بأوثان قومه وأصنامهم وخزعبلاتهم وكان على علم وإطلاع بما لدى اليهودية والنصرانية من فكرة تقيض الله رسولاً للأقوام حينما يضلون وينحرفون فمكث في غار حراء ستة أشهر وهو يقلب فكرته صقلاً وحده ونسي الليل والنهار والحلم واليقظة وأنه كان يتهيأ له أصوات تنبعث من خلال الحجارة تناديه بأنها مؤمنة برسالته ولمزيد من التوسع أنظر الوحي المحمدي ص ١٠٩ وأنظر كتاب نبوة محمد ﷺ للدكتور حسن العتر ص ٢٢٣ (الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) إصدار دار النصر حلب.

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٧١، الطبعة الثالثة إصدار دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه. نشر دار الباز مكة.

يرونها ضرباً من القوة التخيلية النفسية الذاتية فجعلوها بهذا قدراً مشتركاً بين أفراد الجنس الإنساني فالساحر والممرور[1] يحصل لهما ما يحصل للنبي غير أن الفارق بينهما هو القصد والتوجيه[2]، وقد تناول شبهتهم هذه شيخ الإسلام ابن تيمية بالبحث والتمحيص فأجلى غثاءها وأزال الغمة والجم مدعيها الحجة والبرهان فأحار الجواب وأطار الصواب، وقد آليت على نفسي أن أذكر حجتهم كما ذكرها ابن تيمية ومن ثم رد شيخ الإسلام عليهم فيكون فيه الرد الشافي إن شاء الله..

يقول شيخ الإسلام رحمه الله[3]:

(وقد غلط في النبوة طوائف غير الذين كذبوا بها إما ظاهراً وإما باطناً كالمنافق المحض بل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله وهم خلق كثير فيهم شعبة نفاق وإن لم يكونوا مكذبين للرسول من كل وجنة بل قد يعظمونه بقلوبهم ويعتقدون وجوب طاعته في أمور دون أمور وأبعد هؤلاء عن النبوة المتفلسفة والباطنية والملاحدة، فإن هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة.

والفارابي جعلها من جنس المنامات فقط ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي وابن سينا عظمها أكثر من ذلك فجعل للنبي ثلاث خصائص أحدها أن ينال العلم بلا تعلم ويسميها القوة القدسية وهي القوة الحدسية عنده، والثاني أن يتخيل في نفسه ما يعلمه فيرى في نفسه صوراً نورانية ويسمع في نفسه أصواتاً كما يرى النائم في نومه صوراً تكلمه ويسمع كلامهم وذلك موجود في نفسه لا في الخارج فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبي مما يراه ويسمعه دون الحاضرين إنما يراه في نفسه ويسمعه

(١) أي المريض.
(٢) للخير أو للشر.
(٣) أنظر كتابه النبوات ص ١٦٧ ـ ١٧٠، إصدار دار الفكر.

في نفسه وكذلك الممرور عندهم والثالث أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولي العالم بأحداث أمور غريبة وهي عندهم آيات الأنبياء وعندهم ليس في العالم حادث إلا عن قوة نفسانية أو فلكية أو طبيعية كالنفس الفلكية والإنسانية والأشكال الفلكية والطبائع التي للعناصر الأربعة والمولدات لا يقرون بأن فوق الفلك نفسه شيء يفعل ولا يحدث شيئاً فلا يتكلم ولا يتحرك بوجه من الوجوه لا ملك ولا غير ملك فضلاً عن رب العالمين والعقول التي يثبتونها عندهم ليس فيها تحول من حال إلى حال البتة لا بإرادته ولا قول ولا عمل ولا غير ذلك وكذلك المبدأ الأول وهؤلاء عندهم جميع ما يحصل في نفوس الأنبياء إنما هو من فيض العقل الفعال ثم إنهم لما سمعوا كلام الأنبياء أرادوا الجمع بينه وبين أقوالهم فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء ثم يتكلمون ويصفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء وضل بذلك طوائف وهذا موجود في كلام ابن سينا ومن أخذ عنه . .

وهذه الصفات الثلاث التي جعلوها خاصة الأنبياء توجد لعموم الناس بل توجد لكثير من الكفار من المشركين وأهل الكتاب فإنه قد يكون لأحدهم من العلم والعبادة ما يتميز به على غيره من الكفار ويحصل له بذلك حدس وفراسة يكون أفضل من غيره وأما التخييل في نفسه فهذا حاصل لجميع الناس الذين يرون في مناماتهم ما يرون لكن هو يقول إن خاصة النبي أن يحصل له في اليقظة ما يحصل لغيره في المنام ويكفيك أنهم جعلوا مثل هذا يحصل للممرور وللساحر ولكن قالوا الساحر قصده فاسد والممرور ناقص العقل فجعلوا ما يحصل للأنبياء من جنس ما يحصل للمجانين والسحرة وهذا قول الكفار في الأنبياء كما قال تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾(١).

(١) سورة الذاريات آية ٥٢ ـ ٥٣ .

وهؤلاء عندهم ما يحصل للنبي من المكاشفة والخطاب هو من جنس ما يحصل للساحر والمجنون لكن الفرق بينه وبين الساحر أنه يأمر بالخير وذاك يأمر بالشر والمجنون ما له عقل وهذا القدر الذي فرقوا به موجود في عامة الناس فلم يكن عندهم للأنبياء مزية على السحرة والمجانين إلا ما يشاركهم فيه عموم المؤمنين وكذلك ما أثبتوه من القوة الفعالة المتصرفة هي عندهم تحصل للساحر وغيره وذلك أنهم لا يعرفون الجن والشياطين وقد أخبروا بأمور عجيبة في العالم فأحالوا ذلك على قوة نفس الإنسان فما يأتي به الأنبياء من الآيات والسحرة والكهان وما يخبر به المصروع والممرور هو عندهم كله من قوة نفس الإنسان فالخبر بالغيب هو لاتصالها بالنفس الفلكية ويسمونها اللوح المحفوظ والتصرف هو بالقوة النفسانية وهذا حذق ابن سينا وتصرفه لما أخبر بأمور في العالم غريبة لم يمكنه التكذيب بها فأراد إخراجها على أصولها وصرح بذلك في إشاراته وقال هذه الأمور لم نثبتها ابتداء بل لما تحققنا أن في العالم أموراً من هذا الجنس أردنا أن نبين أسبابها). وليس الوحي تلقياً عن المجتمع ونحوه كما يزعم جولد تسهير.

ثانياً ـ ما افتراه جولد تسهير على رسول الله ـ ﷺ ـ من إتصاله باليهود والنصارى وأخذه عنهم فهذا إدعاء ظاهر البطلان لأنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان أمياً فلم تتح له الفرصة لأن يقرأ كتب اليهود والنصارى بالإضافة إلى أنه لم يجالس الأحبار والرهبان ليتلقى عنهم ما ورد في كتبهم المقدسة، ولو كان ما جاء به محمد ـ ﷺ مأخوذ عن اليهودية والنصرانية كما يزعم جولد تسهير فكيف يفسر هو وأمثاله تكذيبه ﷺ لكثير مما جاء بكتبهم التي بأيديهم وكشفه لتحريفهم وتبديلهم لما أنزل الله تعالى على موسى وعيسى عليهما السلام؟

وعلى سبيل المثال. هل وصف القرآن الأنبياء بما وصفهم به اليهود؟ وهل يعتقد النصارى ما جاء في القرآن عن عيسى عليه السلام أنه عبد الله ونبيه؟ إن ما أتى به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يكن كذلك من محض

نفسه وإنما كان من الفيض الإلهي الذي تحدى به البشر بعامة على أن يأتوا بمثل ما أتى به فعجزوا عنه ولو كان من نفسه لما استعصى على غيره الإتيان بمثله.

وإذا كان هذا الرد خاصاً بنبوة محمد ـ ﷺ ـ فإن القضية عامة إذ هي للوحي عموماً وإثبات الجزء إثبات للكل.

ثالثاً ـ وهنا نتناول الرد على الشبهة التي ذكرها الشيخ الزرقاني[1] وقد كفاني مؤونة هذا الأمر ـ غفر الله له ـ إذ قال رحمه الله (إن عامة البشر ليس لديهم استعدادُ لتلقي الوحي عن الله لا مباشرة ولا بواسطة الملك، حتى لو جاءهم ملك لم يستطيعوا رؤيته إلا إذا ظهر في صورة إنسان وحينئذ يعود اللَّبس ويبقى الإشكال، فقضت الحكمة أن يجعل الله من بني الإنسان طائفة ممتازة لها استعداد خاص يؤهلها لأن تتلقى عن الله الوحي ثم تؤديه في أمانة إلى العامة من إخوانهم في الإنسانية ـ ثم يقول ـ وفيه نوع من الإختيار والابتلاء الذي بنى الله عليه هذه الحياة وميز به الخبيث من الطيب. ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ٧١.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٥.

إثبات الوحي

إن هنالك طائفة[1] من الناس قد أسدلوا حجب الجهل على عقولهم وحصروها في إطار المادة فأنكروا جميع المغيبات وغير المحسوسات فكان نصيب عقيدة الإيمان بالوحي نصيب غيرها من المغيبات لديهم فأنكروه وسفهوا من أنزل عليهم وأتباعهم بالرغم من أن العلم المادي قد سار شوطاً بعيداً في الدلالة على كون المغيبات من القوانين والنواميس الكونية التي لا مناص من الإيمان والتسليم لها بإذعان، فهناك الكثير من الأمثلة كالتيار الكهربائي ومسار الالكترونات في الأسلاك وظهور أثرها من إحداث إضاءة أو تولد طاقة عالية وكذلك الإشعاعات أشعة أكس والأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وغيرها والذبذبات الصوتية والموجات الكهرومغناطيسية إلى آخر ما هنالك من الآثار العلمية[2] الدالة على المغيبات.

فهل يجوز الجمع بين النقيضين: إيمان وإنكار في آن واحد؟

إن العلم لا يتأتى للإنسان إلا عن طريقين لا ثالث لهما إما كسبى أو وهبى فما كان من الطريق الأول لا بد له من أسبابه وشروطه المجتمعة في نضوج عقل وعمق إدراك وقوة ملاحظة ومعرفة بكيفية ترتيب وتنسيق البديهيات والمعلومات التي أضحت في حكمها في مقدمات وتوالي لكي يتحصل الطالب على المطلوب وتمسي النتيجة معلومة لديه ويضعها مع مثيلاتها في

(١) هم الملاحدة وكل من لا يؤمن بالأديان السماوية.

(٢) من أراد التوسع في هذه الموضوعات فليطالع الكتب المختصة بهذا الأمر مثل ـ الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان، والله يتجلى في عصر العلم ترجمة نور الدين دمرداش وأمثال هذه الكتب التي أوضحت موقف العلم من الدين.

مقدمات وتوالي ليتحصل على غيرها وهكذا دواليك ويتحقق لديه عن هذا الطريق علم كسبه بجهد ومشقة وإمعان فكر وطول صبر واحتمال.

أما العلم الوهبي فهو ما يحصل للإنسان من علم ضروري يُنعم به المولى جل شأنه على عبده دون مشقة على نفس ولا إجهاد لفكر وما يتأتى عن هذا الطريق من العلم لا يمكن أن يتحصل عليه بالطريق السابق إذ جله من الغيبيات التي لا يعلمها إلا عالم السر وأخفى وعن هذا الطريق كانت علوم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهم من اصطفاهم الله عز وجل فبلغوا من درجة صفاء النفس ونقاء السريرة ما لم يبلغه غيرهم فكانوا أهلاً لأن يتصلوا بالملاء الأعلى ويتلقوا عنه ما يصلح حياة أممهم وهذا أمر غير غريب ولا مستنكر، إذ أننا نجد هذا التفاوت والتدرج في قوة النفس وصفائها جلياً بين الأشخاص وبين الناس بعامة واستعداد المدارك للتلقي كذلك متفاوت ولقد حاول الإمام الغزالي تقريب مفهوم النبوة في الأذهان فبعد أن ذكر التدرج لدى الإنسان في إدراك المدركات جعل هنالك مرتبة أعلى من مرتبة العقل ينكشف للإنسان فيها من الأمور الغيبية ما لا يمكن أن يدركه بعقله أبداً وضرب مثلاً تقريبياً لذلك فقال (وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأن أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الإنسان من نفسه وقيل له أن من الناس من يسقط مغشياً عليه كالميت ويزول عنه إحساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لأنكره وأقام البرهان على استحالته - وقال - القوة الحساسة أسباب الإدراك فمن لم يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها فبأن لا يدرك مع ركودها أولى - ثم يقول فالنبوة أيضاً عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل - ويقول في موضع آخر عنها - ودليل إمكانها وجودها، ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل)[1].

(١) أنظر كتابه المنقذ من الضلال والذي يقع في هامش كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لابراهيم الجيلاني ص ٣٧ (الطبعة الثانية سنة ١٣٢٨ هـ) بالمطبعة الأزهرية المصرية - شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ١١٣ - ١١٤، الناشر دار الكتب الحديثة.

وفي هذا الصدد يتحدث الشهرستاني[1] في كتابه (نهاية الإقدام) حيث يقول: (الأنبياء خيرة الله في خلقه وحجة الله على عباده والوسائل إليه وأبواب رحمته وأسباب نعمته فكما يصطفيهم من الخلق قولاً بالرسالة والنبوة يصطفيهم من الخلق فعلاً بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر وطيب الأخلاق وكرم الأعراق فيرقيهم مرتبة مرتبة حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة وكملت قوته النفسانية وتهيأت لقبول الأسرار الإلهية بعث إليهم ملكاً وأنزل عليهم كتاباً).

ويتحدث الشيخ محمد عبده[2] في هذا الصدد فيقول (أي استحالة في الوحي وأن ينكشف لفلان ما لا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم أن ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة، مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى إلا على وجه الإجمال وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط بل لا بد معه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان وكسبه ولا شبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك إلى ما لا يحصره العدد وإن من أرباب الهمم وكبار النفوس ما يرى البعيد عن صغارها قريباً فيسعى إليه ثم يدركه والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون لنهايته ثم يألفون ما صار إليه كأنه من المعروف الذي لا ينازع والظاهر الذي لا يجاحد - ثم يقول - فإذا سلم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقول والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها أن لا يسلم بأن من النفوس البشرية ما يكون لها نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به - من محض الفيض الإلهي - لأن تتصل بالأفق الأعلى وتنتهي من الإنسانية الى الذورة العليا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقله أو تحسسه بعصا الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتلقاه أحدنا عن أساتذة

(١) ص ٥٦٣، تحقيق الفيروجيوم بغداد مكتبة المثنى.
(٢) أنظر رسالة التوحيد ص ٨٥ - ٨٦.

التعاليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علّمت ودعوة الناس إلى ما حُملت على إبلاغه إليهم وأن يكون سنة الله في كل أمة، وفي كل زمان، على حسب الحاجة يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفي للاجتماع بما يضطر إليه من مصلحته إلى أن يبلغ النوع الإنساني أشده وتكون الأعلام التي نصبها لهدايته إلى سعادته كافية في إرشاده فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة).

فلا غرابة في وجود تلك الصفوة ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[1] ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

ولا ينكر حصول هذا العلم[3] عن هذا الطريق إلا أحد اثنين متغطرس متعال زها بعلمه الكسبي وقاس الغير على نفسه وظن أنه نال من العلم وذروته ومنتهاه فأنكر أن يتحصل بغير طريقه ولعمري ما يضر الشمس كفاف البصير إذ هي طالعة مشرقة وإن عُمي عنه نورها وضياؤها.

والثاني استمرأ الإنغماس في الحياة وملذاتها وصعب عليه التعالي عليها فتعلق بأذيالها وأنكر كل ما هو مخالف لهواه وكان فيه قيود وضوابط وحد لنزواته وشهوات نفسه وتكاليف لا تنصاع لها نفسه ولا يطاوعه إليها هواه فأنكر ما هو مخالف لهواه وكان فيه قيود وضوابط وحد لنزواته وشهوات نفسه وتكاليف لا تنصاع لها نفسه ولا يطاوعه إليها هواه فأنكر ما هو في حكم اليقين لديه ظناً منه أن هذا مخرج له وطامس للحق واليقين كما ذكر الحق سبحانه وتعالى ذلك عن فرعون لعنه الله وأخزاه إذ قال جل ذكره ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾[4]، وقال ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5].

(١) سورة الحج آية ٧٥.
(٢) سورة الأنعام آية ١٢٤.
(٣) أي العلم الوهبي.
(٤) سورة النمل آية ١٤.
(٥) سورة الجاثية آية ٢٣.

الكتب الالهية

إن الحديث عن الكتب السماوية[1] ضرورة اقتضاها سياق البحث فكان لزاماً على أن أتعرض لذكرها جملة ومن ثم أتناول سفر التوراة جملة وتفصيلاً لأنه ركان البحث ولبابه.

إن الإيمان بالكتب الإلهية ركن من أركان العقيدة الإسلامية وبذلك أخبر القرآن الكريم والسنة النبوية.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ . . .﴾[2].

وقوله سبحانه وتعالى ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾[3].

وقوله عز وجل ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَ

(١) يراد بالكتب السماوية ما أنزله الله تعالى من الوحي على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام هداية للبشر اعتقاداً وعملاً.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٧.

﴿... إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ...﴾[1].

ومن السنة ما جاء في الحديث المروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ورد في تفسير النبي ﷺ للإيمان بقوله: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

وإلى جانب هذه الإشارة المجملة الى الكتب السماوية، فقد نص في القرآن على التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف ابراهيم وموسى.

وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر عدد الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه.

أخرج ابن حميد وابن مردوية وابن عساكر عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيت خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان)[3].

وهذا الحديث يوضح لنا عدد الكتب وإن لم يرد ذكرها كلها في القرآن

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٢) أنظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ج ١ ص ٣٧ رقم الحديث ١ - ٨.

(٣) أنظر: الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٢٤٥ - التفسير الكبير للرازي جـ ٣١ ص ١٤٩ الطبعة الثانية الناشر دار الكتب العلمية طهران - الدر المنثور للسيوطي ج ٨ ص ٤٨٩ - تفسير أبي السعود ج ٩ ص ١٤٧ إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت. فتح القدير للشوكاني ج ٥ ص ٤٢٧ الناشر محفوظ العلي بيروت - تفسير روح المعاني للألوسي ج ٣٠ ص ١١١ - روح البيان للشيخ اسماعيل البرسوي ج ١٠ ص ٤١١ إلا أنه أورد اختلافاً في تقسيمه للكتب على الأنبياء. الحديث إخراج ابن حيان في صحيحه ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن لبان الفارس (الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م) إصدار دار الكتب العلمية بيروت.

الكريم كما لم يرد ذكر جميع الأنبياء والمرسلين بل قد ذكر بعضهم دون بعض قال تعالى:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [1].

أيضاً لم يحدد القرآن عدد الكتب التي أنزلت بل ذكر بعضها دون بعض، لذا أود الاقتصار على ذكر الكتب التي ذكرها القرآن الكريم فقط وهي صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والفرقان الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين.

مضمون هذه الكتب:

أما من حيث مضمون هذه الكتب فإنها وإن كانت قد اختلفت في الشرائع، إلا أن هنالك جانباً ثابتاً فيها لا يتغير إذ هو الركيزة التي سعى إليها جميع الأنبياء والمرسلين والتي جاءت جميع الكتب السماوية لبثها وتثبيتها ألا وهي: -

١ - عقيدة التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى وحده، وهذه العقيدة واحدة لم تتغير منذ مجيء أقدم الأنبياء آدم ونوح - عليهما السلام - إلى آخرهم محمد - ﷺ، قال تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [2].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [3]، والمقصود في هذه

(١) سورة النساء آية ١٦٤ - هذا وقد جمعهم البعض في هذين البيتين:

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
ادريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل أدم بالمختار قد ختموا

(٢) سورة الشورى آية ١٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١٩.

الآية هو دين التوحيد[1] . وقال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3].

وكذلك الإيمان باليوم الآخر وجميع الرسل يقول تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

هذا من ناحية العقيدة.

٢ ـ الناحية السلوكية:

أما من الناحية السلوكية فهي أيضاً قد وُجِدت فكلها تدعو إلى الاستقامة على منهج الله والتخلق بالأخلاق الحسنة وابتغاء العمل الصالح يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[5].

وكذلك ورد فيها تحديد مسؤولية الإنسان تجاه أعماله ومنشئه ومصيره ومصير الأمم الغابرة فيقول عز من قائل:

(١) هذا الرأي ذكره الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.
(٣) سورة البقرة آية ١٣٢.
(٤) سورة البقرة آية ٢٨٥.
(٥) سورة الأعلى من آية ١٤ إلى آية ١٩.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾(1).

ويقول تعالى عن زبور داود وما ورد فيه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(2).

وأيضاً يقول عن إنجيل عيسى ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(3).

وبعد أن ذكرنا جملة ما ورد في الكتب السماوية استناداً إلى ما جاء عنها في القرآن الكريم نأتي على ذكرها متفرقة وكما تناولتها الأحاديث النبوية: ـ

فعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بنفس الإسناد السابق ـ قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثال كلها أيها الملك المتسلط المبتلي المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه

(1) سورة النجم من آية ٣٦ إلى آية ٥٤.
(2) سورة الأنبياء آية ١٠٥.
(3) سورة المائدة آية ٤٦.

وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش، أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم. قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن أيقن بالموت ثم يضحك ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ولمن أيقن بالقدر كيف ينصب ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل.

قلت يا رسول الله: هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى؟

قال: يا أبا ذر نعم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠ ص ٣٥ الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي ببروت، أنظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ج ٨ ص ٤٨٩، تفسير روح المعاني للألوسي ج ٣٠ ص ١١١، وقد اقتصر بعض المفسرين على إيراد مضمون ما في صحف ابراهيم فقط... الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٢٤٥، أنظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣١ ص ١٤٩ ـ تفسير الفتوحات الإلهية لسليمان العجيلي الشهير بالجمل ج ٤ ص ٥٢٤ إصدار دار إحياء التراث العربي، وقد ورد الحديث باختلاف في الصيغة في تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل البرسوي ج ١٠ ص ٤١١. صحيح ابن حبان ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ـ ٢٨٩ رقم الحديث ٣٦٢.

الفصل الثاني
نزول التوراة

التعريف بالتوراة

التوراة في اللغة:

إن الحديث عن هذه الكلمة في اللغة يقوم على رأيين، أحدهما أنها لفظة عربية وثانيهما أنها لفظة معربة عن العبرية وليست عربية الأصل، أما على الرأي الأول فقد جاء في ذلك ما يلي: ـ

(قال الفراء في كتابه المصادر: التوراة من الفعل: التفعلة، كأنها أخذت من أوريت الزناد ووّريتها فتكون تَفْعَله في لغة طيء، لأنهم يقولون في (التوصية): توصاة وللجارية: جاراه وللناصية: ناصاة، وقال أبو إسحاق في (التوراة) قال البصريون: (توراة) أصلها (فَوْعَلة) و (فوعله) كثيرة في الكلام، مثل: الحوصلة، والدوخله، وكل ما قلت فيه (فوعلت) فمصدره فوعله.

فالأصل عندهم: (ووراة) ولكن الواو الألأولى قلبت تاء، كما قلبت في (تولج) وإنما هو (فوعل) من ولجت ومثله كثير)[1].

وهذا بناء على إنها لفظة عربية وهو رأي مرجوح، والحق عند الجمهور أنها كلمة معربة.

يقول الزبيدي بعد إيراد الرأي الأول: (نقل شيخنا[2] المذهبين

(١) أنظر تهذيب اللغة لأبي منصور أحمد الأزهري تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ١٥ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م ـ أنظر تاج العروس ج ١٠ ص ٣٧٩ ـ أنظر لسان العرب ج ٢٠ ص ٢٦٨ ـ أنظر القاموس المحيط للفيروز أبادي ج ٤ ص ٣٩٩ إصدار المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت.

(٢) شيخه هو الإمام اللغوي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ هـ والمتوفي بالمدينة سنة ١١٧٠ هـ.

واختلاف وزن الكلمة عندهما وقال في آخره ما نصه وقد تعقب المحققون كلامهم بأسره وقالوا هو لفظ غير عربي بل هو عبراني اتفاقاً وإذا لم يكن عربياً فلا يعرف له أصل من غيره إلا أن يقال أنهم أجروه بعد التعريب مجرى الكلم العربي وتصرفوا فيه بما تصرفوا فيها والله أعلم)(١).

ومعنى التوراة القانون باللغة العبرية(٢).

التوراة في الاصطلاح:

(التوراة في عرف القرآن هي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به)(٣).

(التوراة كلمة عبرانية معناها المراد الشريعة أو الناموس وهي تطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار يقولون إن موسى كتبها وهي سفر التكوين وفيه الكلام عن بدء الخليقة وأخبار بعض الأنبياء وسفر الخروج وسفر اللاويين أو الأخبار وسفر العدد وسفر تثنية الاشتراع ويقال التثنية فقط، ويطلق النصارى لفظ التوراة على جميع الكتب التي يسمونها العهد العتيق وهي كتب الأنبياء وتاريخ قضاة بني إسرائيل وملوكهم قبل المسيح)(٤).

وورد في الموسوعة الميسرة ما يلي:

التوراة: أو (العهد القديم) كتاب الله المنزل على النبي ذكر في القرآن غير مسرة، وأشير إلى أن فيه حكم الله من عمل به دخل الجنة، أخبر بمجيء النبي الأمي، وإن كان قد ورد ذكره أيضاً في الحديث الذي يردد بعض أحكامه عرف المسلمين بعض أجزاء منه مباشرة من معاصريهم من اليهود خاصة من اعتنق الإسلام كوهب بن منبه وعبد الله بن سلام مصدر كثير من

(١) أنظر تاج العروس ج ١٠ ص ٣٨٩ ـ أنظر القاموس المحيط للفيروزأبادي ج ٤ ص ٣٩٩.
(٢) أنظر دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ج ٢ ص ٧٠٢ الطبعة الثالثة ١٩٧١ م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
(٣) أنظر تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ٣ ص ١٥٦، الطبعة الثانية الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
(٤) أنظر نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٥٥.

الاسرائيليات ترجم عن العبرية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في المشرق والمغرب، ومن المباديء التشريعية في الإسلام (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه)، وهناك تلاق في بعض أحكام القرآن وأحكام التوراة)[1]. وقيل المراد بها:

(التوراة: يطلق اسم التوراة على الخمسة الكتب الأولى من الكتاب المقدس عند المسيحيين ومعنى التوراة: القانون باللغة العبرية)[2].

وقيل المراد بها: (التوراة والتورية أسفار موسى الخمسة معرب تَوْرَهْ بالعبرانية ومعناها شريعة ووصية ج - يعني جميع - توراة وتوريات وتطلق على العهد القديم كله وربما أطلقت على مجموع العهدين)[3].

وقيل المراد بها: (التوراة عند أهل الشرع كتاب أنزل على موسى على نبينا وعليه السلام في تسعة ألواح وأمره أن يبلغ سبعة منها ويترك لوحين)[4].

وخلاصة هذه التعريفات جميعاً ثلاثة أمور: -

١ - هي الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام ليبلغه قومه.

٢ - هي أسفار موسى الخمسة الأولى من العهد القديم.

٣ - هي جميع أسفار العهد القديم وقد يطلق على مجموع العهدين القديم والجديد معاً.

(١) الموسوعة العربية الميسرة إشراف محمد شفيق غربال ص ٥٥٦.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ج ٢ ص ٧٠٢.

(٣) قاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ص ٧٥.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي ج ٦ ص ١٥٢٤ ١٩٦٦ م من منشورات شركة خياط للكتب والنشر بيروت. وهنالك تعريف اصطلاحي للتوراة أورده الدكتور محمود الشريف في كتابه الشعب الملعون في القرآن قال فيه (التوراة: شريعة لبني اسرائيل وكتاب فيه هدى ونور لهم يوجههم ويهديهم ويرشدهم ويوضح لهم معالم طريقهم الدنيوي والأخروي... ص ١٠٢ الطبعة الثانية ملتزم الطبع والنشر دار مكتبة الهلال الرياض.

وأوفق هذه التعريفات جميعاً تماشياً مع القرآن الكريم هو التعريف الأول وهو التعريف الذي نعنيه في هذا الباب. أما التعريفات الأخرى فهي مجرد اصطلاحات لأهل الكتاب تقوم على التجوز في إطلاق الألفاظ. كما تنبع من اعتقادهم بأن كتبهم مقدسة منزلة من عند الله خالية من التحريف. وليس الأمر كذلك كما سنوضحه.

الوحي الى موسى عليه السلام

طريقة التكليم :

يقول تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1].

ذهب أكثر المفسرين[2] إلى حصول هذا النوع من الإيحاء وهو التكليم من وراء حجاب لسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بدلالة قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3].

(فلو لم يزد عليه كلمة (تكليماً) المؤكدة لجاز أن يكون التكليم مجازياً، فإن الفراء قال: إن العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإن أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام)[4].

وهذا التكليم لم تصاحبه الرؤية بدلالة طلب موسى لها يقول تعالى

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[5].

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٢) غير أن الزمخشري صاحب تفسير الكشاف أنكر هذا الأمر لكونه اعتزالي المذهب وقال بخلق الله للصوت في الإجرام وسماع سيدنا موسى عليه السلام ـ له منها.

(٣) سورة النساء آية ١٦٤.

(٤) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ٦ ص ٧١: أنظر مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ج ١ ص ٣٧ تحقيق محمد حامد الفقي الناشر دار الكتاب العربي بيروت (١٩٧٢ م/ ١٣٩٢ هـ).

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٣.

وأجابته بعد ذلك بالمنع لاستحالة حدوث هذا الأمر في الحياة الدنيا وما ذاك إلا لضعف المخلوقات الدنيوية عن تحمل مثل هذه الرؤيا فإذا لم يستطع أن يتحمل الرؤيا أقوى الموجودات وأصلبها على وجه الأرض، ألا وهو الجبل فالضعف أكد بموسى وغيره من الكائنات، لذلك أجابة المولى بالمنع لوجود أصل العجز عن تحمل مثل هذا الأمر في أساس البنية البشرية، فقال له **﴿لن تراني﴾**.

ويدل أيضاً على عدم وقوع الرؤيا البصرية لله عز وجل في هذه الحياة الدنيا ما رواه مسلم بسنده عن أبي ذر قال، سألت رسول الله ـ ﷺ ـ هل رأيت ربك؟ فقال: (نور أني أراه)[١].

أما عن صفة هذا الحجاب وكيفيته فإننا نتوقف عن البحث في هذا الأمر لأنه لم يرد نقل صحيح في شأنه، وكذلك الحال في شأن التكليم نثبت حدوثه ونتوقف في كيفيته وصورته.

هذا وقد ذهب السلف إلى إثبات صفة الكلام للمولى عز وجل بصوت وحروف ومعان تليق بجلاله وعظمته لا تماثل ما يقوم بالمخلوقين من هذه الصفات، إذ هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فقد نص أحمد وغيره على أن كلام العباد مخلوق وهم إنما يتكلمون بالأسماء والحروف التي لم يوجد نظيرها في كلام الله تعالى، لكن الله تعالى تكلم بها بصوت نفسه وحروف نفسه وذلك غير مخلوق وصفات الله تعالى لا تماثل صفات العباد فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله والصوت الذي ينادي به عباده يوم القيامة والصوت الذي سمعه منه موسى ليس كأصوات شيء من المخلوقات

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦١ رقم الحديث ٢٩١ ـ (١٧٨)، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٩٦، مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ١٥٧، ١٧١، ١٧٥.

والصوت المسموع هو حروف مؤلفة وتلك لا يماثلها شيء من صفات المخلوقين)[1].

نخلص مما سبق إلى أن الله سبحانه وتعالى قد كلم موسى كلاماً بحروف وصوت سمعه موسى ولكن ليس كصوت وحروف المخلوقين.

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ ص ٦٤ - ٦٥، هذا وقد ضربت صفحاً عن ذكر الآراء الكثيرة التي تناولت الكلام الإلهي وذلك لما فيها من بطلان واقتصرت على إيراد رأي السلف لأنه أسلم وأحوط.

كيفية نزول التوراة

يقول تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1].

ذكر المفسرون رأيين في إسناد الكتابة إلى الله عز وجل:

فالرأي الأول:

جعل إسناد الكتابة حقيقة إلى المولى جل وعلا لا كسب لأحد فيها وفي هذا الإسناد تفصيل.

أما أن يكون قد كتب التوراة بيده أو خلق الكتابة في الألواح.

الرأي الثاني:

ذهب إلى أن الكتابة كانت بأمره ووحيه والكاتب أما جبريل أو موسى عليهما السلام ـ ونسبة الكتابة إليه تعالى كانت على جهة التشريف[2].

يقول الإمام القرطبي[3]: (وأضاف الكتابة إلى نفسه[4] على جهة

(١) سورة الأعراف آية ١٤٥.

(٢) هنالك بعض المفسرين اللذين اقتصروا على إيراد الرأي الثاني فقط كالفخر الرازي ونظام الدين النيسابوري.

(٣) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٨١ ووافقه على ذلك الإمام الشوكاني في كتابه فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٤، والشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار ج ٩ ص ١٨٩ غير أنه أضاف إلى الرأي الثاني أن يكون موسى كاتبها.

(٤) الضمير يعود على المولى جل وعلا.

التشريف إذ هي مكتوبة بأمره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر، وقيل: هي كتابة أظهرها الله وخلقها في الألواح).

وذهب الألوسي[1] إلى القول بأنه تعالى قد كتب التوراة بيده بالإضافة إلى أنها كتبت بأمره، فيقول: (والمشهور عن ابن جريج أن كاتبها جبريل عليه السلام كتبها بالقلم الذي كتب به الذكر المروي عن علي كرم الله وجهه ومجاهد وعطاء وعكرمة وخلق كثير إن الله تعالى كتبها بيده)، والراجح لدى والله أعلم أن المولى جلت قدرته وتنزهت عن النقائص ذاته أنه كتبها بيده بدلالة ما رواه مسلم بسنده عن طاوس قال: سمعت أبا هريرة يقول: (قال رسول الله ﷺ - (إحتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟). فقال النبي ﷺ (فحج آدم موسى فحج آدم موسى)[2].

وفي حديث ابن أبي عمرو ابن عبده قال أحدهما: خط، وقال الآخر كتب لك التوراة بيده)[3].

هذا فضلاً عن أن قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[4]. ظاهر في إسناد الكتابة إلى الله تعالى. والقول بأسناد الكتابة إلى غير الله قول بالمجاز في الأسناد وتأويل في النص ولا توجد قرينة موجبة تصرف اللفظ عن ظاهره.

(١) أنظر تفسير روح المعاني ج ٩ ص ٧٥ - أنظر تفسير الخازن ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام حديث رقم ٢٦٥٢ ج ٤ ص ٢٠٤٢ - ٢٠٤٣، وقد ورد في سنن ابن ماجه نص الحديث بإضافة (وخط لك التوراة بيده) في باب القدر حديث رقم ٨٠ جـ ١ ص ٣١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام حديث رقم ٢٦٥٢ ج ٤ ص ٢٠٤٢ - ٢٠٤٣.

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٥.

عدد الألواح وكيفيتها:

إختلف المفسرون في عدد الألواح فمن مقل قد جعلها لوحاً أو لوحين ومن مكثر جعلها سبعة أو عشرة وكذلك الشأن في مادتها وهيئتها فمن قائل أنها من زبرجد وآخر من زمرد أو ياقوت أو خشب أو من حجر وكذلك هيئتها وطولها وعرضها، غير أنني لا أود الخوض في هذا الأمر لعدم توفر النقل الصحيح ولعدم ورود الحاجة إليه إذ لو كان هذا الأمر ذا بال لذكره القرآن الكريم أو السنة الصحيحة وحسبنا أن نمسك فيما أمسك الله عن ذكره.

هل التوراة هي الألواح أم مغايرة لها؟؟؟

هنالك رأيان في هذه القضية، رأى يرى أن التوراة والألواح كتاب واحد، ورأي ثان يرى أن الألواح غير التوراة بل هي شبه مختصر لها)[1].

والقائلون بالرأي الأول هم جمهرة العلماء ويستدلون على رأيهم بقوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾. وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

وممن ذهب إلى أن الألواح والتوراة شيء واحد الزمخشري في الكشاف إذ يقول في تفسير قوله تعالى **﴿وكتبنا له في الألواح﴾** (كانت ـ أي في الألواح ـ من خشب نزلت من السماء فيها التوراة) وقال (خر موسى صعقاً يوم عرفه وأعطى التوراة يوم النحر).

(١) أنظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام لعوض الله حاد حجازي ص ٩٩ ـ ١٠٠ (الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م) ـ دار الطباعة المحمدية القاهرة.

(٢) القصص آية ٤٣.

ووافقه على ذلك الفخر الرزاي وذكر نفس عبارته تقريباً، وكذلك القرطبي يقول في تفسير قوله تعالى ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء**﴾ يريد التوراة.

وأيضاً الخازن في تفسيره أورد في تفسير قوله تعالى ﴿**وكتبنا له في الألواح**﴾ ما يلي: (والمعنى وكتبنا لموسى في ألواح التوراة) وكذلك البغوي ونظام الدين النيسابوري وابن كثير وأبو السعود وسليمان العجيلي الشهير بالجمل والجلالان جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي والإمام الشوكاني والألوسي[١].

وأما الرأي الثاني فقد أورده ابن كثير[٢] في تفسيره بصيغة التضعيف فقال: (وقيل الألواح أعطيها موسى قبل التوراة والله أعلم).

وقد ذهب الشهرستاني[٣] إلى هذا الرأي حيث يقول (وأنزل عليه أيضاً الألواح على شبه مختصر ما في التوراة، تشتمل على الأقسام العلمية والعملية، قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ إشارة إلى إتمام القسم العلمي (وتفصيلاً لكل شيء)[٤] إشارة إلى إتمام القسم العملي).

ولقد أورد كل من الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد المراغي كلا الرأيين في تفسيريهما[٥].

(١) أنظر الكشاف ج ٢ ص ١١٦ - أنظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٤ ص ٢٣٦ أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٨١ - أنظر تفسير الخازن ج ٢ ص ٢٨٧ وفي هامشه تفسير البغوي - أنظر تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان وهو على هامش تفسير الطبري ج ٩ ص ٤١ - أنظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٦ - أنظر تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٧٠ - أنظر الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ١٨٩ - أنظر تفسير فتح القدير ج ٢ ص ٢٤٤ - أنظر روح المعاني جـ ٩ ص ٥٧.

(٢) أنظر كتابه تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) أنظر الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني ج ١ ص ٢١١ الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت. ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٥.

(٥) أنظر تفسير المنار ج ٩ ص ١٨٩ - ١٩٠ - أنظر تفسير المراغي ج ٩ ص ٦١.

والـراجح لـدى مما سبق قـول الجمهور وهـو أن التوراة والألـواح كتاب واحد وأضيف على ما تقدم من أدلة على رأي الجمهور ما روى ابن أبي عمـر وابن عبده والتي ذكرهـا مسلم[1] في صحيحه (قـال أحدهمـا خط وقال الآخـر كتب لك التوراة بيـده)، وما رواه ابن مـاجة[2] في سننـه بسنده عن أبي هـريرة عن النبي ﷺ، قال (إحتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة بذنبك، فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامـه وخط لـك التوراة بيـده، أتلومني على آمر قـدرة الله علي قبـل أن يخلقني بـأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ـ فحج آدم موسى. فحج آدم موسى).

وفي هذا نص صريح على أن التوراة هي التي كتبت لا غيرها وبالجمع بين هـذه الأحـاديث والآيـة ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ ينتـج لنـا أن التـوراة والألواح كتاب واحد كتبه الله بيده، لأن المكتوب إما أن يكون التوراة أو غيرها فلما عبر بنفس الفعل في الحديث وكتب التوراة فإذن يـرجح أن تكـون التوراة والألواح كتاباً واحداً والله أعلم.

هل هنالك من تعارض بين التكليم والكتابة؟

قـد يرد هـذا السؤال على ذهن البعض حين يقـابـل بين قـولـه تعـالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[3] وبين قـولـه ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾[4].

ولا بد أن تنتج من هذه المقابلة عدة احتمالات:

الاحتمـال الأول: إما أن يكـون قد جمـع له بين التكليم والكتـابة بـأن

(١) أنـظر صحيح مسلم كتـاب القدر بـاب حجاج آدم ومـوسى ـ عليهـما السلام ـ حـديث ١٣ ـ ٢٦٥٢ ج ٤ ص ٢٠٤٣.

(٢) أنـظر سنن ابن مـاجـة في بـاب القـدر حـديث رقم ٨٠ ج ١ ص ٣١، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) سورة طه آية ١٣.

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٥.

كلمة الله عن مضمون التوراة بصورة مجملة ثم كتب لـه تفاصيلهـا في الألواح وأعطاه إياها.

الاحتمـال الثاني: أن لا يكـون التكليم قد تعـرض لمضمون التـوراة لا بـالصورة الإجمـالية ولا التفصيليـة وإنما كتبت لمـوسى تفاصيلهـا في الألـواح وأعطيت له.

الاحتمال الثالث: أن يكـون التكليم قد تنـاول ما ورد في التـورة بشكل تفصيلي ثم كتبت له في الألواح بصورة مجملة.

والراجح لدي: هو الاحتمال الأول وذلك لأنـه جل وعـلا حينما خـاطبه قائلاً:

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾(1).

أوضح له أصول العقائد ولم يتطرق إلى التفـاصيل والكيفيـة وربما تـرك هذا الأمر للألواح توضحه فيما بعد والله أعلم.

والاحتمال الثاني والثالث بعيدان لأن التكليم في الأول قـد تناول بعض ما ورد في التوراة والثاني مرفـوض بدلالـة الآية السـابقة وبـدلالة قـوله تعـالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(2).

اللغة التي أنزلت بها التوراة...

يقول تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ﴾(3).

(1) سورة طه آية ١٣ ـ ١٦.
(2) سورة الأعراف آية ١٤٥.
(3) سورة ابراهيم آية ٤.

هذه الآية توضح لنا سنة من السنن الإلهية في بعثه الأنبياء والرسل - عليهم السلام - في أنهم لا يرسلون إلا بلسان أقوامهم[1] لأنه أدعى إلى أن يفقهوا ما يبلغهم به رسولهم من التشريعات الإلهية فلا تقوم لهم حجة ولا عذر في عدم الفهم.

وربما أيضاً لخصوصية رسالة كل رسول وحصرها في قومه فقط ولم تتخلف هذه القاعدة حتى حينما عممت الرسالة ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليه لجميع الأمم وعلى مر العصور والدهور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد جاء القرآن طبقاً للقاعدة بلسان عربي مبين ولم تتعدد الألسن بتعدد الأمم المبعوث إليهم خشية وقوع الالتباس والتغيير ومن ثم التحريف في كتاب الله.

والتوراة كما نعلم أنزلت على سيدنا موسى - عليه السلام - وقومه [بنو اسرائيل والمصريون] فكان ولا بد بناء على هذه القاعدة أن تكون التوراة بلغة قوم سيدنا موسى عليه السلام - وحيث أنه لم يرد نص صحيح في كتاب أو سنة على حد علمي يعول عليه في تحديد لغة التوراة فإننا نحيل هذا الأمر أي اللغة التي كان يتحدث بها قوم سيدنا موسى عليه السلام - حين أرسل إليهم إلى الأبحاث العلمية وأقوال علماء الآثار واللغة في هذا الشأن.

وقد اختلفت أقولهم في تحديد لغة قوم سيدنا موسى - عليه السلام - ومن ثم كان الاختلاف في تحديد اللغة التي نزلت بها التوراة: -

فهناك من يفهم من كلامه أن التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام كانت باللغة العبرية وهؤلاء كانوا على قسمين: -

القسم الأول:

يعتبر اللغة العبرية إحدى لهجات اللغة الكنعانية بل من أهم اللهجات الكنعانية وهؤلاء أيضاً انقسموا إلى فريقين: -

(١) سواء كان يربط هؤلاء الرسل بأقوامهم نسب مثل سيدنا موسى مع بني اسرائيل أو بغير نسب مثل سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وآله - وكحال سيدنا لوط مع قومه.

الفريق الأول: يرى أن اللغة العبرية لغة قديمة جداً وقد كانت موجودة بأرض كنعان حتى قبل أن ينزح إلى تلك البلاد ـ يعني بلاد كنعان ـ سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ وأن هذه اللغة لهج بها ابراهيم وبنوه ثم ذهبت مع يعقوب وأبنائه إلى مصر ثم عادت معهم إلى فلسطين بلاد كنعان(١).

والفريق الثاني(٢): ـ يرى أنها نشأت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبذلك تكون هي اللغة التي أنزلت بها التوراة.

القسم الثاني: يعتبر اللغة العبرية والكنعانية لغة واحدة لهجت بها الأمم التي كانت تسكن فلسطين وطور سينا في مدى قرون معينة فلما تباعدت وتفرقت تلك الأمم اختلفت لهجاتها وتميزت فكانت إحدهما العبرية وكانت الأخرى الكنعانية(٣).

وهنالك من يستبعد أن تكون التوراة قد تنزلت باللغة العبرية ويرجح نزولها باللغة المصرية القديمة أو الهيروغليفية(٤). يقول الدكتور فؤاد حسنين: «أما اللغة العبرية التي تعنينا هنا فلم تعرف بهذا الاسم في التوراة أو الأنبياء أو الكتب بل جاءتنا تحت اسم الكنعانية أو اليهودية وزعم العبريون أن لغتهم هي لغة التوراة واللغة التي كلم الله بها موسى. فإذا كان الأمر كما يعتقد كثير

(١) أنظر الكنز في قواعد اللغة العبرية لمحمد بدر ص ٣٢ إصدار المطبعة الكبرى بعابدين وكتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن لابراهيم خليل أحمد ص ١٨٠ (الطبعة الخامسة) الناشر مكتبة الوعي العربي، وكتاب قواعد اللغة العبرية للدكتور عوني عبد الرؤوف ص ١٥ إصدار الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية طبع بمطابع جامعة عين شمس ١٩٧١ م، وكتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٢ إصدار دار الطباعة للنشر بيروت.

(٢) أنظر كتاب فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي ص ٤٥ (الطبعة الخامسة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م) ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي.

(٣) أنظر كتاب تاريخ اللغات لاسرائيل ولفنسون ص ٧٩ الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩ م مطبعة الاعتماد.

(٤) أنظر كتاب التوراة الهيروغليفية. د. فؤاد حسنين على ص ٥ إصدار دار الكتاب العربي للطباعة والنشر وكتاب العرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسه ص ١٥٦ الطبعة الثانية دار العربي وكتاب الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ١٧ إصدار دار القلم ـ دار العلوم (الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م).

من الاسرائيليين وغيرهم من أبناء الملل الأخرى وجب أن يكون سيدنا موسى عليه السلام قد عاصر اللغة العبرية وتعلمها وأتقنها ونحن لكي نفصل في هذه المسألة... نرجع إلى اللغة العبرية ونؤرخ ظهورها. من ثنايا التوراة نعلم أن الاسرائيليين كانوا قبل العبرية التي اقتبسوها من الكنعانيين بعد تسللهم إلى أرضهم على يد يوشع بن نون... واختلاطهم بالكنعانيين ومضى فترة كافية من الزمن لخلق اللغة الجديدة أعني العبرية والتي هي خليط من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات الأخرى سامية وغير سامية ولن يرجع تاريخ ظهور العبرية الى ما قبل عام ١١٠٠ ق.م. فاللغة العبرية هي اللغة السامية الوحيدة التي لم تولد أو تلازم الناطقين بها منذ ظهورهم في التاريخ والاسرائيليون أنفسهم لم يعرفوا باسم العبريين كشعب ولم يتكلموا العبرية إلا بعد استيطانهم كنعان ومخالطتهم الكنعانيين. أما قبل ذلك فقد كانوا يتكلمون لغة الشعوب المضيفة لهم... والاسرائيليون في مصر كانوا ولا شك يتكلمون المصرية شأنهم شأن غيرهم من الأقوام التي عاشت في كنف المصريين»(١).

وإن كنت أميل إلى ترجيح هذا الرأي الأخير للأسباب التي ذكرها الدكتور فؤاد حسنين إلا أن هذا الترجيح ليس على سبيل الجزم واليقين إذ ربما تثبت المكتشفات العلمية غير هذا في مستقبل الأيام والله أعلم.

متى وأين أنزلت التوراة؟؟؟

أنزلت التوراة على سيدنا موسى - عليه السلام - حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد(٢) وهي الفترة التي بعث فيها موسى - عليه السلام.

وقد كان نزولها في فترة الميقات الذي ضربه المولى جل ذكره لموسى - عليه السلام يقول تعالى:

(١) التوراة الهيروغليفية ص ٤.
(٢) الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد الوافي ص ١٦، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ
مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ
فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ
فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ
عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ
مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾(١).

يذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات: ـ

إن الله عز وجل ضرب موعد لمكالمة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وإعطائه الألواح فذهب سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ إلى جبل سيناء أو طور سيناء وصام ثلاثين يوم استعداداً لمكالمة رب العالمين، فلما أتمها أنكر خلو فيه فاستاك بلحاء شجرة فأنكرت عليه الملائكة ذلك لأن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك فأوحى الله إليه أن يصوم عشرة أيام أخرى فأتم بذلك أربعين يوماً كلم فيها ربه وتلقى الألواح منه وقد حدد المفسرون الثلاثين يوماً بشهر ذي القعدة والعشرة بالعشرة الأيام الأولى من ذي الحجة(٢).

مكان نزول التوراة:

أما عن مكان نزولها فتحدده الآيات القرآنية التالية:

(١) سورة الأعراف آية ١٤٢ ـ ١٤٥.

(٢) أنظر تفسير جامع البيان للطبري ج ٩ ص ٣٢ ـ ٣٣، التفسير الكبير للرازي ج ١٤ ص ٢٢٦، ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٣، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩، المنار ج ٩ ص ١١٩ ـ ١٢٠، في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٣ ص ١٣٦٨ (الطبعة التاسعة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) إصدار دار الشروق.

يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾(٢).

ويقول تعالى في سورة طه ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(٣).

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٤).

ويقول تعالى ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾(٥).

ويقول تعالى في سورة النازعات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(٦).

من خلال الآيات السابقة يتضح لنا أن المكان الذي نزلت فيه التوراة يقع في برية سيناء عند جبل الطور في الوادي المقدس طوى. استدلالاً بقوله تعالى:

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٧).

(٢) سورة مريم آية ٥١ ـ ٥٢.
(٣) سورة طه آية ١٢.
(٤) سورة القصص آية ٤٤.
(٥) سورة القصص آية ٤٦.
(٦) سورة النازعات آية ١٥ ـ ١٦.
(٧) سورة الأعراف آية ١٤٤ ـ ١٤٥.

وقد أشار إلى هذا المكان ابن كثير[1] في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ (يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطيء الوادي)[2].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾.

(يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربيالله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطيء الوادي)[3].

(١) ج ٣ ص ١٢٤.
(٢) ج ٣ ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٣) ج ٣ ص ٣٩١.

الفَصلُ الثّالِث
مَضمُون التّوراة

الفصل الثالث الفصل الثالث

لقد تناولت الآيات القرآنيـة ذكر مـا ورد في التوراة المنـزلة على سيـدنا موسى ـ عليه اسلام جملة وتفصيلاً . . .

ومن الآيات التي تناولت ما ورد فيها جملة ما يلي :

قوله تعالي :

١ - ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾(١) .

٢ - ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾(٢) .

٣ - ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٣) .

٤ - ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾(٤) .

٥ - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾(٥) .

(١) سورة هود آية ١٧ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١.

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٤ .

(٤) سورة الأحقاف آية ١٢ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

٦ - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على أن ما جاء في التوراة المنزلة يوصف بأنه إمام ورحمة وهدى ونور وبصائر وتفصيل كل شيء.

هذا بعض ما ورد بشأنها جملة أما ما ورد فيها على التفصيل فسوف نتناوله في هذا الفصل إن شاء الله حسب الترتيب التالي: ـ

أولاً ـ من الناحية العقدية.

ثانياً ـ من الناحية التشريعية.

ثالثاً ـ من الناحية القصصية.

أولاً ـ من الناحية العقيدية: ـ

إن عقيدة التوحيد والتي هي إفراد الله تعالى وحده بالعبادة لأنه رب العالمين هي كما أسلفت سابقاً الركيزة التي بُعث بها جميع الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ وأحتوتها كذلك جميع الكتب السماوية بما فيها التوراة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

إذن فالأصل في دعوة جميع الرسل بما فيهم موسى ـ عليه وعليهم السلام ـ إفراده تعالى بالعبادة دون سواه وفي هذا الصدد يُشير تعالى إلى الميثاق الذي أخذه على الأنبياء جميعاً، فيقول جل شأنه:

(١) سورة القصص آية ٤٣.

(٢) سورة النحل آية ٣٦.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾(1).

ويقرر تلك الوحدة التي في أصول الرسالات فيقول:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(2).

ثم يبين سبحانه الدين الذي ارتضاه لخلقه والذي بُعث به جميع الأنبياء والمرسلين فيقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾(3) وفي موضع آخر يقول:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(4).

ويقول مادحاً أبا الأنبياء ابراهيم ـ عليه السلام ـ فيقول:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(5).

وهو الدين الذي وصى به يعقوب بنيه.

(1) سورة الأحزاب آية ٧.
(2) سورة الشورى آية ١٣.
(3) سورة آل عمران آية ١٩.
(4) سورة آل عمران آية ٨٣ ـ ٨٥.
(5) سورة البقرة آية ١٣٠ ـ ١٣١.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١) ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(٢).

ويقول تعالى على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ

﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٣).

من الآيات السابقة يتبين لنا أمران:

١ ـ إن جميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانت دعوتهم هي الإسلام فالإسلام هو التوحيد على نحو ما جاء في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٤).

٢ ـ إنهم جميعاً ـ عليهم السلام ـ اتفقوا في أصول العقيدة وهي الدعوة إلى

(١) سورة البقرة آية ١٣٣.
(٢) سورة البقرة آية ١٣٢.
(٣) سورة يوسف آية ٣٧ ـ ٤٠.
(٤) سورة الأنعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣.

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهي الأصول التي أشير إليها في قوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1].

ويشير إلى إتفاق الأنبياء في هذه الأصول الآية التي في سورة الشورى ﴿شرع لكم . . إلخ﴾ الآية، ويقول - ﷺ - (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[2]، وتدل الآية السابقة التي في سورة الشورى على أن ديانة بني اسرائيل الحقة دعت إلى الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وما فيه من جزاء، يقول الدكتور عوض الله حجازي[3] في هذا الصدد: (فإن هذه الآية تبين أن الذي شرعه الله لأمة محمد - ﷺ - هو ما شرعه للأمم السابقة في العقائد ومنهم أمة موسى - عليه السلام - ولما كان الله تعالى قد أوجب علينا بالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر كما قال جل شأنه:

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

فلا بد أن تكون العقيدة اليهودية مشتملة على الإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر، من حيث أن الأديان جميعها متفقة في العقائد).

وننتقل بعد هذا التعميم الى تفصيل ما اشتملت عليه التوراة في مجال العقيدة على ضوء الكتاب والسنة.

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٢) أنظر صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قوله الله:
﴿وأذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾
ج ٤ ص ٢٠٣ مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٣٧.

(٣) أنظر كتابه مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٠١ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م دار الطباعة المحمدية.

أولاً ـ دعوة موسى إلى عقيدة التوحيد:

لقد أورد القرآن الكريم دعوة موسى ـ عليه السلام الى التوحيد وهي بلا شك معبرة عما جاء في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ وذلك حيث يُعلن الحق سبحانه وتعالى لموسى أنه الرب المعبود والإله المربوب فيقول له في أول لقاء حينما كلمه:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1].

ويقول في آية أخرى ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

وفي آية أخرى يقول لموسى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3].

ويقرر القرآن الكريم أن موسى ـ عليه السلام ـ دعا الى عقيدة التوحيد التي أوحى الله بها إليه فأورد على لسانه تقرير هذه الحقيقة في مخاطبته لمن أرسل إليهم:

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾[4].

وأيضاً حينما سأله فرعون عن ربه قائلًا له ولأخيه:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[5].

(١) سورة طه آية ١٢ ـ ١٤.
(٢) سورة القصص آية ٣٠.
(٣) سورة النمل آية ٩.
(٤) سورة طه آية ٩٨.
(٥) سورة طه آية ٤٩ ـ ٥٠.

ونجده أيضاً يقرر أن الدين الذي جاء به هو الإسلام فنجده يقول لاتباعه:

﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾(١).

ويبين لهم إن الله غني عنهم إن هم كفروا به فيقول:

﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٢).

من خلال الآيات السابقة تتضح لنا صفات هذا الإله الحق الذي دعا موسى إلى عبادته فهو الإله الذي لا إله إلا هو رب العالمين وهو الخالق وهو الهادي وهو العليم الذي وسع علمه كل شيء وهو الوكيل وهو الغني عن جميع عباده.

ثانياً ـ دعوة موسى إلى عقيدة الإيمان باليوم الآخر:

إن من مستلزمات عقيدة التوحيد الإيمان بعقيدة اليوم الآخر فهي النتيجة اللازمة التي لا تنفك عن مقدماتها وهي المقياس الضابط لقوة الإيمان والدال على كمال التوحيد ومن ثم اقترنتا في كثير من أي القرآن يقول تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾(٣).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾(٤).

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾(٥).

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(٦)

(١) سورة يونس آية ٨٤.
(٢) سورة ابراهيم آية ٨.
(٣) سورة البقرة آية ٨.
(٤) سورة النساء آية ٨٧.
(٥) سورة النساء آية ١٦٢.
(٦) سورة المجادلة آية ٢٢.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]

وغير ذلك من النصوص.

ونظراً لما لعقيدة البعث من أثر كبير في ترسيخ الإيمان فقد سأل أبو الأنبياء ابراهيم - عليه السلام - ربه أن يريه كيف يحيي الموتى يقول تعالى على لسانه:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

ونجد القرآن الكريم يقرر هذه العقيدة على لسان يوسف - عليه السلام - فيقول:

﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[3].

ويقول تعالى مثبتاً هذه العقيدة فيما أنزله على كل من موسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - وذلك حيث يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4].

أما بالنسبة لرسالة سيدنا موسى - عليه السلام - فشأنه شأن غيره من

(١) سورة المائدة آية ٦٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠.

(٣) سورة يوسف آية ٣٧.

(٤) سورة التوبة آية ١١١.

الرسل إذ دعى ودعى هو إليها يقول تعالى مخاطباً موسى ـ عليه السلام ـ في بدء رسالته:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾[1].

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾[2]

ويقول على لسان موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ:

﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

وفي آية أخرى يذكر خطاب موسى لقومه حينما أوضح لهم المنشأ والمصير:

﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[4].

ويقول تعالى مقرراً ورود هذه العقيدة في صحف موسى:

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[5].

(١) سورة طه آية ١٤ ـ ١٦.
(٢) سورة الأنبياء آية ٤٨ ـ ٤٩.
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٦.
(٤) سورة طه آية ٥٥.
(٥) سورة الأعلى آية ١٦ ـ ١٩.

وهـذه العقيدة كـانت معلومة لـدى سحرة فـرعـون إذ أنهم مـا لبثـوا أن أظهروها بعدما أحبط الله كيدهم يقول تعالى:

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾(١).

وفي آية أخرى يقول تعالى على لسان السحرة:

﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

ويقول تعالى مخاطباً بني اسرائيل ومذكراً لهم بهذه العقيدة:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٣).

ويقول تعالى عنهم:

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٤).

(١) سورة طه آية ٧٢ ـ ٧٦.
(٢) سورة الشعراء آية ٥٠ ـ ٥١.
(٣) سورة البقرة آية ٤٧ ـ ٤٨.
(٤) سورة الأعراف آية ١٦٩.

من مجموع الآيات السابقة نخلص إلى ورود عقيدة الإيمان بالبعث في كتاب الله تعالى المنزل على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ كسائر بقية كتبه التي أنزلها على رسله.

ثالثاً: البشارة بالمصطفى ﷺ في التوراة:

لقد بشر بنبوة المصطفى ـ ﷺ ـ جميع الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وأخذت المواثيق[1] على ذلك، يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[2].

إذن بناء على هذا الميثاق العام المشترك بين جميع الأنبياء لا بد أن يكون كليم الرحمن مندرجاً في هذا الخطاب وملتزماً بهذا الميثاق أيضاً وقد أخبر القرآن الكريم بما اشتملت عليه التوراة والإنجيل من البشارة بنبوة محمد ـ ﷺ ـ يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى

(١) هنالك رأيان في قضية الميثاق فمنهم من يقول أن الله عز وجل هو من أخذ الميثاق على الأنبياء أن بعث محمد في حال حياتهم اتبعوه أو أن عليهم الإيمان والتصديق بكل رسول يأتي من قبل الله مصدقاً لما معهم وهنالك رأي ثان يقول بأن الميثاق أخذه الأنبياء على أقوامهم أن يتبعوا محمداً ﷺ ـ أن بعث.
أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٣ ص٢٣٦، التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ ص ١١٥ ـ ١١٦، تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٢٥، ١٢٦، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٨، تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٥٣، الفتوحات الإلهية للجمل ج ١ ص ٢٩٢، روح المعاني للألوسي ج ٣ ص ٢٠٩، تفسير المنار ج ٣ ص ٣٥٠.

(٢) سورة آل عمران آية ٨١.

كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وفي موضع آخر يقول تعالى في بيان صفة إصحابه:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[2].

وقد ورد ذلك أيضاً في السنة المطهرة: فقد روى البخاري بسنده عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - (قلت: أخبرني عن صفة رسول الله - ﷺ - في التوراة قال: أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً)[3].

وروى البخاري بسنده أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه حديث قدوم رسول الله - ﷺ - إلى المدينة وهو حديث طويل يقول فيه: (فلما جاء نبي الله - ﷺ - جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

(٣) ورد في موضعين:

١ - كتاب البيوع من باب كراهية السخب في السوق ج ٣ ص ٦٧.

٢ - كتاب التفسير تفسير سورة الفتح ج ٦ ص ١٦٩ - ١٧٠ وكذلك ورد في مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ١٧٤ - وورد في سنن الدارمي ولكن باختلاف في السند إذ أنه أورده عن عطاء بن يسار عن ابن سلام ج ١ ص ٥.

فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس فيّ، فأرسل نبي الله - ﷺ - فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله - ﷺ - يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو أنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا، قالوا ما نعلمه قالوا للنبي - ﷺ - قالها ثلاث مرار قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا ذلك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم أن أسلم؟ قالوا حاشى لله ما كان ليسلم قال: أفرأيتم أن أسلم؟ قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: أفرأيتم أن أسلم؟ قالوا حاشى لله ما كان ليسلم، قال: يا بن سلام أخرج عليهم فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق فقالوا كذبت فأخرجهم رسول الله - ﷺ)[1].

وروى الترمذي بسنده عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه)[2].

وروى الدارمي بسنده عن ابن عباس أنه سأل كعب، الأحبار كيف تجد نعت رسول الله - ﷺ - في التوراة (فقال كعب، نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام ليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق ولا يكافيء بالسيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله في كل سراء وضراء ويكبرون الله على كل نجد يوضؤن أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفّون في صلاتهم كما يصفّون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يستمع مناديهم في جو السماء)[3].

(١) باب هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة ج ٥ ص ٧٩ - ٨٠.
(٢) كتاب المناقب باب فضل النبي ﷺ ج ذ ص ٥٨٨ وذكر عن الحديث أنه حسن غريب.
(٣) باب صفة النبي في الكتب قبل مبعثه ج ١ ص ٦.

من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة السابقة تتقرر لدينا الحقيقة وينـاط اللثام عن بعض مـا ورد في التوراة المنزلة على سيـدنا مـوسى ـ عليه السلام ـ من البشرى بمقدم الرسول النبي الأمي وانبلاج على يديه بشروق شمس الإسلام وسطوع نوره الذي أبهر الأحداق وظهور أمته التي فاقت جميع أمم الزمان.

رابعاً ـ غيبيات اشتملت عليها التوراة:

وهي التي تسمى بـالمسعيات ولا يتـأتى العلم بها إلا عن طـريق النقـل (الوحي).

ولقد إشتملت التوراة على أمور غيبية منها ما يتعلق بالذات الإلهيـة وقد ذكـرنا بعضـه فيما تقـدم ـ في دعوة التـوحيـد ـ ونضيف إلى ذلـك مـا ورد في التوراة أيضاً بشأن الصفات الذاتية الخبرية كإثبات اليد والأصبع.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة عن عبد الله قال: جاء حبر[1] إلى رسول الله ـ ﷺ ـ (فقال: يا محمد إن الله يضع السمـاء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبـع والشجر والأنهـار على إصبع وسـائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده أنا الملك فضحـك رسول الله ـ ﷺ ـ وقـال: وما قدروا الله حق قدره)[2].

ومنها ما يتعلق بالساعة وأشراطها والجنة والملائكة...

روى البخـاري بسنده عن أنس قـال: سمـع عبـد الله بن سـلام بقـدو رسول الله ـ ﷺ ـ وهو في أرض يخترف[3] فأتى النبي ـ ﷺ ـ وقال (إني سائك عن ثـلاث لا يعلمهن إلا نبي، فما أول أشـراط الساعـة، وما أول طعـام أهل الجنة، وما ينزعُ الولد إلى أبيه أو إلى أمـه، قال: أخبـرني بهن جبريـل آنفاً، قال جبريل، قال: نعم، قال ذلك عدو اليهود من الملائكة، فقـرأ هذه الآيـة:

(١) جاء في لسان العرب (الحبر والحِبر) العالم ذمياً كان أو مسلماً بعـد أن يكون من أهـل الكتاب والحبر بالفتح معناه العالم بتحبير الكلام وتحسينه ج ٤ ص ١٥٧.

(٢) كتاب التوحيد باب أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ج ٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾.

(٣) معناها أي يجتني الثمار ـ أنظر لسان العرب ج ٩ ص ٦٤.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذ سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت[1] وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني فجاءت اليهود فقال النبي - ﷺ - أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا: خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم أن أسلم عبد الله بن سلام؟ فقالوا أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله)[2].

وقد ورد في مسند الإمام أحمد بزيادة (قالوا: خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابن عالمنا وأفقهنا وابن أفقهنا)[3].

ومنها ما يتعلق بحياة البرزخ وعذاب القبر...

فقد روى النسائي بسنده عن جسرة قالت: حدثتني عائشة - رضي الله عنها - قالت دخلت على امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول، فقلت: كذبت، فقالت بلى إنا لنقرض منه الجلد والثوب فخرج رسول الله - ﷺ - إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا، فقال: ما هذا؟ فأخبرته بما قالت، فقال: صدقت فما صلى بعد يومئذ صلاة إلا قال في دبر الصلاة رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذني من حر النار وعذاب القبر)[4].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال: خرج علينا رسول الله - ﷺ - وفي يده كهيئة الدرقة[5]، قال:

(1) ورد في لسان العرب (بَهَتَ الرجل يَبْهَتُه بَهْتاً، وبُهتاً، وبُهتاناً فهو بَهّات أي قال عليه ما لم يفعله، والبُهتُ والبهيتةُ: الكذب) ج ٢ ص ١٢ - ١٣.

(٢) من كتاب التفسير باب قوله من كان عدواً لجبريل ج ٦ ص ٢٣.

(٣) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ١٠٨.

(٤) من كتاب السهو باب التهليل بعد التسليم ج ٣ ص ٧٢.

(٥) الدرقة الحجفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. أنظر لسان العرب ج ١٠ ص ٦٥، وتاج العروس ج ٦ ص ٣٤٢.

فوضعها ثم جلس فبال إليه النبي - ﷺ - فقال بعض القوم: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، قال: فسمعه النبي - ﷺ - فقال ويحك أما علمت ما أصاب صاحب بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم فعذب في قبره)[1].

ومنها ما يتعلق بفضل يوم الجمعة والساعة المستجابة فيه:

روى النسائي بسنده عن أبي هريرة قال أتيت الطور فوجدت ثمّ كعباً فمكثت أنا وهو يوماً أحدثه عن رسول الله - ويحدثني عن التوراة فقلت له: قال رسول الله ﷺ - خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ما على الأرض من دابة إلا وهي تُصبحُ يوم الجمعة مُصيخة حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا ابن آدم وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه فقال كعب ذلك يوم في كل سنة فقلت بل هي في كل جمعة فقرأ كعبُ التوراة ثم قال صدق رسول الله - ﷺ - هو في كل جمعة). ويروي أبو هريرة أنه بعد ذلك قابل عبد الله بن سلام وأخبره بما حدث بينه وبين كعب فكذب عبد الله كعباً في قوله الأول وهو كونها في كل سنة مرة ثم صدقه بعد أن قال: بأنها في كل جمعة، فقال عبد الله: صدق كعب إني لأعلم تلك الساعة فقلت يا أخي حدثني بها قال هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس)[2].

وروى الدارمي بسنده عن أبي هريرة قال: التقيت أنا وكعب فجعلت أحدث عن رسول الله - ﷺ - وجعل يحدثني عن التوراة حتى أتينا على ذكر يوم الجمعة فقلت إن رسول الله - ﷺ - قال إن فيها لساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل فيها خيراً إلا أعطاه إياه)[3].

من جملة هذه النصوص السابقة نخلص الى اشتمال التوراة المنزلة

(١) ورد مرتين في مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ١٩٦.
(٢) كتاب الجمعة ج ٣ ص ١١٤، ١١٥.
(٣) كتاب الصلاة باب الساعة التي تذكر في الجمعة ج ١ ص ٣٦٨.

على موسى ـ عليه السلام ـ على عدة أخبار غيبية ـ فصفات الباري جل شأنه لا تعلم إلا عن طريق الشرع وكذلك أشراط الساعة وأحوال أهل الجنة والملائكة وما لا يمكن التحصل عليه بالطريق الكسبي من الأمور الغيبية كنزوع الولد إلى الأم أو إلى الأب وحياة البرزخ وما فيها من عذاب أو نعيم وساعات الإجابة كل هذا من الأمور الغيبية والتي يقف حيالها العلم الكسبي عاجزاً ولا يجد إليها سبيلاً غير الإصغاء وإرهاف الآذان لنصوص الوحي المقدس، إذ لو لم ترد هذه الغيبيات في كتال الله المنزل على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ لما حصل لليهود علم بها ولما جادلوا وناقشوا رسول الله ـ ﷺ ـ فيها.

ثانياً ـ من الناحية التشريعية:

إن من رحمته تعالى بعباده أن جعل هنالك تشريعات تتواءم مع أحوال البشر وظروفهم الزمانية والمكانية وتختلف بناء على هذا من رسول لآخر ومن أمة لأخرى، يقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

ذهب المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة إلى أن الخطاب في قوله (منكم) موجه للأمم الثلاثة أمة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وأمة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ وأمة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ أجمعين. ومعنى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً أي لكل أمة شريعة فالتوراة شريعة والإنجيل شريعة والقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد.

والشريعة من الشرع وهو البيان والإظهار من شرع أي بين وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية الى الدين والمنهاج هو الطريق الواضح المؤدي إلى الشريعة.

وقد فسر قتادة شرعة ومنهاجاً فقال أي سبيلاً وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل التغير هو التوحيد والإخلاص لله والإيمان بما جاءت به الرسل عليهم السلام[1].

إذن هنالك اتفاق في الأصول العقدية كما تقدم واختلاف في كيفية التشريعات لا في مسمياتها ولسوف نتناول نماذج من هذا الجانب التشريعي في التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ـ مستنيرين بكتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبسنة نبيه المصطفي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

١ ـ من ناحية العبادات:

تأخذ الصلاة الصدارة على جميع العبادات الأخرى إذ أنها تمثل لدى جميع الديانات الجانب التعبدي المحض فهل يا ترى وردت في التوراة أم لا؟

ونجيب بالبداهة العقلية بالإثبات إذ أنه لا يتصور في ديانة كبيرة كهذه خلوها من أهم مظهر من مظاهر التعبد يقول الدكتور عوض الله حجازي[2]: ـ (يبدو أن أصول الشريعة الإسلامية وأركانها كانت موجودة في الديانة اليهودية وإنما الخلاف بينهما قد يكون في الكيفية. فالصلاة وهي ركن من أركان الإسلام كانت مشروعة في الديانة اليهودية). بل وقبلها في شريعة ابراهيم عليه السلام.

ومصداق هذا القول قول الله تعالى لإبراهيم ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

(١) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٦ ص ١٧٤، التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١٢ ـ ١٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٦٦، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٤٥، الفتوحات الإلهية لسليمان العجيلي الشهير بالجمل ج ١ ص ٤٩٧، روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ١٥٣ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ٦ ص ٤١٣.

(٢) أنظر كتابه مقارنة الأديان اليهودية والإسلام ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

فقد ورد في تفسير القائمين أي المصلين[1] وذكر الركوع والسجود لبيان أركان الصلاة.

وأيضاً في خطاب الله لموسى:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[2] وقوله أيضاً ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3].

وإثباتاً أيضاً لورود الصلاة في شريعة موسى قوله تعالى:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[4].

وهناك شواهد من السنة النبوية على ورود الصلاة في التوراة... فقد روى الإمام أحمد بسنده عن صهيب عن النبي - ﷺ - قال:

(كانوا - أي الأنبياء[5] يفزعون إذا فزعوا إلى الصلاة)[6].

وأيضاً ليلة الإسراء برسول الله - ﷺ - وإفترض الصلاة.

روى البخاري بسنده عن ابن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي -

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢١٦، أنظر فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ٤٤٨ انظر تفسير الفخر الرازي ج ٢٣ ص ٢٧ وهناك رأى ثاني للقائمين أي المقيمين والركع السجود أي المصلين وقد أورده أيضاً الفخر الرازي مع الرأي السابق، وانظر روح المعاني للألوسي ج ١٧ ص ١٤٣.

(٢) سورة طه آية ١٤.

(٣) سورة يونس آية ٨٧.

(٤) سورة الأعلى آية ١٤ - ١٩.

(٥) الذي أوضح المراد من لفظه (كانوا) هو الإمام الشوكاني في تفسيره فتح القدير ج ١ ص ٨١.

(٦) وقد ورد هذا الحديث في موضعين من المسند في ج ٤ ص ٣٣٣ وفي ج ٦ ص ١٦.

ﷺ ـ والحديث طويل وكان مما ورد فيه قول رسول الله ـ ﷺ ـ (ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت؟ قال: أُمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإن والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك) وظل صلوات الله وسلامه عليه يتردد بين الله عز وجل وبين سيدنا موسى عليه السلام حتى خفف الله عنه إلى خمس صلوات فقال سيدنا موسى عليه السلام (إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة)[1].

وفي رواية ثانية «يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه)[2].

وروى النسائي بزيادة أن سيدنا موسى عليه السلام قال (فإنه فرض على بني اسرائيل صلاتين فما قاموا بهما)[3].

إذن مما سبق يتضح لنا إن الله سبحانه وتعالى قد أورد الصلاة في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ وجعلها من ضمن الشريعة التي كلف بها بنو اسرائيل.

وكذلك الزكاة فقد وردت أيضاً في شريعة عليه السلام. يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾[4].

والصيام أيضاً قد ورد في شريعة موسى عليه السلام يقول تعالى:

(١) في كتاب الأنبياء باب المعراج ج ٥ ص ٦٦ ـ ٦٩، أنظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ـ ﷺ ـ إلى السموات وفرضت الصلوات ج ١ ص ١٤٥ ـ ١٤٧.

(٢) أيضاً للبخاري من كتاب التوحيد باب قوله وكلم الله موسى تكليماً ج ٩ ص ١٨٤.

(٣) في سنن النسائي كتاب الصلاة ج ١ ص ٢٢٣.

(٤) سورة المائدة آية ١٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وقد اتفق المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية على وجود الصيام لدى الأمم السابقة على اختلاف بينهم في الأصل أو الكيفية[2].

يقول الإمام الشوكاني[3] رحمه الله «واختلف المفسرون في وجه التشبيه ما هو فقيل هو قدر الصوم ووقته فإن الله كتب على اليهود والنصارى صوم رمضان فغيروا. وقيل: هو الوجوب فإن الله أوجب على الأمم الصيام.

وقيل هو الصفة. أي ترك الأكل والشرب ونحوهما في وقت.

فعلى الأول معناه أن الله كتب على هذه الأمة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم.

وعلى الثاني أن الله أوجب على هذه الأمة الصيام كما أوجبه على الذين من قبلهم.

وعلى الثالث أن الله سبحانه أوجب على هذه الأمة الإمساك عن المفطرات كما أوجبه على الذين من قبلهم».

وورد في المنار: (وقد كتب على أهل الملل السابقة فكان ركناً من كل دين لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفي أعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا.

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

(٢) رأى المفسرين: هناك من يقول في أصل إيجاب الصوب أي أن هذه العبادة مفروضة من آدم إلى عهدكم أو أن التشبيه يعود إلى وقت الصوم وقدره. تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ٨٩ روح المعاني للألوسي ج ٢ ص ٥٦. ابن كثير ج ١ ص ٢١٣. الدر المنثور للسيوطي ج ١ ص ٤٢٧. فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ١٧٩ ـ ١٨١. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ج ٢ ص ٧٥.

(٣) فتح القدير ج ١ ص ١٨٠.

كما فرضه على الذين من قبلنا إشعار بوحدة الدين في أصوله ومقصده)[1].

إذن من خلال هذه الآية وآراء المفسرين لها يثبت لنا ورود الصيام في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام.

وهنالك شواهد من السنة النبوية. فقد روى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة واليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذي ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ ـ نحن أولى بموسى منهم فصوموه)[2].

وفي رواية أيضاً (نحن أحق بصومه فأمر بصومه)[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر وإن اليهود والنصارى يؤخرون)[4]. وقد ورد في كتب التفسير[5] حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم).

من خلال الأحاديث السابقة نستدل على ورود الصيام في التوراة المنزلة إذ لو لم يكن وارداً فيها لما علمه اليهود وفعلوه إذ هو من العبادات التي لا يتوصل إليها إلا عن الطريق النقلي فقط والله أعلم.

والحج قد دعا إليه أبو الأنبياء ـ عليه السلام ـ من قبل موسى يقول الله تعالى لإبراهيم.

(١) تفسير المنار ج ٢ ص ١٤٣.
(٢) في كتاب التفسير تفسير سورة طه ج ٦ ص ١٢١.
(٣) باب اتيان اليهود النبي ـ ﷺ ـ حيث قدم المدينة ج ٥ ص ٨٩.
(٤) ج ٢ ص ٤٥٠.
(٥) ورد في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٢١٣، أنظر الدر المنثور للسيوطي ج ١ ص ٤٣٠، أنظر فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ١٨١.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

وقد ذكر المفسرون أنه حينما أمر إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالأذان في الناس بالحج صعد على جبل أبي قبيس[2] فنادى فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء. وزاد بعضهم فليس من حاج يحج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ[3].

إذن من خلال هذه الآية الكريمة نستدل على : ـ

أولاً: أن الحج من التكاليف الشرعية التي افترضها المولى جل وعلا منذ عهد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ولا زالت إلى عهد نبوة محمد ـ ﷺ ـ فلا بد وأن يكون بناء على هذا قد فرض على بني إسرائيل أيضاً لأنه أمر تكليفي لم ينسخ منذ إبراهيم عليه السلام إلى عهد محمد ـ ﷺ.

ثانياً: وأيضاً خطاب المولى جل وعلا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ كان عاماً فإنه لم يقل له آذن أو اعلم قومك فقط ولكن أذن في الناس فاطلق الأذان للناس وجعله عاماً لكل الناس ولا زال المجيبون لنداء أبي الأنبياء يتوافدون على بيت الله الحرام منذ ذلك الحين إلى يومنا الحالي وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: ما دام الخطاب عاماً لكل الناس وعلى مدى الدهور فلا بد وأن يكون بنو إسرائيل من هؤلاء المأمورين بالحج والله أعلم.

(١) سورة الحج آية ٢٧.

(٢) بعض الروايات تذكر أنه على المقام، ذكر هذا الإمام الشوكاني في تفسيره والفخر الرازي.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٦، التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٣ ص ٢٧ ـ ٢٨ تفسير روح المعاني للألوسي ج ١٧ ص ١٤٣، جامع البيان للطبري ج ١٧ ص ١٠٦ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٢ ص ٣٨، الفتوحات الإلهية للجمل ج ٣ ص ١٦٣د الدر المنثور للسيوطي ج ١٧ ص ٣٣ ـ ٣٤، تفسير أبو السعود ج ٦ ص ١٠٦، فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ٤٤٨.

وهنالك حديث رواه الإمام مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: سرنا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد. فقال: «أي واد هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق». فقال: «كأني أنظر إلى موسى ﷺ (فذكر من لونه وشعره شيئاً لم يحفظه داود - راوي الحديث عن ابن عباس) واضعاً إصبعيه في أذنيه له جوار إلى الله بالتلبية ماراً بهذا الوادي» قال: «ثم سرنا حتى أتينا على ثنية. فقال «أي ثنية هذه؟» قالوا: هرشى أو لفت. فقال: «كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف. خطام ناقته ليف خلبه. ماراً بهذا الوادي ملبياً»[1].

وفي رواية ثانية قال: «كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية[2].

وفي رواية أخرى «وأما موسى فرجل آدام جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأني أنظر إليه إذا انحدر في الوادي يلبي»[3].

والجهاد أيضاً قد ورد في التوراة يقول تعالى:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[4].

وفي آية أخرى يقول تعالى على لسان موسى آمراً بني اسرائيل بالجهاد:

(١) أنظر صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ الى السموات وفرض الصلوات ج ١ ص ١٥٢ رقم الحديث ٢٦٩.
(٢) المرجع السابق حديث رقم ٢٦٨ ص ١٥٢.
(٣) المرجع السابق حديث رقم ٢٧٠ ص ١٥٣.
(٤) سورة التوبة آية ١١١.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[1].

فكان ردهم المتخاذل لسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ والذي ينم عن جبنهم وخورهم ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[2] ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[3].

ثانياً ـ الحدود:

لما كانت الشرائع السماوية حريصة كل الحرص على حماية الأصول أو المقاصد الخمسة[4] والتي لا يهنأ الإنسان إلا بسلامتها، فقد سنت الحدود وشرعتها لما لها من أهمية كبرى في ردع النفوس الضعيفة وتقويم السلوك المعوج ونصرة للمظلوم والأخذ على يد الظالمين والجانب التشريعي في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ لم يُغفل هذا اومر بل نال حظه الوافر فيه، يقول تعالى عن التوراة وما كتبه فيها على بني إسرائيل:

﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥ ﴾[5].

وقد حرمت التوراة القتل بغير حق واعتبرته قتلاً للناس جميعاً، يقول

(١) سورة المائدة آية ٢١.
(٢) سورة المائدة آية ٢٤.
(٣) سورة المائدة آية ٢٢.
(٤) المقاصد الخمسة هي الدين ـ النفس ـ العقل ـ النسب ـ المال.
(٥) سورة المائدة آية ٤٥.

تعالى بعد أن أورد قصة ابني آدم وما حدث فيها من قتل أحدهما للآخر مستنكراً لهذا الجُرم الفظيع وهو قتل النفس بغير حق، يقول تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1].

وأيضاً استنكار موسى ـ عليه السلام ـ على العبد الصالح في سورة الكهف حينما قتل الغلام فيه أيضاً ـ دلالة على تحريم قتل النفس بغير حق، يقول تعالى:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[2].

وقد كان هذا بعد نزول التوراة.

الأمور الموجبة للحد في التوراة:

١ ـ الشرك بالله تعالى أو الإرتداد: وحده القتل.

لقد كانت توبتهم لا تقبل إلا بقتلهم أنفسهم، يقول تعالى على لسان موسى ـ عليه السلام ـ لقومه بعد عبادتهم للعجل

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

(١) سورة المائدة آية ٣٢.

(٢) سورة الكهف آية ٧٤.

(٣) سورة البقرة آية ٥٤.

وقد اختلف المفسرون في كيفية القتل، فمنهم من قال بأن كل من عبد العجل يقتل نفسه بنفسه ومنهم من قال إن من لم يعبدوا العجل يقتلون من عبدوه ومنهم من قال المراد بالقتل هنا أمر معنوي وهو قتل شهوات النفس والأرجح عندي هو قتل النفس حقيقة والله أعلم بمراده.

٢ ـ قتل النفس بغير حق: وحده القتل قصاصاً.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من الآيات في الحدود، فقد أورد الإمام البخاري رضي الله عنه ـ بسنده في صحيحه عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يقول: (كان في بني اسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الديّة فقال الله تعالى لهذه الأمة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾[1] مما كتب على من كان قبلكم)[2].

٣ ـ الزنا وهو من الجرائم التي تستوجب الحد فقد ورد في أسباب نزول قول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ ﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ

(١) سورة البقرة آية ١٧٨.

(٢) كتاب التفسير باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر إلى قوله عذاب عظيم ج ٦ ص ٢٨ ـ ٢٩.

ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

يروي ابن كثير «أن هذه الآيات نـزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانـوا قد بدلـوا كتاب الله الـذي بأيـديهم من الأمر بـرجم من أحصن منهم فحرفـوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلده والتحميم والأركاب على حمارين مقلوبين فلمـا وقعت تلك الكائنـة بعد الهجـرة قالـوا فيمـا بينهم تعـالـوا حتى نتحاكم إليه فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجـة بينكم وبين الله ويكـون نبي من أنبياء الله قـد حكم بينكم بذلـك وإن حكم بـالـرجم فـلا تتبعوه في ذلك»[2].

أما السنة المشرفة فقد تناولته بشيء من التفصيل. . .

وقـد روى البخاري بسنـده عن ابن عمـر - رضي الله عنهمـا - قـال أتى النبي - ﷺ - برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقـال: لليهود مـا تصنعون بهمـا؟ قـالوا: نسحم وجـوههم ونخزيهمـا، قـال: فـأتـوا بـالتـوراة فـاتلوهـا إن كنتم صادقين، فجاؤوا فقالوا لرجل ممن يرضون يـا أعور اقـرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه قال: إرفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الـرجم تلوح فقال: يا محمد إن عليهما الرجم ولكنا نكاتمه بيننـا فأُمـر بهما فـرجما فـرأيته يجانىء عليها الحجارة)[3].

(١) سورة المائدة آية ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العـظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٨، كتـاب أسباب النـزول للنيسابـوري ص ١٣٠ . ١٣٢.

(٣) كتـاب التوحيـد باب مـا يجوز من تفسـير التوراة وغـيرها من كتب الله بـالعربيـة وغيرهـا ج ٩ ص ١٩٣، أنظر مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٥، وهنالك روايتان بنفس السند أوردهمـا الإمام البخاري في صحيحه الأولى من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب الرجم في البـلاط ج ٨ ص ٢٠٥، والثانية في نفس الكتاب السابق باب أحكام أهل الذمـة وأحصانهم إذا زنـوا ورفعوا الى الأمام ج ٨ ص ٢١٤، وأورد هذه الرواية أيضاً كل من: -
١ - صحيح مسلم في كتاب الحـدود باب رجم اليهـود أهل الـذمة في الـزنا ج ٣ ص ١٣٢٦ حديث ٢٦ - ١٦٩٩.
٢ - أنظر سنن أبي داود كتاب الحدود باب في رجم اليهوديين ج ٤ ص ١٥٣ حديث ٤٤٤٦.

وأيضاً روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن اليهود جاؤوا إلى النبي - ﷺ - برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: (كيف تفعلون بمن زنى منكم قالوا: نحممهما ونضربهما فقال: لا تجدون في التوراة الرجم، فقالوا: لا نجد فيها شيئاً، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مُدِرسُهَا الذي يُدرسُها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما ورائها ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال ما هذه فلما رأوا ذلك قالوا هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة)(١).

وروى مسلم بسنده عن البراء بن عازب قال: مر على النبي - ﷺ - بيهودي محمماً مجلوداً - فدعاهم - ﷺ - فقال: (هكذا تجدون حد الزنا في كتابكم؟) قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: (أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟) قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد الرجم ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلناه التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله - ﷺ -: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)، فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه. يقول ائتوا محمد - ﷺ - فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

(١) كتاب التفسير تفسير سورة آل عمران ج ٦ ص ٤٦ - ٤٧، أنظر صحيح مسلم كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ج ٣ ص ١٣٢٧ - سنن الدارمي كتاب الحدود باب في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) سورة المائدة آية ٤٤.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١)، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٢)، في الكفار كلها(٣).

وروى أبو داود بسنده عن أبي هريرة قال: (زنا رجل وامرأة من اليهود وقد أحصنا حين قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة وقد كان الرجم مكتوباً عليهم في التوراة فتركوه وأخذوا بالتجبيه، يضرب مائة بحبل مطلى بقار ويحمل على حمار وجهه مما يلي دبر الحمار، فاجتمع أحبار من أحبارهم فبعثوا قوماً آخرين إلى رسول الله ـ ﷺ فقالوا: سلوه عن حد الزنى)(٤).

بعض ما حرمته التوراة:

لقد حرم في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ الربا وأكل أموال الناس بالباطل وأيضاً عوقبوا بتحريم بعض الطيبات بقول تعالى:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٥).

أما الطيبات التي عوقبوا بتحريمها فهي كما وردت في القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ

(١) سورة المائدة آية ٤٥.

(٢) سورة المائدة آية ٤٧.

(٣) كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا ج ٣ ص ١٣٢٧ حديث ٢٨ ـ ١٧٠٠ أنظر سنن أبي داود ج ٤ ص ١٥٤ رقم الحديث ٤٤٤٨ من كتاب الحدود باب في رجم اليهوديين، ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٢٨٦.

(٤) كتاب الحدود باب في رجم اليهوديين ج ٤ ص ١٥٦ حديث ٤٤٥١ وقد أورده أيضاً بزيادة في نفس الكتاب والباب حديث ٤٤٥٠ ج ٤ ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٥) سورة النساء آية ١٦٠ ـ ١٦١.

﴿ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[1].

يقول المفسرون في قوله تعالى ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ أي كل شيء لم تنفرج قوائمه من البهائم وما انفرج أكلته اليهود[2].

وسمى بعضهم الحافر ظفراً[3] على سبيل المجاز إلا أن الرازي[4] أنكر هذا الأمر بدلالة إباحة لحم البقر والغنم لهم وأوجب حمل الظفر على المخالب والبراثن فيدخل فيه السباع والكلاب والسنانير والطيور الجارحة، وقد أباح الله تعالى لهم لحم البقر والغنم وحرم عليهم شحومها واستثنى في التحريم من هذه الشحوم ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها وكذلك المباعر أو المصارين وشحم الإلية لاتصاله بعظمة العصعص.

وللمفسرين في هذه الآية تفصيلات وآراء عدة من أراد التوسع في هذا الأمر فليراجعها هنالك في كتب التفسير.

ويقول تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5].

وقد اتفق المفسرون[6] على أن المراد بقوله تعالى ما قصصنا عليك من قبل أي الأشياء التي ورد تحريمها على اليهود في سورة الأنعام.

(١) سورة الأنعام آية ١٤٦.
(٢) أنظر روح المعاني للألوسي ج ٨ ص ٤٧، فتح القدير ج ٢ ص ١٧٢، الكشاف ج ٢ ص ٥٨، ابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ ـ ١٨٥، القرطبي ج ٧ ص ١٢٥، تفسير أبو السعود ج ٣ ص ١٩٥، الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٣٧٧، الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٣) أنظر روح المعاني للألوسي ج ٨ ص ٤٧، فتح القدير ج ٢ ص ١٧٤، القرطبي ج ٧ ص ١٢٥، تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٩٥، الفتوحات الإلهية ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٤) أنظر تفسير الجامع الكبير ج ١٣ ص ٢٢٣ وقد وافقه المنار ونقل عنه ج ٨ ص ١٧٠ ـ ١٧١ ورجح هذا الرأي صاحب فتح القدير ج ٢ ص ١٧٤.
(٥) سورة النحل آية ١١٨.
(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٣٣، ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٠، روح المعاني=

أما السنة الشريفة فقد ورد فيها ما يشير إلى هذا الأمر.

فقد روى البخاري بسنده عن يزيد بن حبيب قال عطاء سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ سمعت النبي ـ ﷺ ـ قال: قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوه ثم باعوها فأكلوها)[1].

روى مسلم بسنده عن ابن عباس قال: بلغ عمر أن سمره باع خمراً فقال: قاتل الله سمره ألم يعلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها)[2].

ثالثاً ـ القصص:

لما كان الأسلوب القصصي من أنجح الوسائل الفعالة في أي دعوة من الدعوات وذلك لأن التكاليف والأحكام لا تتوجه بالأمر أو النهي مباشرة إلى المكلف ولكنه من خلال القصة يعاين مندوحات الفعل لدى الغير فترغب نفسه إليه أو قبحه فتنزجر عنه وتنفر منه لذلك أولت الكتب السماوية ذلك الأسلوب كل عناية ومن ضمن هذه الكتب التي أولت الأسلوب القصصي جُل اهتمامها التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ وسوف أقتصر على إيراد نموذجين مستنيرة في ذلك بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ـ ﷺ.

أولاً ـ ورود قصة آدم ومعصيته التي إرتكبها وتوبة الله عليه في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ـ فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (إحتج آدم

= للألوسي ج ١٤ ص ٢٤٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ١٩٧، فتح القدير ج ٣ ص ٢٠٢، أبي السعود ج ٥ ص ١٤٨، الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٥، الكشاف ج ٢ ص ٤٢٣.

(١) كتاب التفسير تفسير سوة الأنعام ج ٧ ص ٧٢ ورواه أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ج ٣ ص ١٢٠٧ حديث رقم ٧١ ـ ١٥٨١، أنظر سنن النسائي كتاب الزينة باب النهي عن الانتفاع بشحوم الميتة ج ٧ ص ١٧٧.

(٢) كتاب المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ج ٣ ص ١٢٠٧ حديث ٧٢ ـ ١٥٨٢، أنظر سنن النسائي كتاب النهي عن الانتفاع بشحوم الميتة ج ٧ ص ١٧٧.

وموسى ـ عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته، ثُم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذي إصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب في التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى؟ بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟) قال رسول الله ـ ﷺ: (فحج آدم موسى)[1].

ثانياً ـ وردت كذلك قصة ابني آدم والقرابين التي قدموها وقتل أحدهما للآخر يقول تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ ... مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]

(١) كتاب القدر باب إحتجاج آدم وموسى عليهما السلام ج ٤ ص ٢٠٤٣ حديث ١٥.

(٢) سورة المائدة آية ٢٧ ـ ٣٢.

ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية ﴿من أجل ذلك﴾ يعني بسبب القتل الذي حصل كتبنا أي فرضنا وأوجبنا وشرعنا لهم وأعلمناهم[1].

قال الألوسي (بسبب هذه العظيمة كتبنا في التوراة تعظيم القتل)[2].

إذن من خلال ما ذهب إليه المفسرون يتضح لنا ورود قصة ابني آدم في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ لأن النص القرآني قد جعل تلك القصة علة في هذا التشريع والله أعلم.

هذا ومن خلال ما عرضه القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم السابقة نستطيع القول بأن التوراة المنزلة اشتملت على كثير من هذه القصص كقصة نوح وابراهيم ويوسف وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانت قد اعتراها التحريف أو التبديل في التوراة التي بأيدي اليهود.

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ١٤٦، الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٦٤ فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٣٣، تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج ٦ ص ٣٤٨.

(٢) أنظر تفسير روح المعاني ج ٦ ص ١١٧.

أين التوراة المنزلة؟

بعد هذه اللمحات الخاطفة عن التوراة ذلك الكتاب السماوي المنزل على كليم الرحمن موسى ـ عليه السلام ـ يبدو لنا سؤال وهو: أين هي هذه التوراة المنزلة على موسى عليه السلام ـ أهي الموجودة بين أيدي اليهود الآن أم لا؟ وبالمقابلة بين هذه وتلك ترجح كفة النفي على كفة الإثبات وذلك لما يلي : ـ

أولاً ـ لقد ثبت بما لا يقبل أدنى شك بأن التوراة الحالية والتي بين أيدي اليهود ليست هي نفسها التوراة المنزلة على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وعلماؤهم معترفون بهذا الأمر يقول ابن القيم[1]: (فإن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة لأن موسى صان التوراة عن بني اسرائيل ولم يبثها فيهم خوفاً من إختلافهم من بعده في تأويل التوراة المؤدي إلى انقسامهم أحزاباً)، ثم ذكر بعد ذلك أنه لم يسلمها إلا لعشيرته أولاد لاوى ولم يعط بني اسرائيل من التوراة إلا نصف سورة، أما بقية التوراة فيقول عنها (وأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم، فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت

(١) أنظر كتابه هداية الحياري ص ١٠٨ ـ ١٠٩/ الناشر المكتبة القيمة القاهرة ١٣٩٨ هـ.

المقدس ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة).

ثم يقول: (فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزيز وإن كان فيها أو أكثرها من التوراة التي أنزلها الله على موسى).

وهي مع هذا مليئة بالأخبار المتناقضة والدالة على تحريفها ولسوف نتناول هذا الأمر بالتفصيل في الباب الثاني إن شاء الله.

ثانياً ـ عدم اتفاق اليهود وإجتماعهم على توراة واحدة بل نجد للسامره توراة تختلف عن التوراة العبرانية واليونانية في الألفاظ والمعاني (فعلى سبيل المثال نقرأ في العبرانية هكذا (وإرفكشاد ولد شالح ولد عابر) تك ١٠ : ٢٤ ـ ونقرأ الآية نفسها في اليونانية هكذا: (وإرفكشاد ولد قينان ولد شالح). . . وعلى سبيل المثال أيضاً نقرأ في السامرية هكذا: (جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون) ـ ٤٦ ـ ٢٧ ـ ونقرأ الآية نفسها في اليونانية هكذا: (جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر خمسة وسبعون)[1]. ومثال آخر نرى فيه شدة الإختلاف (أن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦، وعلى وفق اليونانية ألفان ومئتان وإثنتان وستون سنة ٢٢٦٢، وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين ١٣٠٧)[2].

(١) التوراة السامرية ـ النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن اسحاق الصوري ـ نشرها وعرف بها الدكتور أحمد حجازي السقا ص ١٣ ـ ١٤ الطبعة الأولى بمصر ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م طبع دار البيان الناشر مكتبة دار الأنصار.

(٢) إظهار الحق رحمة الله الهندي ج ١ ص ٣٣٨.

فإذن عدم اتفاق اليهود على توراة واحدة متحدة الألفاظ والمعاني وادعاء كل فريق منهم أن ما لديه حق وما لدى غيره باطل لهو أكبر دلالة على أن ما بأيديهم من توراة ليست هي نفسها المنزلة على موسى ـ عليه السلام.

إذا لم تكن التوراة التي بأيدي اليهود هي توراة موسى ـ عليه السلام ـ فأين هي التوراة المنزلة؟؟؟

في الحقيقة أن للعلماء آراء في الإجابة على هذا السؤال فمنهم من يرى أنها فقدت أو انعدمت من على وجه الأرض في حادثة بختنصر وقد ذهب إلى هذا الرأي الشيخ رحمة الله الهندي[١] حيث يقول (وفي حادثته[٢] انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم ولما كتب عزراً هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنيتوكس)[٣].

ورأى ثان: يرى أن بعضها ضاع والبعض الآخر قد حُرف منها والقائل بهذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية[٤] وقد وافقه على ذلك الدكتور أحمد شلبي وزاد على ذلك بالاستدلال بالآيات القرآنية، إذ يقول: (ويجيبنا القرآن الكريم على هذا التساؤل بأن اليهود أهملوا بعضها فضاع وحرفوا بعضها على نحو ما

(١) الشيخ رحمة الله الهندي: ـ الشيخ رحمة الله بن خليل الله بن الحكيم الكيرانوي ولد عام ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٨ م ـ تعلم العربية والطب وعلوم الرياضة ألف الكتب الكثيرة في الرد على النصارى، ناظر القس بفندر وظهر عليه وأرغمه على الإعتراف بتحريف الإنجيل أمام الناس، سافر إلى مكة ودرَّس في المسجد الحرام ثم سافر إلى القسطنطينية تلبية لدعوى السلطان عبد العزيز خان وطُلِب منه أن يكتب المناظرة التي جرت بينه وبين بفندر فألف إظهار الحق وقدمه للسلطان عام ١٢٧٠ هـ وعندما عاد إلى مكة أسس مدرسة نظامية تربوية هي المدرسة الصولتيه توفي سنة ١٣٠٨ هـ.

(٢) أي في حادثة بختنصر وإعتدائه على أورشليم أيام الغزو البابلي لفلسطين.

(٣) نفس المرجع السابق ج ١ ص ١٠٤.

(٤) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ولد في العاشر من ربيع الأول عام ٦٦١ هـ في حران نشأ في أسرة علمية عملها البحث والدراسة تمذهب بمذهب الإمام أحمد بن حنبل وكافح عن دين الله بقلمه ولسانه توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ وهو سجين في قلعة بدمشق وقُبر بجانب أخيه شرف الدين في مقبرة الصوفية في دمشق.

أرادوا، قال تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[2].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[3],[4].

وهنالك رأي ثالث.. يفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وهو أنه لا مانع من ظهور التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ في يوم من الأيام ومعنى ذلك أنها موجودة وإن كانت مخفية.

يقول ابن تيمية[5] عن قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾[6]

أخبار عن اليهود الموجودين وأن عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾[7]

هو أمر من الله على لسان محمد ـ ﷺ ـ لأهل الإنجيل ومن لا يؤمر على لسان محمد ـ ﷺ، قيل قبل هذا أنه قد قيل ليس بالعالم نسخة بنفس ما أنزل الله في التوراة والإنجيل بل ذلك مبدل فإن التوراة إنقطع تواتره والإنجيل

(١) سورة المائدة آية ١٣.
(٢) سورة المائدة آية ٦٨.
(٣) سورة الجمعة آية ٥.
(٤) مقارنة الأديان اليهودية ج ١ ص ٢٥٧.
(٥) مجموعة رسائل ابن تيمية.
(٦) سورة المائدة آية ٤٣.
(٧) سورة المائدة آية ٤٧.

إنما أخذت عن أربعة ثم من هؤلاء من زعم أن كثيراً مما في التوراة والإنجيل باطل ليس من كلام الله، ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف أحد شيئاً من حروف الكتابة وإنما حرفوا معانيها بالتأويل وهذان القولان قال كل منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو أن في الأرض نسخاً صحيحة وبقيت إلى عهد النبي - ﷺ ونسخاً كثيرة محرفة ومن قال أنه لا يحرف شيء من النُسَخ فقد قال ما لا يمكن نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي - ﷺ - حُرِفَت فقد قال ما يُعلَم أنه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل ويُخبِر فيها حكمه وليس في القرآن أنهم غيروا جميع النسخ).

وقد أورد الشيخ محمد رشيد رضا[1] أسباب اختلاف علماء المسلمين فقال: (وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان وبتحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له، وقد إختار كثير من علمائنا الأعلام هذا المعنى في تفسير الآية وعللوه بأن التصرف في ألفاظ كتاب متواتر متعسر ومتعذر وسبب هذا الإختبار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب وعدم إطلاعهم على كتبهم وقياس تواترها على القرآن، والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة وغيرها. إنها كتب غير متواترة).

ويقول: (ولم يكن يخطر على بال أحد من العرب زمن البعثة وهم أميون أن اليهود فقدوا كتابهم الذي هو أصل دينهم ثم كتبه لهم كاتب منهم نشأ في السبي والأسر بين الوثنيين بعد عدة قرون)[2].

ومن الجدير بالذكر أن ما ذكره الإمام ابن تيمية من أنه لا مانع من وجود نسخة صحيحة من التوراة المنزلة وأنها مخفية قد تظهر في يوم من الأيام لا

(١) أنظر تفسير المنار ج ٦ ص ٢٨٣.
(٢) أنظر تفسير المنار ج ٦ ص ٢٨٤.

يتنافي مع ما يقرره هو والعلماء العارفون بتاريخ بني إسرائيل من أن التوراة التي بأيدي أهل الكتاب محرفة ومبدلة.

وقد نقل الشيخ محمد رشيد رضا[1] عن أحد علماء اللاهوت من النصارى مصير التوراة فقال: (قال صاحب كتاب «خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية» والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل).

(١) أنظر تفسير المنار ج ٤ ص ١٥٧.

الفَصلُ الرابع

هيمنة القرآن على التوراة المنزلة وتصديقه لها

هيمنة القرآن الكريم على التوراة المنزلة وتصديقه لها

إن هذا مبحث نفيس تنجلي خلاله مكانة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تكفل المولى جل شأنه بحفظه، فقال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

بين الكتب السماوية جمعاء وما دام هو الوحي المحض الذي لم يشب فلنزن به غيره من الكتب السماوية ولنضعها جميعاً وبخاصة سفر التوراة - الذي نحن بصدد البحث عنه - بين كفتيه لنرى صحيحها من سقيمها ولكي نتوصل إلى هذا الأمر لا بد أن نتناول هذا الميزان الدقيق بالبحث على قدر الاستطاعة ولنرى من الذي أعطى هذا الكتاب هذه الخصوصية أهو حبنا وتعصبنا له؟ أم مُنزلة ومُنزل غيره والعالم به وبغيره؟

وهذا التساؤل يجيبنا عنه القرآن نفسه فيقول جل ذكره:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2].

وبناء على هذا كان لزاماً علينا أن نفصل القول في هذه الإجابة بالقدر الذي يسمح به المقام.

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة المائدة آية ٤٨.

أولاً ـ في معنى التصديق والهيمنة في اللغة:

ورد في لسان العرب: (الصدق: نقيض الكذب، صَدَقَ يَصْدُق صَدقاً وصِدقاً وتصَداقاً، وصَدّق: قَبِل قوله، وصَدَقَه الحديث: أنبأه بالصَدْق، ويقال: صدقت القوم: أي قلت لهم صدقاً، والمصدق: الذي يصدقك في حديثه.

وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه، ورجل ذو مصدق بالفتح، أي صادق الحملة ومصداق الأمر: حقيقته)[1].

وورد في التاج (ومصداق الشيء ما يصدقه، ومن الحديث لكل شيء مصداق ولكل حق حقيقة، والتصداق بالفتح الصدق والمصدق كمحدث الذي يصدقك في حديثك)[2].

أما الهيمنة في اللغة فقد ورد في لسان العرب ما يلي: ـ

(ومُهَيمِناً عليه قال بعضهم: معناه الشاهد يعني وشاهداً عليه.

والمهيمن: الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف وأصله أأمن فهو مُؤَامِنٌ بهمزتين قلبت الهمزة الثانية ياء كراهية اجتماعها فصار مُؤيمِنٌ، ثم صُيِّرت الأولى هاء كما قالوا هراق وأراق، وقال بعضهم: مُهَيمِنٌ معنى مُؤيمِن، والهاء بدل من الهمزة كما قالوا هَرَقْتُ وأرقْتُ وكما قالوا إياك وهِيّاكَ، قال الأزهري: وهذا على قياس العربية صحيح مع ما جاء في التفسير أنه بمعنى الأمين، وقيل: بمعنى مُؤتَمنَ وفي حديث عكرمة: كان عليّ ـ رضي الله عنه ـ أعلم بالمُهَيمناتِ أي القضايا من الهَيمَنة وهي القيام على الشيء، جعل الفعل لها وهو لأربابها القوامين بالأمور وروى عن عمر أنه قال يوماً: إني داعٍ فَهَيمِنُوا أي إني أدعو الله فأمنوا قلب أحد حرفي التشديد في أَمِّنُوا ياء فصار أيمِنُوا، ثم قلب الهمزة هاء وإحدى الميمين ياء فقال هَيمِنُوا قال ابن

(١) لابن منصور ج ١٠ ص ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) تاج العروس الزبيدي ج ٦ ص ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

الأثير: أي اشهدوا، وقال ابن الأنباري في قوله: ومُهَيمِناً عليه، قال: المُهَيمِنُ القائم على خلقه، وأنشد:

إلّا إن خير الناس بعد نبيه مُهيمِنُهُ التالية في العُرف والنُكرِ

قال: معناه القائم على الناس بعده، وقيل القائم بأمور الخلق، قال: وفي المُهَيمِن خمسة أقوال: قال ابن عباس المُهَيمِن المُؤتَمنُ، وقال الكسائي المُهيمِنُ الشهيد، وقال غيره هو الرقيب، يقال هَيمَن يُهَيمِنُ هيمَنَة إذا كان رقيباً على الشيء وقال أبو معشر ومُهَيمِنا عليه معناه وقَبّاناً عليه، وقيل: وقائماً على الكتب، وقيل: مُهَيمِنٌ في الأصل مُؤيمِنٌ، وهو مُفيعِلٌ من الأمانة)[1].

يقول الإمام الطبري في الهيمنة (وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن)[2].

وقد أورد الألوسي عن ابن قتيبة (أن المهيمن أصله مؤمن وهو من أسمائه تعالى فصغر وأبدلت همزته هاءاً وتعقبه السمين وغيره بأن ذلك خطأ بل كفر وشبيه به لأن أسماء الله لا تصغر وكذا كل اسم معظم شرعاً)[3].

وخلاصة المعاني اللغوية في معنى المهيمن لا ينفك عن ثلاثة أمور فهو شاهد على الحق مؤتمن عليه وقائم به.

ثانياً ـ معني التصديق والهيمنة عند علماء التفسير:

يقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾. (هذا خطاب الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ـ يقول تعالى ذكره وأنزلناه إليك يا محمد الكتاب وهو القرآن الذي أنزله عليه ويعني بقوله بالحق بالصدق ولا كذب فيه ولا شك أنه من

(١) أنظر لسان العرب لابن منظور ج ١٣ ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧، وأنظر تاج العروس للزبيدي ج ٩ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٢) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري ج ٦ ص ١٧٣.

(٣) أنظر روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ١٥٢.

عند الله مصدقاً لما بين يديه من الكتاب يقول أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه ومهيمناً عليه، يقول أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله وشهيداً عليها أنها حق من عند الله أميناً عليها حافظاً لها)[1].

ويقول صاحب الكشاف (ومهيمناً: ورقيباً على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات، وقرىء ومهيَمناً عليه بفتح الميم: أي هُو مِن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال ـ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ والذي هيمن عليه الله عز وجل، أو الحفاظ في كل بلد لو حرّف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولأشمأزوا رادين منكرين)[2].

وقد أورد الإمام الفخر الرازي في تفسيره كلا الرأيين السابقين وأضاف تعليلاً للهيمنة مفاده أن سبب الهيمنة على الكتب لأنه لا يصير منسوخاً البتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف.

ويقول وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبداً فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبداً[3].

وأضاف القرطبي[4] معنى آخر فقال (ومهيمناً عليه: أي عالياً عليها ومرتفعاً، وذكر قول سعيد بن جبير القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب).

يقول ابن كثير[5] في تفسير قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾(أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ـ ﷺ ـ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقاً عند حامليها من ذوي البصائر الذين أنقادوا لأمر الله وأتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ

(١) أنظر جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري ج ٦ ص ١٧٢.
(٢) أنظر الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦١٨.
(٣) أخذ ببعض التصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ٢١٠.
(٥) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٦٥.

﴿عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾
أي إن كان ما وعدنا الله على ألسنة رسله المتقدم من مجيء محمد ـ عليه السلام ـ لمفعولاً أي لكائناً لا محالة حسن).

وقد ذكر ابن كثير آراء المفسرين السابقين ووافقهم فيما ذهبوا إليه في تفسير الهيمنة (وأضاف ذكر رآى جديد إلّا أنه ضعفه ورجح ما ذهب إليه المفسرون).

يقول في تفسير قوله تعالى ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(يعني محمد ـ ﷺ أمين على القرآن فإنه صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا بهذا نظر وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضاً نظر وبالجملة فالصحيح الأول)[1].

وقد تناول أبو السعود في تفسيره تفصيل معنى التصديق والهيمنة بشيء من الدقة إذ يقول (وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حال من الكتاب أي حال كونه مصدقاً لما تقدمه أما من حيث أنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث أنه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس، والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث أن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمنة للحكمة التي عليها يدور أمر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وإنما يدل على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى ﴿من الكتاب﴾ بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعاً مخصوصاً من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد إلّا أن ذلك لا ينتهي إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتب السماوية أيضاً حيث خص بما عدا القرآن، (ومهيمناً عليه) أي رقيباً على سائر الكتب المحفوظة من التغير لأنه

(١) نفس المرجع السابق.

يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وإنقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تميز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من أحكام كونه مهيمناً عليه)[1].

وقد وافق الإمام الشوكاني[2] والألوسي[3] أبا السعود فيما ذهب إليه من تفسير التصديق والهيمنة.

أما صاحب المنار فقد ذكر جميع آراء المفسرين وأضاف وصف حالة من أنزلت عليهم تلك الكتب فقال: (وأما قوله: ومهيمناً عليه ـ أي على جنس الكتاب الإلهي ـ فمعناه أنه رقيب عليها وشهيد، بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته وتحريف كثير مما بقي منها وتأويله والأعراض عن الحكم والعمل بها فهو يحكم عليها لأنه جاء بعدها ـ وقد عاب على بعض المفسرين الذين فسروا هيمنة القرآن بالشهادة على صحة الكتب السابقة وسلامتها من التبديل والتغير فقال: (ومن الغرائب أن بعض المفسرين فهم من هيمنة القرآن على الكتب التي قبله أنه يشهد لها بالحفظ من التحريف والتبديل واللفظ لا يدل على هذا المعنى فإذا كان معنى المهيمن الشهيد فهل يصح أن يتحكموا في شهادته كما يشاؤون؟ أم الواجب عليهم الرجوع الى ما قاله في شأن هذه الكتب وأهلها، لأنه هو نص شهادته لها، ولهم، أو عليها أو عليهم؟ والقرآن يفسر بعضه بعضاً ـ وحسبهم أنه قال في هذه السورة نفسها في كل من أهل التوراة وأهل الإنجيل أنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، كما قال في سورة النساء

(١) أنظر تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٤٤ ـ ٤٥.
(٢) أنظر كتابه فتح القدير ج ٢ ص ٤٧ ـ ٤٨.
(٣) انظر تفسيره روح البيان ج ٦ ص ١٥٢.

قبلها أنهم ﴿ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] وقال فيهما جميعاً أنهم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه)[2].

العلاقة بين التصديق والهيمنة:

من خلال ما سبق تتضح لنا العلاقة الوثيقة بين التصديق والهيمنة، فإذا كان القرآن قد جاء مصدقاً لما فيها من الحق والدعوة إلى الإيمان بالله والوقوف على مستلزمات هذا الإيمان، من إيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه، وتقويم النفوس على منهج الله كان كذلك مهيمناً وشاهداً ورقيباً عليها من حيث المحافظة عليها وإبقاؤها على ما أنزلت عليه أو إلحاق بعض التغير والتبديل عليها.

هذا وبعد أن تناولنا آراء العلماء والمفسرين في مفهوم التصديق والهيمنة ومعناهما والمقصود منهما والعلاقة بينهما يطالعنا سؤال أفترضه المقام وهو لماذا نال القرآن هذه الخصوصية ولماذا كان هو المهيمن على غيره من الكتب دون سواه؟

لقد نال القرآن الكريم هذه المنزلة وحظا بهذه الحظوة لعدة أسباب: ـ

أولاً ـ لحفظ الله له من التغيير والتبديل يقول تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3].

فقد تكللته العناية الإلهية منذ الوهلة الأولى لنزوله على سيد الأنام المصطفى المختار إذ كان صلوات الله وسلامه عليه يتعجل في ترديده حينما كان جبريل يقرأه عليه يقول تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[4].

(١) سورة آل عمران آية ٢٣.
(٢) أنظر تفسير المنار للشيخ محمد رضا ج ٦ ص ٤١١.
(٣) سورة الحجر آية ٩.
(٤) سورة القيامة آية ١٦ ـ ١٩.

يقول الرازي[1] في تفسير هذه الآية (كان الرسول - ﷺ - يظهر التعجيل في القراءة مع جبريل وكان يجعل العذر فيه خوف النسيان، فكأنه قيل له إنك إذا أتيت بهذا العذر لكنك تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله وأعانته فاترك هذا التعجيل واعتمد على هداية الله وهذا هو المراد من قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾.

ولإيضاح مدى العناية الإلهية التي أحاطت بهذا الكتاب دون سواه من الكتب اتطرق للحديث عن جمعه وتدوينه ففيه بعون الله وقوته الجواب الشافي.

جمع القرآن الكريم:

لقد مر جمع القرآن الكريم بعدة مراحل:

أولاً: في عهد رسول الله ﷺ:

أ- حفظه في الصدور:

كان رسول الله ﷺ يحفظ القرآن ويعيه ويُنقش في قلبه بعد أن يقرأه عليه جبريل ومن ثم كان يقرأه على صحابته - رضوان الله عليهم أجمعين - فينقش في صدورهم وهذه ميزة خص الله بها هذه الأمة العربية وحباها بها وهي قوة الحافظة وذلك لأن الأمة العربية أمة أمية قلة هم من تمرسوا في صنعة الكتابة لذلك كانت صدور رجالها سجلات لتواريخها وأنسابها وتراثها أجمع فكان من السهولة بمكان أن يحفظ في صدور القوم.

ب- حفظه بالكتابة والتدوين:

لم يكتف صلوات الله وسلامه عليه - بحفظه في الصدور، بل اتخذ كتبة للوحي كلما نزل شيء من القرآن الكريم قرأه عليهم وأمرهم أن يكتبوه وذلك مبالغة في تسجيله وتقييده وزيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله وحتى يوافق ما في السطور ما في الصدور.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣٠ ص ٢٢٣.

وقد كان من هؤلاء الكتبة زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وأُبي بن كعب وثابت بن قيس ومعاذ بن جبل والخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة الأجلاء ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وقد كان صلوات الله وسلامه عليه إذا أنزل عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته وأشار لهم إلى موضعه من القرآن، روى عن ابن عباس أنه قال (كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا) وعن زيد بن ثابت قال (كنا عند رسول الله ـ ﷺ ـ نؤلف[1] القرآن من الرقاع).

وكان القرآن يكتب على العسف[2] واللخاف[3] والرقاع[4] وقطع الأديم[5] وعظام الأكتاف والأضلاع ويوضع بعد كتابته في بيت رسول الله ﷺ[6].

وقد كان جبريل عليه السلام يستعرض القرآن مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان من كل سنة مرة، فلما كان السنة الأخيرة إستقراءه معه مرتين ففهم رسول الله ـ ﷺ ـ من ذلك دنو آجله وفي هذا أورد الإمام البخاري حديث مسروق عن عائشة عن فاطمة ـ رضي الله عنهما: أسر النبي ـ ﷺ ـ إلى (أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلي)[7].

وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ ينهي المسلمين أن ينشغلوا بأي شيء سوى

(١) أي نجمع.
(٢) العسف: هو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.
(٣) اللخاف: هي الحجارة الرقيقة.
(٤) الرقاع: جمع رقعه وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.
(٥) الأديم: الجلد.
(٦) أنظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٢٣٢، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٧٦ ـ مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ـ مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١١٩ ـ ١٢٤ ـ التبيان في علوم القرآن للشيخ الصابوني ص ٤٨ ـ ٤٩ ـ القرآن الحكيم للدكتور صلاح الدين رسلان ص ص ١٠٨ ـ ١١٢.
(٧) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ـ ﷺ ـ ج ٦ ص ٢٢٩.

القرآن الكريم حتى أنه نهاهم عن تدوين أحاديثه[1] خشية أن تختلط عليهم بالقرآن كما نهاهم عن مطالعة كتب السابقين ومساءلتهم.

فعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب آتى النبي - ﷺ - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي - ﷺ - فغضب فقال (امتهوّكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى - ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)[2].

وعن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله - ﷺ - (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل. . . الآية)[3].

ثانياً: في عهد صحابة رسول الله ﷺ:

أ- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وقعت في عهده رضوان الله عليه حروب المرتدين ومانعي الزكاة فاستحر بذلك القتل في القراء وجلهم من صحابة رسول الله ﷺ - وحفظة كتاب الله فخشي عمر رضي الله عنه أن يندثر القرآن الكريم لكثرة ما استحر بالقراء من القتل وخاصة بعد يوم اليمامة فعرض على أبي بكر الشروع في جمع القرآن من الصدور والسطور وتدوينه بين دفتي مصحف واحد فتردد في بداية الأمر ثم ما لبث أن شرح الله صدره لهذا الأمر فاستشار عمر فيمن يقوم بهذه المهمة الجليلة فوقع الاختيار على زيد بن ثابت وخاصة أنه كان من كتبة الوحي وكان

(١) كان هذا في بداية الأمر وقد أذن الرسول لاصحابه بعد ذلك بكتابة الأحاديث حيث لم يخش من اختلاطها بالقرآن.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٨٧.

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ج ٩ ص ١٩٣.

﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ سورة العنكبوت آية ٤٦.

ممن حضر العرض الأخير للقرآن الكريم على رسول الله - ﷺ - فعرضوا عليه الأمر فتردد فيه ثم شرح الله صدره له.

روى البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال (أرسل إلى أبو بكر مَقتَل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال أن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني **أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمربجمع القرآن، قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - ﷺ - فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾[1] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصه بنت عمر رضي الله عنه[1].

أما الأسلوب الذي انتهجه أبو بكر رضي الله عنه في كتابه المصحف فقد أمر زيد أن يعتمد في جمعه على مصدرين:

أحدهما ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

والثاني ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

وبلغ من حذره وحيطته أنه لم يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ ويدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب قال (قَدِم عمر فقال:

(١) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٢) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ج ٦ ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

من كان تلقّى من رسول الله ـ ﷺ ـ شيئاً من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُسُب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان)[1].

ب ـ في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه:

كثرت الفتوحات في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه وانتشر صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في شتى البلاد المفتوحة وقد كان القرآن الكريم قد أنزل على رسول الله ﷺ على سبعة أحرف فتعددت بذلك القراءات وكثرة الخلافات بين الناس حتى أصبح بعضهم يكفر بعضاً فأفزع ذلك سيدنا حذيفة بن اليمان فخف إلى سيدنا عثمان وأشار عليه بجمع الناس على مصحف واحد وفي هذا يروي الإمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن أنس بن مالك (أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل إلى كلَ أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[2].

ويعلق الإمام الزركشي فيقول (وفي هذا اثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مغرقاً في العُسُب واللخاف وصدور الرجال

(١) أخذ ببعض التصرف من كتاب مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ٢٤٥.
(٢) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ج ٦ ص ٢٢٦.

فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي - ﷺ - من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا. . . هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا كما قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[1]، وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[2].

ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله - ﷺ مدة حياته عند الحاجة كما قال تعالى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3].

فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة وكان هذا الإتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة ورحمة من الله على عباده وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه كما قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4] وزال بذلك الاختلاف واتفقت الكلمة)[5].

مكانة القرآن الكريم في نفوس الصحابة:

إن الجهد الجبار الذي بذله صحابة رسول الله - ﷺ - في جمع القرآن الكريم لهو أكبر دلالة على عظم مكانته في نفوسهم غير أنهم بالرغم من هذا لم ينسوا وصية رسول الله - ﷺ - لهم بالانشغال به دون غيره من الكتب وعدم مساءلة أهل الكتاب.

فعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال (كيف تسألون أهل

(١) سورة البقرة آية ١٨٥.
(٢) سورة القدر آية ١.
(٣) سورة الإسراء آية ١٠٦.
(٤) سورة الحجر آية ٩.
(٥) انظر كتابه البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله تقرؤنه محضاً لم يُشب)[1].

وعن عبد الله بن عباس قال (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم - ﷺ - أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم، قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل إليكم)[2].

وهكذا تناقلت الأمة الإسلامية هذا الكتاب سلفاً عن خلف وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد حاول أعداء الإسلام النيل منه غير أن الله رد كيد الخائنين في نحورهم وحفظ كتابه من كيدهم، فقد حاول الاستعمار الفرنسي في الجزائر أن يزيل كلمة واحدة من القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[3].

فحذف من هذه الآية كلمة - منكم - فقط وطبع مئات المصاحب بهذا الشكل لم ينقص من القرآن إلا هذه الكلمة فقط لتخدم أهدافه الاستعمارية ففضحهم الله وأحرقت جميع المصاحف التي طبعها المستعمرون[4].

وهكذا نجد القرآن الكريم جديراً بأن يكون المهيمن على سائر الكتب لما توفر له من دواعي الحفظ والضبط مما لم يتوفر لغيره من الكتب السابقة.

(١) أنظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى كل يوم هو في شأن ج ٩ ص ١٨٧.
(٢) أنظر نفس المصدر السابق.
(٣) سورة النساء آية ٥٩.
(٤) أخذ بتصرف من كتاب بينات المعجزة الخالدة للدكتور حسن ضياء الدين عتر ص ٣٦١.

ثانياً ـ من أسباب جعل القرآن مهيمناً على غيره من الكتب أنه فيه وبه إكمال الدين واتمامه وذلك بما جاء به من الأمور الثابتة كالعقائد والأخلاقيات والعمل الصالح وعموم تشريعاته التي تصلح لكل زمان ومكان على مر العصور والأجيال وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان له بهذا حق الهيمنة والصدارة عليها وكانت شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع[1].

ثالثاً ـ يعلل المفسرون[2] هيمنة القرآن على ما سواه من الكتب بأنه جاء مقرراً لما ورد فيها من أصول الشرائع ومعيناً للمؤبد منها والمنسوخ ورقيباً وشاهداً وحاكماً عليها بما حوته من حق وما أدخل عليها من باطل ومبيناً لحالة هذه الكتب وما انتاب بعضها من تحريف وتغير[3].

(١) أنظر كلام ابن تيمية وهو متعلق بهذا الشأن في الفصل الخامس من هذا الباب ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦١٨ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ١١ ـ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٥ ـ تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٤٥ ـ تفسير فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤٨ ـ تفسير روح المعاني للألوسي ج ٦ ص ١٥٢ تفسير المنار ج ٦ ص ٤١١.

(٣) أنظر تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ج ٦ ص ٤١٠ ـ ٤١١.

الآثار المترتبة على هذه الهيمنة:

بعد أن اتضحت لنا أسباب الهيمنة كان لزاماً علينا أن نبحث عن الآثار والنتائج المترتبة على هذه الهيمنة، فكان من هذه الآثار والنتائج ما يلي: -

أولاً - إن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران الأساسيان اللذان يستقي منهما شرع الله ومنهاجه وما ارتضاه لعباده من دين دون سواه.

ثانياً - معرفة ورود التغير والتبديل والتحريف على الكتب السماوية السابقة بشهادة القرآن الكريم.

ثالثاً - لا يمكننا الوقوف على صحيح تلك الكتب من سقيمها إلا من خلال القرآن الكريم فما وافقه صدقناه وما خالفه كذبناه وما سكت عنه تركناه وتوقفنا فيه مخافة التصديق بباطل أن التكذيب بحق يقول ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. . . إلخ)[1].

رابعاً - يقوم هذا البحث على هذه الحقيقة وهي هيمنة القرآن الكريم على ما سواه من الكتب وذلك أنني أردت من خلاله الوقوف على حقيقة التوراة المنزلة - ذلك الكتاب السماوي الذي أنزله الله على سيدنا موسى - عليه السلام - فلم أجد لي مصدراً يوقفني على حقيقة هذا الأمر إلا كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة نبيه ﷺ.

(١) أنظر صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ج ٩ ص ١٩٣.

الفصل الخامس

فضل القرآن على التوراة وسائر الكتب السماوية

فضل القرآن على التوراة وسائر الكتب السماوية

يتضح فضل القرآن الكريم على التوراة وسائر الكتب السماوية في الفقرات التالية التي نقسمها إلى مبحثين:

أولهما: عن إعجاز القرآن.

وثانيهما: عن نسخ شريعة القرآن لشريعة التوراة وسائر الشرائع.

المبحث الأول: إعجاز القرآن الكريم

لقد إمتاز القرآن الكريم على غيره من الكتب السماوية السابقة بكونه معجزة في ذاته وإلى هذا أشار تعالى في معرض رده على المشركين الذين طالبوا رسول الله ـ ﷺ بمعجزة تماثل معجزات الأنبياء السابقين فقال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وأيضاً أشار إلى نفس الأمر الرسول ـ ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان

(١) سورة العنكبوت آية ٥٠ ـ ٥١.

الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1].

لقد أوضح لنا هذا الحديث على قصره عظمة القرآن الكريم وأنه يجب على كل الملكفين في كل زمان ومكان الإيمان به والعمل بمقتضاه لعموم رسالته فكان بذلك باقياً مادامت السماء والأرض وأستفيد منه أيضاً الدلالة على كثرة أتباع المصطفى - ﷺ - لدوام رسالته وعمومها ولبقاء معجزته الكبرى القرآن الكريم على مر الزمان وإمتداد المكان (وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن الكريم في أربعة أشياء أحدها حسن تأليفه والتئام كلمة مع الإيجاز والبلاغة ثانيهما صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه، ثالثها ما اشتمل عليه من الأخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب. رابعها الأخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه كتمني اليهود الموت ومنها الروعة التي تحصل لسامعه ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعة لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة. ومنها أنه آية باقية لا تُعدم ما بقيت الدنيا ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها)[2].

لقد كان إعجاز القرآن جامعاً للفظ والمعنى: أما من ناحية اللفظ فقد أخذ بحظ وافر من الفصاحة والبلاغة على سياق خارق للعادة عجز عن الإتيان بمثله أكابر فصحاء العرب وبلغائهم حتى أنه تحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر

(١) أنظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب نزول الوحي ج ٦ ص ٢٢٤ وأيضاً ورد في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ **بعثت** بجوامع الكلام ج ٩ ص ١١٣، صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان **برسالة** نبينا محمد ﷺ الى جميع الناس ونسخ الملل بملته ج ١ ص ١٣٤.

(٢) أنظر هداية الساري فتح الباري للعسقلاني ج ٩ ص ٧ (ط. أولى) - دار الفكر والنشر والتوزيع.

سور مثله أو بسورة واحدة من مثله فعجزوا عن الإتيان به فثبت له الإعجاز من هذا الجانب. أما المعنى فقد كان إعجازه مماثلاً لإعجازه اللفظي إن لم يفقه فقد حوى المضمون مسائل العقيدة الشريعة والأخلاق والقصص.

وفيما يلي إيضاح كل منها على حدة.

أولاً: في مجال العقيدة:

لقد جاء القرآن الكريم يدعو إلى عبادة إله واحد له مطلق صفات الكمال فهو الواحد في ذاته الواحد في أفعاله الواحد في صفاته رب كل شيء وخالقه منزه عن صفات النقص ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وجعل هذه الدعوة عامة لجميع المكلفين من الأنس والجن وعلى امتداد الزمان والمكان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأوضح أصل الخلقة والنشأة والهدف منها.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(1).

والمآل بعد ذلك إما إلى جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدها للمتقين أو إلى نار الجحيم.

ثانياً: في مجال التشريع:

لقد أتى القرآن الكريم بنظام تشريعي كامل عجزت عن الإتيان بمثله كبار العقول التشريعية للقوانين الوضعية فعلى نطاق المجتمعات ضمن لها الأمن والاستقرار والرخاء وأخذ بها إلى جميع مدارج الرقي الحضاري وعلى نطاق الأفراد ساوى بين الصغير والكبير والغني والفقير والأنثى والذكر وتكفل للفرد بالغذاء الكامل سواء الروحي أو الجسدي وأقام من الإنسان رقيباً على نفسه بما غرسه فيه من مراقبة الله عز وجل والخوف منه والطمع فيما لديه، وهذا الأمر لم يتوفر في الكتب السابقة بهذه الدقة والتفصيل. فضلاً عما لحقها من تحريف وتبديل.

(1) سورة الذاريات آية ٥٦.

ثالثاً: في مجال الأخلاق:

لقد قرر المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه لم يُبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق وجاء القرآن الكريم مصدقاً لهذه الدعوى داعياً إلى التحلي بمكارم الأخلاق والمتتبع لسور وآيات الذكر الحكيم يلحظ بوضوح هذا الجانب الهام جداً في حياة وسعادة وأمن وإستقرار البشرية جمعاء.

فنراه حاضاً على فضائل الأخلاق ومرغباً فيها بكل وسائل الترغيب التي تحببها للنفس البشرية ومنفراً من رذائلها، مبيناً عواقبها الوخيمة.

وموضحاً لخلق المسلم مع ربه ونفسه وأهله ومجتمعه ومع جميع البشر والكائنات التي خلقها الباري جلت قدرته.

فكان بحق كتاب متفرد بنوعه وخصائصه بين الكتب جميعاً.

يقول الدكتور أحمد الشرباصي[1]: ـ «وإذا كان القرآن المجيد كتاب دين وتشريع وكتاب عقائد وعبادات ومعاملات، وكتاب عبر وعظات فإنه في الوقت نفسه كتاب أخلاق، ولقد تحدث القرآن عن مكارم الأخلاق ومحامد الخصال حديثه الموجز المبين، فصار رائداً لكل مؤمن راغب في التحلي بالفضائل والتزين بمحاسن الطباع ولعل هذا مما يشير إليه قول الحق تبارك وتعالى في سورة الإسراء.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2].

وقوله في سورة الشورى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(١) أنظر كتابه موسوعة أخلاق القرآن مقدمة الجزء الأول ص ي ـ ك ـ ل (الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م) الطابع والناشر دار الرائد العربي بيروت.
(٢) سورة الإسراء آية ٩.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[1]

ولقد تعرض كتاب الله تعالى لأصول الأخلاق التي يريد الله لعباده أن يتحلوا بها وأن يستجيبوا لروحها، ولذلك هدف حديث القرآن عن الأخلاق الى غاية سامية جليلة هي أن يكون المسلم المؤمن المتخلق بمكارم الأخلاق صالحاً لتلقي الإشراقات الروحية والفيوضات الإلهية التي تجعله يسيطر بروحه على بدنه ويسمو بنفسه فوق حسه، ويستجيب لعقله أكثر مما يستجيب لعاطفته ويُحسن الوفاق بين لُبه وقلبه، فإذا هو سليم الفؤاد، حكيم المقال، رشيد الفِعَالْ لديه من الحصانة ما يجعله يتأبى على الخطيئة والإثم ولديه من نور البصيرة ما يجعله موطن الرحمة الربانية في دنياه، والنعمة الباقية في أخراه. . . ومادام القرآن المجيد هو كتاب الإيجاز والإعجاز فليس من شأنه أن يتحدث الحديث التفصيلي عن كل صغيرة وكبيرة في الأخلاق، وإنما هو يضع أمام المؤمن علامات الطريق وإشارات التوفيق، ويترك لنظره وتدبره حسن الإستنباط وواسع الأدراك، ومن هنا جاءت في القرآن الكريم آيات قصيرات بألفاظها واسعات فسيحات بمفاهيمها ومضامينها مثل قوله تبارك وتعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

رابعاً: في مجال القصص:

لقد جعل القرآن الكريم القصص من أكبر أبواب الدعوة إليه لما حواه

(١) سورة الشورى آية ٥٢ ـ ٥٣

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٣) سورة النحل آية ٩٠.

أسلوبه القصصي من العبر والعظات في أحلى صور وأورع بيان فقد تكون قصة واحدة يعرضها في عدة سور وبعدة صور من غير أن يتطرق الملل أو السأم إلى سامعه على كثرة ترداده، وهذا ما لم يتوفر للكتب السابقة. . .

ورحم الله ابن تيمية حينما قارن بين القرآن وما عداه من الكتب فقال عنه: (فإن في شريعته من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين ويسّر الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ومن جهة كثرة من قبلها وكمال قبولهم لها.

بخلاف شريعة من قبله، فإن موسى - ﷺ - بعث إلى بني اسرائيل وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته، ما هو معروف وقد ذكر النصارى في كتبهم هذا. . . ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن فإن القرآن فيه من ذكر الميعاد وإقامة الحجج عليه وتفصيله، ووصف الجنة والنار ما لم يُذكر مثله في التوراة، وفيه ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الأنبياء، ما لم يذكر في التوراة وفيه من ذكر أسماء الله الحسنى وصفاته، ووصف ملائكته وأصنافهم وخلق الإنس والجن، ما لم يُفصل مثله في التوراة وفيه تقرير التوحيد بأنواع الأدلة ما لم يذكر مثله في التوراة، وفيه من ذكر أديان أهل الأرض ما لم يذكر مثله في التوراة.

وفيه من مناظرة المخالفين للرسل وإقامة البراهين على أصول الدين ما لم يذكر مثله في التوراة مع أنه لم ينزل كتاب من السماء أهدى من القرآن والتوراة.

وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات وتحريم الخبائث وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، حُرمت عليهم عقوبة لهم.

وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء ما لم يُشرع في التوراة

وفيها من وضع الأصار والأغلال التي في التوراة ما يظهر بـه أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل[1].

هذا وجملة القول أن القرآن الكريم يَفْضُل الكتب السماوية لأنه الكتاب السماوي الذي حوى الرسالة العامة لكل زمان ومكان والناسخة لما قبلها من الشرائع ولأن الله تعالى قد حفظه من التغيير والتحريف ولأجل هذا كله وما انفرد به من الخصائص وأوجه الإعجاز التي أشرنا إليها كان مهيمناً على سائر الكتب السماوية السابقة.

المبحث الثاني: كون القرآن الكريم ناسخاً لشريعة التوراة ولغيرها من الشرائع: -

يقول تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

لقد قرر القرآن الكريم تمام الدين وكماله وعالميته وهذا يستلزم كمال أحكامه وتشريعاته ونسخ ما عداها من أحكام وتشريعات سابقة حتى لا يكون الأمر بالفعل وضده مجتمعان في الزمن نفسه فيتخبط المكلف بين الفعل والترك والأمر والنهي إذ هذا ضرب من العبث والمولى جل شأنه منزه عنه.

وهذا أيضاً ما قررته السنة النبوية المطهرة في عالمية الرسالة المحمدية والتي من أولى مستلزمات عالميتها نسخ الشرائع السابقة لها.

فعن جابر بن عبد الله أن النبي - ﷺ - قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلي وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأُعطيت الشفاعة»[3].

(١) أنظر الجواب الصحيح لابن تيمية ج ٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ مطبعة المدني.
(٢) سورة المائدة آية ٣.
(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ج ١ ص ١١٩، كتاب التيمم باب التيمم ج ١ ص ٩١ - ٩٢.

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ قال: «أُعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي بعثت إلى الأحمر والأسود وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تُحل لأحد من قبلي ونُصرت بالرعب شهراً يرعب مني العدو مسيرة شهر وقيل لي سل تعطه فأختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئاً»(١).

وفي هذا الصدد أو أن أشير إلى أن النسخ لا يكون في مجال العقيدة بحال من الأحوال لضرورة إتفاق جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أصول العقيدة وما جاء به القرآن الكريم من أصول عقائدية هو عين ما جاء به جميع الأنبياء السابقين وإن تميز القرآن بالتفصيل والاستدلال ونحو ذلك مما أشرنا إليه في حديثنا السابق.

ثم إن الحديث عن موقف القرآن من التوراة المنزلة يتطلب بالضرورة بيان موقفه من زعم اليهود أبدية الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام، ومن ثم فإن هذا المبحث يعتمد على إستعراض ما استند إليه اليهود من شبه في إنكار نسخ شريعتهم والرد عليها.

وبناءً على هذا فإن الحديث عن النسخ يتناول مفهوم النسخ وشبه اليهود والرد عليها.

تعريف النسخ

النسخ في اللغة: ـ

الرفع والإزالة(٢) وقيل بمعنى إبطال الشيء. وقال القفال بأنه للنقل

(١) سنن الدارمي للإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي الدارمي في كتاب السير باب الغنيمة لا تحد لأحد قبلنا ج ٢ ص ٢٢٤ إصدار دار الفكر القاهرة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م).

(٢) أنظر المستصفى من علم الأصول للغزالي ج ١ ص ١٠٧ (الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ) إصدار المطبعة الأميرية ببولاق، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي تأليف علاء الدين

والتحويل يقال نسخت الريح آثار القوم إذا أعدمتها ونسخت الشمس الظل.

«ونسخ الكتاب إلى كتاب آخر» نقله إليه أو نقل حكايته، و «تناسخ المواريث» إنما هو التحويل من واحد إلى آخر بدلاً عن الأول».

أما في اصطلاح العلماء فهو:

«الخطاب الدال على ارتفاع الحكم السابق بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه»[1].

موقف اليهود من قضية النسخ

لقد أنقسم اليهود بإزاء هذه المسألة إلى فريقين:

فريق أنكر وقوع النسخ وحجتهم في ذلك أنه يُحيل الحق باطلاً والباطل حقاً ويقتضي البداء[2] الذي يؤدي إلى نفي صفة العلم الشامل عن المولى تبارك وتعالى ولذلك أنكروا وقوع النسخ.

وفريق: قال بوقوعه لكنهم اختلفوا في ذلك أيضاً: -

= عبد العزيز أحمد البخاري ج ٣ ص ١٥٤ إصدار دار الكتاب العربي بيروت، أنظر العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى تحقيق الدكتور أحمد بن علي سير المباركي ص ٧٦٨ إصدار مؤسسة الرسالة.

(١) أنظر المحصول في علم أصول الفقه للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي تحقيق د. طه جابر فياض العلواني ج ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢٣ (الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م) إصدار لجنة البحوث للتأليف والترجمة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ص ١٨٣ - ١٨٤. (الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م) طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٢) البداء هو أن يكون الله قد أمر بشيء وأراده أو نهي عنه ثم علم من حال المأمور به في الثاني ما لم يكن قد علمه منه في وقت الأمر به أو النهي عنه فأوجب خلاف ما أمر به في السابق تعالى الله علوا كبيراً عن هذا.

فمنهم من أجازه عقلاً ومنعه سمعاً محتجين بما نسبوه إلى سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ من قوله: «شريعتي لا تنسخ أبداً».

ومنهم من أجازه عقلاً وسمعاً لكنهم لم يؤمنوا برسالتي محمد ـ ﷺ وعيسى عليه السلام لإنعدام المعجز.

ومنهم من جعل رسالة سيدنا محمد ـ ﷺ ـ خاصة بالعرب فقط.

الرد على المنكرين

أولاً: ـ الرد على من أنكر النسخ: ـ

يقال لهم هل كانت رسالة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ناسخة للرسائل السابقة أم لا؟ فإن أجابوا بالنفي لزمهم الكذب لأن هنالك الكثير من الأحكام والتشريعات التي أتت في رسالة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ تُخالف ما كان عليه الأنبياء السابقين مثل الجمع بين الأختين وتزويج الأخوة من الأخوات على عهد أبي البشر آدم ـ عليه السلام ـ ومثل الاختتان فقد أختتن سيدنا ابراهيم في الكبر بينما أوجبه سيدنا موسى في الصغر فلا يلزمهم من ذلك إلا القول بالنسخ. فنقول لهم: هل نسخ شرع سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ للشرائع السابقة أدى إلى قلب الحق إلى باطل والباطل إلى حق؟ ثم هل بدا لله من حال تلك الشرائع ما كان خافياً عنه وجاهلاً به؟!.

ثم إن البداء لا يكون بداء كما ذكر القاضي عبد الجبار[1] إلا عند أمور محددة هي «أن يكون المكلف واحداً والفعل واحداً والوقت واحداً والوجه واحداً ثم يرد الأمر بعد النهي أو النهي بعد الأمر».

(١) أنظر كتابه شرح الأصول الخمسة تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ص ٥٨٤ (الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م) الناشر مكتبة وهبه القاهرة.

وهذا لعمري لم يصدر من قبل المولى جل شأنه حين نسخ الشرائع لأنه ضرب من العبث وهو جل جلاله منزه عنه.

ثانياً: ـ الرد على من أجاز النسخ وأنكر نبوة المصطفى ﷺ:

أ ـ الرد على من أجازه عقلاً ومنعه سمعاً: ـ

بأننا نطالبهم بما يثبت صحة هذا النص الذي استندوا عليه فإن ادعوا التواتر أنكرنا عليهم ذلك إذ لو كان متواتراً لعلمناه بالضرورة ولكان معلوماً لدى طائفة العنانية(1) التي أقرت النسخ عقلاً وسمعاً، فإقرار أولئك على جواز النسخ عقلاً وسمعاً دل على عدم تواتر هذا النص فلا يؤخذ به(2).

ب ـ الرد على من أجازه عقلاً وسمعاً وأنكر نبوة المصطفى ﷺ لانعدام المعجز:

نقول لهم بأن نبوة المصطفى ﷺ قد ثبتت لدينا بالمعجز الذي زعمتم انعدامه عُقيب دعواه النبوة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فالقرآن الكريم على رأس معجزاته جميعاً. والذي تحدى أن يأتي بمثله أكابر فحول العربية فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مثله والعجز لغيرهم أكد ولا يزال وسيظل هذا التحدي قائماً إلى قيام الساعة.

ثم نبع الماء من بين أصابعه وأنين الجذع الذي كان يخطب عليه حينما استبدله بالمنبر وإشباع العدد الكبير من الطعام اليسير كل هذا وغيره من المعجزات التي أيده الله بها فزعمكم عدم تصديقه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لعدم المعجز هذا ادعاء ظاهر البطلان إذ أن معجزاته صلوات الله عليه وسلامه خلاف جميع معجزات الأنبياء، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها شاهدة على صدق دعواه وعلى ختم رسالته لجميع الرسالات السماوية.

(1) أنظر الفصل الأول من الباب الثاني ص ١٦٨.
(2) انظر المرجع السابق ص ٥٨٠.

ج ـ الرد على مَن اعترف بنبوته ﷺ غير أنه قصرها على العرب فقط: ـ

نقول لهم إن مجرد اعترافكم بنبوته يُلزمكم الإيمان به واتباعه وبالتالي الإلتزام بشريعته باعتبارها ناسخة لما قبلها من الشرائع وخاصة أنه أعلن أنه مبعوث إلى البشر كافة وليس إلى بني جنسه فقط[1] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

وقد رد الإمام الرازي على فرقة العيسوية التي إدعت هذا في تفسيره لِقوله تعالى:

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ ﴿١٥٧﴾

حيث قال ما نصه «هذه الآية تدل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى جميع الخلق وقال طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهم أتباع عيسى الأصفهاني: أن محمد رسول صادق مبعوث إلى العرب، وغير مبعوث إلى بني إسرائيل. ودليلنا على إبطال قولهم، هذه الآية. لأن قوله (يا أيها الناس) خطاب يتناول كل الناس.

ثم قال (إني رسول الله إليكم جميعاً) وهذا يقتضي كونه مبعوثاً إلى جميع الناس، وأيضاً فما يعلم بالتواتر من دينه، أنه كان يدعي أنه مبعوث إلى كل العالمين. فأما أن يقال: أنه كان رسولاً حقاً أو ما كان كذلك فإن كان رسولاً حقاً، امتنع الكذب عليه. ووجب الجزم بكونه صادقاً في كل ما يدعيه، فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية أنه كان يدعي كونه مبعوثاً إلى

(١) أنظر شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ج ٢ ص ١٤٠ ـ ١٤١ دار الطباعة بتركيا سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٩٧٥ م دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة، أعلام النبوة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي ص ٥٣، ٥٤ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سلم الوصول شرح نهاية السول للشيخ جمال الدين الأسنوي الشافعي ج ٢ ص ٥٥٥ ملتزم الطبع المطبعة السلفية الناشر جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة ١٣٤٥، مناهل العرفان للزرقاني ج ٢ ص ١٠٢.

(٢) سورة سبأ آية ٢٨.

جميع الخلق، وحب كونه صادقاً في هذا القول، وذلك يبطل قول من يقـول: إنه كان مبعوثاً إلى العرب فقط لا إلى بني اسرائيل.

وأما قول القائل: أنه ما كان رسولاً حقاً، فهذا يقتضي القـدح في كونـه رسولاً إلى العرب وإلى غيرهم، فثبت أن القول بأنه رسـول إلى بعض الخلق دون بعض كلام باطل متناقض»[1].

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ١٥ ص ٢٦.

الباب الثاني
موقف القرآن الكريم من التوراة التي بأيدي اليهود

الفصل الاول : أسفار التوراة وموضوعاتها.

الفصل الثاني : تدوين التوراة.

الفصل الثالث : تحريف التوراة.

الفصل الرابع : أدلة التحريف وشواهده.

الفصل الخامس : بواعث التحريف وأهدافه.

تمهيد

لقد تقدم الحديث عن موقف القرآن الكريم من التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ هدي للناس.

وفي هذا الباب نتناول بالبحث موقف القرآن الكريم من التوراة التي بأيدي أهل الكتاب من اليهود والنصارى..

غير أنه من الأهمية بمكان أن ننبه إلى أن التوراة التي يقدسها كل من اليهود والنصارى والتي أطلق عليها لدى الطائفة الأخيرة اسم [العهد القديم] ضمن كتابهم المقدس الشامل لها وللعهد الجديد.

أقول من الأهمية التنبيه إلى أن هذه التوراة تضم الى جانب أسفار موسى الخمسة التي هي المدلول الحقيقي لكلمة (التوراة) عدداً من الأسفار منسوباً معظمه إلى أنبياء بني اسرائيل بعد موسى وقبل عيسى ـ عليها السلام ـ وكذلك إلى ملوكهم وقضاتهم. وأن هذه الأسفار الملحقة غير مجمع على تقديسها سواء بين فرق اليهود أنفسهم أو بين اليهود والنصارى أو بين الكاثوليك والبروتستانت من الطوائف المسيحية. ونظراً لهذا الخلاف حول تقديس الأسفار الملحقة بين طوائف أهل الكتب فإن البحث في هذا الباب سيجعل الأسفار الخمسة المجمع على تقديسها بينهم المادة الأساسية للبحث ومجال التركيز والتفصيل.

غير أن هذا لا يعني عدم ذكر الأسفار الأخرى في العهد القديم. وإنما الذي نعنيه بذلك أن الحديث عن الأسفار الملحقة سيكون بالقدر الذي تتطلبه الضرورة العلمية لمباحث هذا الباب الذي يضم الفصول الخمسة التالية: ـ

١ ـ أسفار التوراة وموضوعاتها.

٢ ـ تدوين التوراة.

٣ ـ تحريف التوراة.

٤ ـ أدلة التحريف وشواهده.

٥ ـ بواعث التحريف وأهدافه.

الفصل الاول

أسفار التوراة وموضوعاتها

يـدل البحث في الأسفـار المقـدسـة لـدى اليهـود أن بـأيـديهم نسختيَن من التوراة. . .

التوراة العبرانية والتوراة السامرية وكل منهما تنسب إلى طائفـة معينة من اليهـود فالتـوراة العبرانيـة تنسب الى اليهود العبـرانيين وهم من نسـل نبي الله يعقوب ابن إسحاق ـ عليهما السلام ـ والتي كتبها نبي الله موسى عليـه السلام كما يزعمون.

والتوراة الثانية وهي التوراة السامرية، تنسب إلى طائفة السامرة وهم من تهودوا من سكان فلسـطين والمناطق الأخـرى ومن بني اسرائيـل وهناك فـروق بين التوراتين وأتباعهما نوضحهـا فيما بعـد ولنبدأ الحـديث عن التوراة الأولى التي يقدسها جمهور اليهود والنصارى.

التوراة العبرانية والتي تنسب الى اليهود العبرانيين كما ذكـرت تطلق في الأصل على الأسفار الخمسة التي ينسبونها إلى سيدنـا موسى ـ عليـه السلام ـ وهي سفـر التكوين والخـروج واللأويين والعـدد والتثنيـة، ويـطلق أيضـاً لفظ التـوراة على سبيـل المجاز على أسفـار أخـرى ألحقت بـالأسفـار الخمسـة يعتبرونها مقدسة وأن لم ينسبوها لسيدنا مـوسى عليه السـلام وإنما نسبت إلى أشخاص آخرين، وسوف نأتي على ذكرها فيما بعد إن شاء الله.

وفيما يلي عرض موجز لأسفار التوراة(١) وما ورد فيها: ـ

(١) الكتاب المقدس إصدار جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.

أولاً: سفر التكوين أو الخليقة

وهذا السفر يتكـون من خمسين إصحاحـاً وقد عني بـالحديث عن بـدء المخلوقـات وتركيبهـا، لذلـك سمي سفـر التكـوين إذ ذكـر فيـه خلق الأرض والسماء وآدم ونسله ونسل سـام ابن نوح الـذي ينتمي إليه بنـو إسرائيـل وذكر خبر إبراهيم عليه السلام وبنيه يعقوب وإسحـاق وينتهي بدخـول يعقوب وبنيـه مصر ومن ثم وفاة يوسف ـ عليه السلام ـ بها، وفيما يلي عرض موجز لأهم ما ورد في كل إصحاح من إصحاحات هذا السفر.

الإصحاح الأول:

ورد فيـه ذكر خلق الكـون الأرض والسماء والحيـوانات والليـل والنهـار والإنسان وتسليطه على هـذا الكون. . . وعـدد فقرات هـذا الإصحاح إحـدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني:

إستكمال الحديث عن خلق السمـوات وخلق آدم وجنة عـدن وشجرهـا وجعل آدم فيها ونهيه عن الأكل من شجـرة المعرفـة[1] وخلق امرأة لـه من أحد أضلاعه. وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وعشرون فقرة.

الإصحاح الثالث:

إغـواء الحية لحـواء وجعلهـا وزوجهـا يـأكـلان من الشجـرة المحـرمـة وحصول المعرفة لهما بعد الأكل من الشجرة واختباؤهما من وجه الالهه وبحثه عنهما ومن ثم اكتشافه عصيانهما له وطـردهما من الجنـة مخافـة أن يأكـلا من شجرة الحياة[2] فيصبحا خالدين. . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة. .

(١) فكرة شجر المعرفة مأخوذة عن الأساطير القديمة والتي كـانت ترى أن العلم والمعـرفة متمثلة في شجرة من آكل منها أصبح عالماً وعارفاً بالأشياء ومن لم يأكلها جهل كل شيء.

(٢) هي شجرة الحياة أو شجرة الخلود وفكرتها مقتبسة من الأساطير البابلية القديمة التي تجعل خلو=

الإصحاح الرابع:

إنجاب حواء ابنين هما هابيل وقايين وقتل قايين لهابيل لأن كلا منهما قد قرب قرباناً إلى الرب فقبل الرب قربان هابيل ولم يقبل قربان قايين لأجل ذلك حسد أخاه وقتله، وغضب الرب على قايين ثم ذكر نسل قايين وإنجاب حواء إبنا ثالثا هو شيت وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس:

ذكر تواريخ حياة آدم وأبنائه من بعده الى نوح - عليه السلام وأبنائه الثلاثة سام وحام ويافث. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس:

تزوج أبناء الله من بنات الناس فكان من نسلهم الجبابرة وغضب الإله على الإنسان لكثرة فساده في الأرض وإرادته إغراق جميع الأرض ومن عليها وأمره نوحاً أن يصنع الفلك بطريقة ومواصفات معينة لأنه أراد تنجيته وبنيه فقط، وأمره أن يحمل معه في الفلك زوجين من كل البهائم بالإضافة إلى المؤونة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح السابع:

أمر الرب نوحاً أن يركب الفلك ويأخذ معه من جميع البهائم الطاهرة سبعة ذكور وسبعة إناث ومن البهائم الغير طاهرة إثنين ذكراً وأنثى وكذلك الطيور يأخذ منها سبعة ذكور وسبعة إناث، ثم حدوث الفيضان وإغراق الأرض ومن عليها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن:

انتهاء الطوفان وخروج نوح ومن معه من الفلك وبناؤه مذبحاً للرب وندم الرب على إهلاكه للأرض ومن عليها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

= الإنسان في هذه الحياة معلقاً بأكله من ثمرة شجرة الحياة أو الخلود فلا يفنى ولا يموت إن هو آكل من هذه الشجرة.

الإصحاح التاسع:

ورود بعض التشريعات منها تحريم قتل النفس وجعل القصاص النفس بالنفس ولعنة نوح لابنه حام والدعاء على نسله بأن يصبح عبداً لنسل سام... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح العاشر:

ذكر نوح ومواليده من بعده ومساكنهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الحادي عشر:

اختلاف اللسان وتغير اللغة ومحاولة بناء أول مدينة على وجه الأرض وهي بابل وسبب تسميتها بهذا الإسم وذكر مواليد سام ابن نوح إلى إبرام ابن تارح وابن أخيه لوط... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني عشر:

خروج إبرام وزوجته ساراي وابن أخيه لوط من بلاده حاران[1] إلى أرض الكنعانيين ومن ثم إلى مصر لانتشار الجوع في الأرض وإدعاء إبرام أن ساراي أخته وأخذ فرعون لها وزواجه بها، ومن ثم اكتشافه كذب ابرام وإخراجه وزوجته من أرض مصر... وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح الثالث عشر:

افتراق إبرام ولوط وسكن الأول في أرض الكنعانيين والثاني في أرض سدوم وعموره[2] ووعد الرب لإبرام أن يكثر نسله كتراب الأرض بحيث

(١) حاران: ـ هي مدينة بين النهرين، على نهر بليخ وهو فرع للفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من دمشق وكانت المدينة مركزاً تجارياً لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨١.

(٢) سدوم وعمورة: قريتان من قرى قوم لوط عليه السلام أهلكهما الله فأصبح مكانهما البحر الميت.

يصعب عدهم وأن يعطي أرض الكنعانيين لنسله. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح الرابع عشر:

نشوب حروب بين ملوك سدوم وعمورة وبين ملوك آخرين مما أدى إلى إنهزام ملوك سدوم وعموره ومن ثم أسر لوط وسلب جميع أمواله، فخرج إبرام وغلمانه المتمرنون على القتال إلى الغزاة واسترجع منهم ابن أخيه وجميع ما سلبوا. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس عشر:

معاتبة إبرام للرب إذ لم يرزقه الذرية بعدما وعده الرب أن يجعل ذريته كعدد نجوم السماء. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس عشر:

زواج إبرام من هاجر المصرية جارية ساراي وإنجابها ابناً له اسمه اسماعيل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست عشرة فقرة.

الإصحاح السابع عشر:

تغير اسم إبرام إلى إبراهيم وساراي إلى سارة وتشريع الختان وتبشير إبراهيم بابن سوف يولد له هو إسحاق. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن عشر:

استضافة ابراهيم للرب ولرجلين معه وهم في طريقهم لإهلاك قريتي سدوم وعموره وتبشير الرب إبراهيم بابنه اسحاق ومراجعة ابراهيم للرب عسى أن يتراجع عن قراره في إهلاك قريتي سدوم وعموره. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع عشر:

هلاك قريتي سدوم وعمورة ونجاة لوط وابنتيه ومن ثم إنجاب ابنتي لوط

مرآب وعمون بالزنى من أبيهما. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وثلاثون فقرة.

الإصحاح العشرون:

انتقال ابراهيم الى الجنوب الى منطقة جرار وإدعاؤه أن سارة أخته وأخذ (أبيمالك)[1] ملك جرار[2] لها وظهور الرب له في المنام وإعلامه أنها زوجة ابراهيم وليست أخته، لذلك تركها ولم يتزوجها وأحسن إليها وإلى زوجها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح الحادي والعشرون:

إنجاب سارة ابنها إسحاق وأمرها ابراهيم لحقل هاجر وابنها فذهبا إلى برية فاران[3]. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني والعشرون:

أمر الرب إبراهيم بذبح ابنه إسحاق ومن ثم فداؤه بالكبش. . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثالث والعشرون:

موت سارة زوجة إبراهيم وشراء إبراهيم لحقل ومغارة عفرون الحثي[4] ودفنه سارة فيها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

(١) ابيمالك: اسم عبري معناه «أبو ملك» أو الأب ملك وقد كان اسماً لملك في فلسطين عاش في عصر ابراهيم. قاموس الكتاب المقدس ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) جرار: هي مدينة قديمة شهيرة في جنوب فلسطين على بعد ثمانية أميال من جنوب شرق غزة. وهذه المدينة أتي إليها كل من ابراهيم وإسحاق بسبب الجوع وتعرض كل منهما إلى الكذب على أبيمالك بشأن امرأتيهما. والكلمة أبيمالك كانت لقباً لجميع ملوكها. قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) برية فاران: كلمة عبرانية معربة وهي من أسماء مكة ورد ذكرها في التوراة قيل هو اسم لجبال مكة أو جبال الحجاز. وقال أبو عبد الله القضاعي: فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية. أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٤ ـ ص ٢٢٥.

(٤) عفرون الحثي: هو ابن صوحر حثي كان يقيم في الخليل وقد باع ابراهيم حقل المكفيله=

الإصحاح الرابع والعشرون:

زواج إسحاق من رفقه ابنة عمه... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وستون فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

تزوج ابراهيم بعد سارة امرأة اسمها قطورة وانجابه منها عدة أبناء قد ذكرهم الإصحاح هم وأبناؤهم ثم وفاة إبراهيم وذكر أبناء اسماعيل وأبناء إسحاق عيسو ويعقوب... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس والعشرون:

حدوث مجاعة ونزوح اسحاق إلى جرار أرض الملك (أبيمالك) وكذبه وادعاؤه أن رفقة أخته وليست زوجته، ومعرفة أبيمالك للحقيقة ومن ثم خروجه من عند الملك وعقد حلف بينه وبين الملك وزواج عيسو بامرأتين... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع والعشرون:

أخذ يعقوب بركة أخيه من أبيه بمكر وحيلة ودهاء. وذلك أن أمه سمعت أباه حينما كبر وكلت عيناه يطلب من ابنه البكر عيسو أن يصطاد له صيداً ويطعمه إياه ليباركه قبل أن يموت فأسرعت ليعقوب وطلبت منه أن يحضر لها جديين صنعت له بهما ما يحب من الأطعمة وألبست يعقوب ثياب أخيه عيسو وجعلت على يديه جلد الجدي لأن عيسو كان مشعراً ولم يكن يعقوب كذلك فأنطلت تلك الحيلة على إسحاق وأعطى البركة ليعقوب بدلاً من عيسو الذي غضب أشد الغضب حينما علم بحيلة أخيه وعزم على قتله بعد وفاة أبيه فخافت أمه رفقة منه وأرسلت ابنها يعقوب إلى خاله [لآبان] إلى أن يهدأ غضب أخيه. وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وأربعون فقرة.

= ومغارتها قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٢.

الإصحاح الثامن والعشرون:

خروج يعقوب إلى (حاران) ليتزوج من بنات خاله، وفي الطريق تعب فنام فرأي رؤية أن الله يكلمه هناك فقال في نفسه هذا المكان هو بيت الله، فنصب عموداً ووضع عليه زيتاً ونذر أن حفظه الرب ورعاه وأعاده سالماً إلى بيت أبيه أن يجعل العُشر من ماله لبيت الله، وكان اسم المدينة (لوزة) فأطلق يعقوب على ذلك المكان اسم (آيل)، أي بيت الله... وعدد فقرات هذا الإصحاح إثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح التاسع والشعرون:

ذهاب يعقوب إلى حاران، حيث يقيم خاله لآبان والتقاؤه بابنة خاله (راحيل) على البئر وسقيه لغنمها، ثم خدمة يعقوب للآبان سبع سنين مقابل تزويجه راحيل فزوجه خاله أختها الكبرى (ليئة) ثم خدم عنده لمدة سبع سنوات أخرى مقابل تزويجه (راحيل) فزوجه إياها وكانت عاقراً وفتح الله رحم أختها ليئة فولدت ليعقوب أربعة أبناء، هم روابين وشمعون ولاوى ويهوذا... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثلاثون:

تزويج راحيل جاريتها (بلهة) ليعقوب وإنجابها ليعقوب ابنيه (دانا ونفتالي)، وتزويج ليئة جاريتها (زلفة) لزوجها يعقوب وإنجاب يعقوب منها ابنيه (جادا وأشير) وإنجاب ليئة ليعقوب ولدين آخرين هما (يساكر وزبولون) وابنه هي (دينة)، إنجاب راحيل ابنا هو (يوسف). عزم يعقوب على العودة إلى بلاده وطلبه من خاله أجرة عمله لأنه عمل لديه سبع سنوات أخرى غير السنوات التي تزوج بها ابنتي خاله... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وأربعون فقرة.

الإصحاح الحادي والثلاثين:

تغير نفس لابان على ابن أخيه يعقوب وعزمه على الغدر به وهروب يعقوب بنسائه وأبنائه وجميع ممتلكاته من وجه خاله ولحوق لآبان بهم وعقده

اتفاقاً مع يعقوب أن لا يحاول أحدهما أن ينال الآخر بشر... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وخمسون فقرة.

الإصحاح الثاني والثلاثون:

قدوم يعقوب إلى بلاده وتخوفه من أخيه عيسو وإرساله الهدايا له، ذكر مصارعة يعقوب للرب ليلة كاملة وإطلاق الرب اسم اسرائيل على يعقوب بدلاً من يعقوب... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والثلاثون:

التقاء يعقوب بأخيه عيسو وزوال كل خلاف بينهما وشراء يعقوب للحقل الذي في مدينة (شكيم)[1] حيث رأى الله في المنام هنالك، حينما كان ذاهباً إلى حاران وقد سبق له أن أطلق على هذا المكان اسم أيل، فبني مذبحاً هنالك للرب ودعاه إيل اله اسرائيل... وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح الرابع والثلاثون:

زنا شكيم ابن حموري الحوى رئيس المدينة بدينة ابنة يعقوب وخطبة حموري لها من أبيها يعقوب لتكون زوجة لابنه وخداع أخوتها لحموري واشتراطهم الاختتان على جميع الذكور من قومه وقبوله لهذا الأمر واختتان جميع الذكور وغدر ابني يعقوب شمعون ولاوى بحموري وأهل مدينته إذ كانوا متوجعين من الاختتان فدخلوا عليهم وقتلوا جميع ذكورهم بما فيهم حموري وابنه شكيم وسلبهم ونهبهم لجميع ما في المدينة... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

إعادة لما ذكر سابقاً من بناء يعقوب للمذبح وإطلاقه على ذلك المكان بيت إيل (أي بيت الرب)، ووفاة راحيل وهي تنجب ابنها (بنيامين) ووفاة

(١) شكيم هي نابلس حالياً.

إسحاق وإشراف ابنيه عيسو ويعقوب على دفته. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس والثلاثون:

ذكر أبناء عيسو ونسلهم ومن تملك منهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وأربعون فقرة.

الإصحاح السابع والثلاثون:

محبة يعقوب لابنه يوسف وتقديمه له على سائر أخوته وذكر الرؤيا التي رآها يوسف والتي فيها تفضيل له على إخوته جميعاً مما أثار غيظ وحنق أخوته عليه، ومن ثم تآمرهم عليه حينما بعثه أبوه في أثرهم ووضعهم له في البئر وذهابهم إلى أبيهم بقميصه الملطخ بالدماء مدعين أن الوحش قد افترسه. . . إنقاذ يوسف على أيدي تجار مديانيين أخرجوه من البئر وباعوه إلى قافلة اسماعيلية[1] ذاهبة إلى أرض مصر ومن ثم بيعه لرئيس الشرطة هنالك. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثامن والثلاثون:

تزوج يهوذا من ابنة رجل كنعاني وأنجب منها ثلاثة أبناء هم عيرا وأونان وشيلة وزوج بكره عيرا لامرأة تدعى ثامار، ثم مات عيرا فزوجها لابنه الثاني أونان ثم توفي أونان فخشي يهوذا على ابنه شيله منها وقال لها اذهبي ارتدي ثياب ترملك وأقعدي في بيت أبيك حتى يكبر شيله ويتخذك زوجة، وماتت زوجة يهوذا وعلمت ثامار أن حميها يريد الذهاب إلى يمنه فخلعت ثياب ترملها وتلففت وبرقعت وجهها وجلست في عينايم التي على طريق يمنه في طريق حميها فلما رآها حسبها زانية فزنى بها وأخذت منه خاتمه وعصاه وعصابته وهو لا يدري أنها كنته ثم علم بعد ثلاثة أشهر أن كنته حبلى من الزنى فأراد إحراقها فأرسلت له خاتمه وعصاه وعصابته فلم يحرقها وأنجبت

(١) المراد بقافلة اسماعيلية أي حجازية من بني اسماعيل عليه السلام والقبائل العربية التي كانت تسكن الحجاز أنذاك.

ثامار توأمين هما (فارص وزارح)... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع والثلاثون:

شراء رئيس الشرطة ليوسف ودفع جميع أمواله إليه ليتولاها ويرعاها لما رأى فيه من أمانة وإخلاص وحسن تصرف. افتتان زوجة رئيس الشرطة بيوسف وطلبها منه الفاحشة وامتناعه عنها واتهامها له بأنه أراد بها السوء وسجن يوسف... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الأربعون:

سجن ساقي الملك وخبازه في السجن مع يوسف ورؤية كل منهما رؤيا وتعبير يوسف لرؤياهما... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الحادي والأربعون:

رؤيا فرعون وتعبير يوسف لها وتعيين يوسف على جميع خزائن مصر وتزويج فرعون له وإنجابه ابنين هما (منسي وافرايم) وانتشار المجاعة في جميع الأرض... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وخمسون فقرة.

الإصحاح الثاني والأربعون:

ذهاب أخوة يوسف العشرة الى مصر ليشتروا من قمحها ومعرفة يوسف لهم دون أن يعرفوه والمعاملة الجافة التي عاملهم بها واتهامه إياهم بأنهم جواسيس وسجودهم وتضرعهم له وسؤاله إياهم عن أبيهم وأخيهم، إذ ذكروا له ذلك وطلبه منهم أن يحضروا أخاهم واتخاذه واحداً منهم رهينة لديه ريثما يثبت من صدقهم وإعطاؤه لهم جميع ما أرادوا من قمح ورد ثمنه اليهم دون علمهم، ومن ثم ذهابهم إلى أبيهم وطلبهم أن يرسل معهم أخاهم بنيامين حتى يتثبت من صدقهم ويتزودوا بالمؤنة التي يحتاجونها واعتراض الأب على أخذ ابنه... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والأربعون:

ضمان يهوذا لأخيه بنيامين لدى أبيه، وذهابهم إلى مصر واستضافة يوسف لهم ومعرفته أخاه من بينهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح الرابع والأربعون:

صرف يوسف لأخوته بعد أن زودهم بالمؤنة وجعله طاسه الفضي في رحل أخيه بنيامين دون علمهم ثم إرساله بعد خروجهم من المدينة في طلبهم واتهامهم بالسرقة وتفتيش جميع رحالهم وإخراج طاسه من رحل أخيه بنيامين، وتوسلهم لديه وبخاصة يهوذا فقد طلب من يوسف أن يأخذه عبداً لديه عوضاً عن بنيامين لأنه كافله وضامنه أمام أبيه. وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس والأربعون:

كشف يوسف عن شخصيته وطلبه من إخوته أن يأتوا بأبيه بعد أن زودهم بالملابس والفضة والقمح وكل ما يحتاجونه... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس والأربعون:

رحيل يعقوب وجميع بنيه - مع ذكرهم التفصيلي - إلى مصر وكان عددهم سبعين نفساً بما فيهم يوسف وبنيه، واستقبال يوسف لهم وطلبه أن يسكنوا في أرض جاسان[1]... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

(١) جاسان: هي منطقة خصبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي واقعة شرق الدلتا وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلى البحر وفي برية جعفر الى وادي توميلات وهي تكون جزءاً من أرض رعمسيس. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

الإصحاح السابع والأربعون:

سكن يعقوب وأبنائه بأرض مصر واشتداد الجوع وانتشاره، بيع يوسف القمح للمصريين والكنعانيين وأخذه أولاً جميع الفضة التي كانت تحت أيديهم ثم أخذه مواشيهم وبهائمهم ثم أخذه حقولهم وجعلها تحت أيديهم يزرعونها فيكون لفرعون الخمس والأربعة أخماس الباقية يبذرون منها ويأكلون... ثم دنو أجل يعقوب وكان عمره يناهز المئة والسبع والأربعين عاماً وإيصاؤه ابنه يوسف أن يدفنه حيث دفن آباؤه... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثامن والأربعون:

رؤية يعقوب لابني يوسف أمنسي وافرايم ومباركته لهما... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح التاسع والأربعون:

جمع يعقوب لأبنائه ومباركته لهم وإخبارهم بما سيكون عليه حالهم ومن ثم وفاته... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخمسون:

خروج يوسف وإخوته والمصريين[1] إلى أرض الكنعانيين لدفن أبيه يعقوب ثم عودتهم إلى مصر وخوف إخوته أن ينتقم لنفسه منهم فطمأنهم وأحسن إليهم ورأى أبناء أولاده وتوفي عن عمر يناهز المئة والعشر سنين بعد أن أوصى بني إسرائيل أن يحملوا عظامه معهم حينما يخرجون من أرض مصر... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

(١) الذين خرجوا مع سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ جميع عبيد فرعون وشيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر وكل بيت يوسف وإخوته وبيت أبيه هذا كما ورد في نص السفر.

سفر الخروج

سفر الخروج:

عـدد إصحاحـات هذا السفـر أربعـون إصحـاحـاً، وسمي بهـذا الإسم لتناوله مرحلة مهمة من مراحل حياة بني اسرائيل وهو خـروجهم من مصر على يد سيدنا موسى عليه السلام والآيات الباهـرة التي رافقت خروجهم، ويتنـاول هذا السفر حياة بني اسرائيل بمصر بعـد موت سيـدنا يـوسف ـ عليه السـلام ـ حتى خـروجهم منها، وفيمـا يلي نجمل عـرض مـا ورد في كـل إصحـاح من اصحاحات هذا السفر. . .

الإصحاح الأول:

تناول هذا الإصحاح ذكر أسماء بني يعقوب الذين جاءوا معـه إلى مصر وأشار إلى توالدهم وكثرتهم، مما أخاف منهم فرعون مصر الجديـد، فأنهكهم بالأعمال الشاقة وأمر قابلتي العبرانيين أن تقتلا كل مولود من الذكور ثم أمر أن يطرح جميع المواليد الـذكور من العبـرانيين في النهر. . . وعـدد فقرات هـذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح الثاني:

ولادة موسى ورميه في النهـر ومن ثم كفالـة ابنة فـرعون لـه ونشأتـه في كنفهـا وقتله للمصري وغضب فـرعون عليـه وهروبـه الى مديـان وزواجـه من صفورة ابنة كاهن مديان وإنجابها ابناً له هو جرشوم ووفاة ملك مصر واستمـاع الإله لمظالم بني إسرائيل. . . وعـدد فقرات هـذا الإصحاح خمس وعشـرون فقرة. .

الإصحاح الثالث:

اشتغال موسى برعي غنم حميه يشرون وتكليم الإله له عند جبل حوريب(1) وأمره أن يذهب الى بني اسرائيل ويخبرهم أن الههم قد أرسله ليخرجهم من أرض مصر مما هم فيه من ذل ومهانة وأن يطلب من فرعون السماح له ولقومه بالخروج من مصر وأمره أن يستعيروا أكبر قدر من أمتعة الفضة والذهب التي لدى المصريين. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح الرابع:

جعل الإله لموسى علامات ودلائل تدل على صدق دعواه وهي العصا التي تقلب إلى حيّة ويده وماء النهر الذي يتحول إلى دم إذا لامس اليابس وإرسال هارون معه ليعينه وتصديق بني اسرائيل لموسى وهارون. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس:

رفض فرعون لطلب موسى وهارون الخروج ببني اسرائيل من مصر ومضاعفة الأعمال الشاقة عليهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس:

وعد الإله لبني اسرائيل بنجاتهم وأمر موسى وهارون أن يعيدا على فرعون طلب الخروج. . . وذكر رؤساء عشائر بني اسرائيل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع:

اتيان موسى وهارون فرعون بالآيات الدالة على صدقهم من تحول العصا إلى حية وتحول مياه النهر إلى دم وقسوة قلب فرعون بالرغم من هذه

(1) حوريب: هو اسم يطلق على جبل سيناء. انظر الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة ص ١٥٦ هامش ٢.

الآيات وإعراضه عن طلبهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن:

لما لم يذعن فرعون للآيات السابقة أرسلت عليه الضفادع وعلى قومه فوعد موسى أن رفع الهه عنهم هذا البلاء أن يطلق بني اسرائيل مع موسى ولكنه نكث عهده بعد أن ماتت الضفادع فأرسل الإله عليهم البعوض في جميع بيوتهم على الناس وعلى البهائم ولم يستطع سحرة فرعون أن يصنعوا شيئاً ثم أرسل الذبان على فرعون وقومه دون بني إسرائيل ونكث فرعون بوعده مع موسى بعدَ أن رفع البلاء عنه وعن قومه. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع:

قتل الإله لجميع مواشي فرعون وقومه دون مواشي بني إسرائيل ثم أمر الرب لموسى وهارون أن ينثرا في السماء رماد الأتون فتصيب جميع أجساد المصريين وتحدث لهم الدمامل والقروح، ولما لم يرتدع فرعون أرسلت عليه وعلى قومه الأمطار والبرد فقتلت جميع ما في الحقول وخارج البيت من بهائم وأشجار ومن ثم طلب فرعون من موسى أن يدعوا إلهه أن يرفع البلاء عنهم ووعده بأنه سوف يطلق سراح بني اسرائيل أن رفع البلاء ولكن بعد رفع البلاء نكث فرعون بعهده. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح العاشر:

تحذير موسى وهارون لفرعون إن لم يرسل معهم بني اسرائيل فسوف يسلط الإله عليه وعلى قومه الجراد وموافقة فرعون لهم شريطة أن يذهب الرجال فقط من بني اسرائيل ورفض موسى وهارون لهذا الأمر وابتلاء فرعون وقومه بالجراد الذي أتى على البقية الباقية التي تركها البرد وطلب فرعون من موسى أن يدعو إلهه أن يرفع عنهم هذا البلاء مقابل إطلاق سراحهم ثم نكوثه بوعده ثم ضرب المصريين بالظلام حتى لا يستطيع أحدهم أي يرى أخاه فطلب

فرعون موسى وأذن له بالخروج هو وقومه شريطة أن لا يأخذوا مواشيهم معهم فرفضا ذلك. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الحادي عشر:

أمر الإله بني اسرائيل أن يستعيروا أمتعة الذهب والفضة من المصريين وأن يخرجوا في منتصف الليل من مصر وهو سوف يميت كل بكر للمصريين ابتداء من بكر الإنسان إلى بكر جميع البهائم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح عشر فقرات.

الإصحاح الثاني عشر:

جعل الشهر الذي خرجوا فيه رأس جميع الشهور وأمر بني اسرائيل أن يذبحوا ذبائح معينة في أوقات محددة وتؤكل أيضاً بطريقة معينة وأن يجعلوا دماء هذه الذبائح على أبواب وأعتاب بيوتهم حتى يميزهم الرب عن المصريين حينما يهلك أبكارهم ثم ذكر خروجهم من مصر إلى سكوت[1] وذكر عدد الرجال منهم وهم ستمائة ألف ماشي عدا الأولاد وذكر مدة إقامتهم في مصر وهي أربعمائة وثلاثون سنة. . . ثم ذكر بعض التشريعات بما فيها الاختتان. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وخمسون فقرة.

الإصحاح الثالث عشر:

فيه حض على تعظيم ليلة الخروج وتذكير أبنائهم بها والمراسم التي يجب أن تقام احتفالاً بذكرى مرورها سنوياً بإقامة عيد الفطير وما يلزمه من ترتيبات، وجعل كل بكر من نتاج البهائم والمحاصيل قرباناً لله وتقديم الفداء عن بكر الإنسان. ثم ذكر الإصحاح رعاية الله لهم أثناء هروبهم من وجه فرعون والمصريين. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

(١) سكوت: أول محلة وقف فيها العبرانيون بعد خروجهم من مصر والبعد بينها وبين إيثام يدل على أنها تقع في وادي الطميلات ولكن المكان غير معروف بالضبط وكانت على سفر يوم من رعمسيس فظن البعض أنها تل المسخوطة وظن آخرون أنها المدينة المحيطة بفيتوم.
أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٢.

الإصحاح الرابع عشر:

نزول بني اسرائيل عند البحر ولحوق فرعون بهم وانشقاق البحر أمام بني اسرائيل ودخول فرعون وجنوده خلفهم ومن ثم نجاة موسى وبني اسرائيل معه وانطباق البحر على فرعون وجنده وغرقهم جميعاً... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس عشر:

نظم بني اسرائيل ترانيم وأناشيد يمجدون بها الرب الذي أنجاهم وأغرق أعداءهم ثم ارتحلوا إلى برية شورتم ماره[1] ثم إلى ايليم[2] وكان هنالك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا بها... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس عشر:

رحيل بني اسرائيل الى برية سين التي بين ايليم وسيناء ثم تذمر بني اسرائيل من موسى وهارون واتهامهما أنهما لم يخرجاهم من مصر إلا ليميتاهم في البرية جوعاً فأرسل الله لهم طائر السلوى[3] يصيدونه في المساء وفي

(١) برية شورتم: هي برية في جنوب فلسطين أو على الأخص جنوب بئر لحي رئي وشرق مصر. سار فيها بنو اسرائيل ثلاثة أيام حال عبورهم البحر الأحمر وكانت تسمى أحياناً برية إيثام. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢٨.

(٢) إيليم: اسم عبري ومعناه «أشجار» وهو اسم المكان الثاني الذي حل فيه بنو اسرائيل بعد عبورهم البحر الأحمر وكان هذا المكان يقع بين مارة وبرية سين، وكان فيه اثنتا عشرة عينا وسبعون شجرة من أشجار النخيل ويرجح أن مكانه الحالي هو واحة وادي غرندل حيث توجد ينابيع وأشجار ويبعد هذا المكان مسافة ثلاثة وستين ميلاً جنوبي شرق السويس. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٤.

(٣) السلو: طيور ترحل في أفريقية من الجنوب إلى الشمال في أسراب كثيرة العدد جداً. وقد أرسل الله كمية كبيرة من هذه الطيور إلى محلة العبرانيين ليأكلوا لحمها بعد أن تذمروا على موسى وقد طارت أسرابها من الجنوب عن طريق البحر الأحمر فقطعت خليجي العقبة والسويس ووصلت الى البر في شبه جزيرة سيناء. والسلوى حلوة المذاق وهي تبيض من ١٢ الى عشرين بيضة وتطير على ارتفاع صغير «نحو ذراعين فوق وجه الأرض». قاموس الكتاب المقدس ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

الصباح يلتقطون المن[1]. وتحريم العمل عليهم يوم السبت... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع عشر:

ارتحال بني اسرائيل من برية سين إلى رفيديم[2] والتي لم يكن بها ماء وأمر الإله لموسى أن يضرب الصخرة فخرج الماء... ثم محاربة العماليق[3] لبني اسرائيل وانتصار بني اسرائيل وبناء موسى مذبحاً أسماه يهوه نسي... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست عشر فقرة.

الإصحاح الثامن عشر:

قدوم يثرون حمي موسى بابنته صفورة وابنيها جرشوم واليعازر إلى موسى وإشارته على موسى أن يعين قضاة لبني اسرائيل يكون هو المشرف والمرجع لهم بحيث يقضون بين الناس في الأمور البسيطة ويعودون إليه في الأمور الصعبة... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وعشرون فقرة.

(١) المن: اسم عبري معناه «ما هو هذا؟» أو «هبة» وهي مادة أنزلها الله على بني اسرائيل على سبيل أعجوبة مدة إقامتهم في البرية قامت عندهم مقام الخبز وقد سميت «خبزاً من السماء» والمن كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كطعم قطائف بزيت ومنظره كمنظر المقل. انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٥.

(٢) رفيديم: ـ اسم عبري معناه «متسعات» وهي محلة لبني إسرائيل بين برية سين وسيناء حطوا فيها رحالهم أثناء ارتحالهم في البرية لم يكن فيها ماء فتذمر الشعب وضرب موسى الصخرة وخرج منها ماء. أما مكانها فغير معروف على وجه التحقيق ولعلها في وادي رفايد شمالي غربي جبل موسى وهنالك وادي ردوا ـ وهو مجرى مياه باردة ـ يتصل بوادي رفايد وبه واحة عند سفح جبل رفايد.
أنظر الكتاب المقدس ص ٤٠٨.

(٣) العمالق: هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن ذرية عيسو. وكانوا يقيمون في البدء قرب قادش في جنوب فلسطين وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر وكانوا مصدر إزعاج لبني اسرائيل في البرية لأن العبرانيين اعتدوا على ممتلكاتهم وكانت المعركة المهمة الأولى بين الطرفين في رفيديم في غرب سيناء وقد غلبهم العبرانيون وتشتتوا ولكنهم وقفوا في وجه العبرانيين مرة أخرى لما أراد هؤلاء التوسع في اتجاه الشمال وتحالفوا مع المؤبين والمديانيين ضد بني اسرائيل.
انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٦.

الإصحاح التاسع عشر:

ارتحـال بني اسرائيـل من رفيديم الى بـرية سينـاء ونزولهم أمـام الجبل الـذي كلم الرب مـوسى عليه وتكليم الـرب لموسى. . . وعـدد فقـرات هـذا ازصحاح خمس وعشرون فقرة.

الإصحاح العشرون:

مكالمة الرب لموسى وأمره إبلاغ الوصايا العشر إلى بني اسرائيل وهـذه الوصايا تتلخص فيما يأتي:

١ ـ عدم الإشراك بالرب.

٢ ـ إن ذنوب الآباء يحملها الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع.

٣ ـ عدم الحلف باسم الإله كذباً.

٤ ـ تقديس يوم السبت[1] وتحريم العمل فيه وأسباب تقديسه.

٥ ـ تحريم القتل.

٦ ـ تحريم الزنا.

٧ ـ تحريم السرقة.

٨ ـ تحريم شهادة الزور على القريب.

٩ ـ تحريم اشتهاء بيت القريب.

١٠ ـ تحريم اشتهاء إمرأة القريب أو عبـده أو أمته أو ثـوره أو شيئاً ممـا يملك.

ثم الأمر ببناء مـذبح للرب تقـدم عليه القـرابين. . . وعدد فقـرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

(١) السبت: سبت كلمة عبرية معناها «راحة» وقد قدس الإله هذا اليـوم كما يـزعمون لكـونه قـد ارتاح فيه بعد أن خلق الكون فقد ورد في سفر التكوين ذكر سبب قـداسة هـذا اليوم «لـذلك بارك الله يوم السبت وقدسه لأن فيه استراح الرب من جميع أعماله». (٢: ١ ـ٣).

الإصحاح الحادي والعشرون:

أحكام متعلقة بالرق والتملك وأن العبد العبراني يصبح حرا بغير ثمن بعد أن يخدم ست سنين وهنالك تفصيلات متعلقة بهذا الأمر[1]، أيضاً أحكام متعلقة بالجنايات القتل العمد والقتل الخطأ وكيفية القصاص... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني والعشرون:

تشريعات متعلقة بالسرقة وتشريعات متعلقة بالزنا ـ يشتمل أيضاً هذا السفر على أنواع من المعاملات منها تحريم اضطهاد الغريب وتحريم التعامل بالربا بين بني اسرائيل.. انتهاء الرهان بغروب الشمس ـ تحريم شتم الإله ـ جعل كل بكر من الأبناء والثمار والبهائم للاله... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والعشرون:

يشتمل هذا السفر على وصايا وسلوكيات منها التثبت من الخبر وتحريم شهادة الزور وأخذ الرشوة ومضايقة الغريب... وتشريعات خاصة بالزرع والحصاد وتحديد ثلاث أعياد في السنة هي عيد الفطير[2] وعيد الحصاد

(١) إن دخل في العبودية لوحده خرج لوحده وإن دخل هو وزوجته وعياله يخرجون معه أيضاً وإن زوجه سيده وأصبح له أولاد يخرج وحده فقط إلا أن يختار البقاء في العبودية معهم فإنه تثقب أذنه ويبقى عبداً لسيده طول عمره.

(٢) عيد الفطير: أطلق عليه أيضاً عيد الفصح أي العبور وقد سمي بذلك تذكاراً لعبور اليهود البحر الأحمر أثناء خروجهم من مصر وسمي عيد الفطير لأكلهم الخبز ليلة خروجهم قبل أن يختمر وقد كانت الاحتفالات بهذا العيد تستمر سبعة أيام تبدأ في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من شهور السنة العبرية وهو شهر أبيب الذي أصبحوا يسمونه بعد السبي نيسان ـ وذلك لخروجهم من مصر في ذلك اليوم وتنتهي مساء اليوم الحادي والعشرين من نفس الشهر وفي أول أيام هذا العيد وأخرها يقيمون محفلاً مقدساً يمتنعون فيه عن العمل ويأكلون خلال أيامه السبعة الفطيرة بدلاً من الخبز. أنظر المجتمع اليهودي زكي شنوده ص ٢٦٨.

(٣) عيد الحصاد: يقع هذا العيد في اليوم السادس من شهر سيوان ثالث الشهور العبرية وسمي

وعيد الجمع[1].. وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح الرابع والعشرون:

اختيار موسى لسبعين رجلاً من بني اسرائيل لتبليغهم شريعة الإله.. وبنائه للمذبح وذبحه ذبائح السلامة وإعطاء الرب لموسى لوحي الحجارة والشريعة والوصيه لتعليمها لبني اسرائيل... وعدد فقرات هذا الأصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

أخذ تقدمه[2] لمعبد الإله مع ذكر الأشياء التي تكون منها هذه التقدمة ثم الأمر بصنع التابوت[3] بكيفيته وصورة معينة ووضع لوحي الشهادة[4] أو الوصية فيه ثم بعد ذلك الأمر بصنع مائدة ومنارة[5] لمعبد الرب تكونان بكيفية وصورة معينة أيضاً... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربعون فقرة.

= بهذا الاسم لأنه يجيء بعد الإنتهاء من حصاد القمح وسمي أيضاً عيد الباكورة ومدة هذا العيد يوم واحد يتحتم فيه على اليهود الإمتناع عن العمل والاجتماع في بيت الرب لتقديم بواكير حصادهم مع ذبائحهم.
انظر المرجع السابق لزكي شنوده ص ٢٧٤.

(١) عيد الجمع: وهو المسمى بعيد المظال وهو ثالث الأعياد اليهودية وقد تقرر قيامه تذكاراً لإقامة اليهود في خيام ومظال بعد خروجهم من مصر في صحراء سيناء. وسمي بعيد الجمع لأنه كان يجيء بعد جمع الغلال من الحقول والعنب والزيتون من البساتين وكان هذا العيد يستمر سبعة أيام تبدأ من الخامس عشر وتنتهي في الحادي والعشرين من شهر إيتانيم سابع شهور السنة العبرية وهو الذي سمي بعد ذلك تشرين أول.
وقضت شريعة اليهود بتحريم العمل في أول وآخر يوم من هذا العيد ويقيم اليهود أثناء هذا العيد تحت مظال يقيمونها من سعف النخيل وأغصان الزيتون والصنوبر والصفصاف والريحان أحياء لذكرى إقامة أجدادهم في مثل هذه المظال في صحراء سيناء.
أنظر المرجع السابق ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) التقدمة هي بمثابة قرابين.

(٣) التابوت: صندوق صنعه موسى بأمره تعالى لتوضح فيه التوراة. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٠.

(٤) لوحي الشهادة: قد كتب بها ما نطق الله به في سيناء من وصايا لموسى عليه السلام.

(٥) منارة: صنعت المنارة من الذهب الخالص النقي وقد وضع الرب تصميمها وأمر بها موسى

الإصحاح السادس والعشرون:

ذكر فيه سكن الرب[1] وبناء خيمته بصورة وكيفية معينة مع ذكر مكوناتها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع والعشرون:

الأمر ببناء المذبح وبيان كيفيته ومكوناته. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن والعشرون:

ذكر الملابس التي يلبسها هارون[2] وبنوه مع ذكر كيفيتها وصورتها ومادتها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وأربعون فقرة.

= وكانت ضخمة الحجم يبلغ ارتفاعها ستة أقدام وكانت المنارة تحمل سبعة أسرجة يستعمل لها الزيت النقي تضاء في المساء وتطفأ في الصباح.
أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٩٨٤ - ٩٨٥.

(١) خيمة الاجتماع أو سكن الرب: هي الخيمة التي أمر الله موسى أن يقيمها في البرية لكي يسكن الله فيها بين شعبه ولذلك سميت «المسكن»، وكانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة ولذلك سميت «مسكن الشهادة» وقد أطلق عليها اسم علم «بيت الرب» وقد صنعت الخيمة من المواد الأولية التي وجدت في النواحي المجاورة شجر السنط الذي كان ينبت في البرية وجلود الحيوانات والذهب والفضة والنحاس وأدوات الزينة وهذه كلها تبرع بها الشعب في سخاء وحماس. والخيمة مكونة من ثلاثة أجزاء المسكن والخيمة والغطاء والمسكن مصنوع من البوص المبروم المطرز ومن ألواح. والخيمة كانت فوق المسكن ومصنوعة من شعر الماعز، أما الغطاء فكان من جلود الكباش والتيوس وكان يوضع فوق الخيمة والمسكن لوقايتهما من الشمس والمطر.
أنظر كتاب قاموس الكتاب المقدس ص ٣٥٢.

(٢) هذه الملابس مكونة من صدره ورداء وجبة وقميص مخرم وعمامة ومنطقة ويدخل في تركيبها الذهب والاسمانجوني (من الأحجار الكريمة يشبه الياقوت) والأرجوان (لون صباغه يشمل البنفسجي والقرمزي أو الأحمر والألبسة التي تصبغ به تصبح غالية الثمن جداً)، والقرمز (وهو لون يصنع من نوع من الحشرات) والبوص المبروم.

الإصحاح التاسع والعشرون:

ذكر الذبائح والقرابين[1] التي يجب على هارون وبنيه أن يقدموها ليتكهنوا مع ذكر صورتها وكيفيتها... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وأربعون فقرة.

الإصحاح الثلاثون:

الأمر ببناء مذبح لإيقاد البخور[2] عليه ومرحضة للاغتسال وأمر موسى أن يصنع نوعاً من البخور المقدس بطريقة معينة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الحادي والثلاثون:

تعيين الإله لمن يقوم بصناعة كل ما أمر به من خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة والمنارة والمرحضة... إلخ، وهما بصلئيل بن أوري بن حور من سبط يهوذا وأهو ليآب بن أخيساماك من سبط دان... ثم إعادة ذكر تقديس يوم السبت وتحريم العمل فيه... وإعطاء الرب لموسى لوحي الشهادة مكتوبين بأصبع الرب... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح الثاني والثلاثون:

صنع هارون للعجل[3] وعبادة بني اسرائيل له ثم حرق موسى للعجل

(١) القرابين المقدمة لمراسم تكهين هارون وبنيه هي عبارة عن ثور وكبشين بالإضافة إلى خبز الفطير وأقراص ورقائق الفطير ملتوية بزيت.

(٢) البخور مركب يصنع من لبان ونوع آخر من الصمغ أو بعض العطورات وقد كان استعماله ممنوعاً في غير بيت الرب حيث كان يحرقه الكهنة فقط على مذبح من شجر اللبخ مغشى بالذهب يسمى مذبح البخور.

(٣) لما ذهب موسى عليه السلام لملاقاة ربه طال غيابه على بني اسرائيل فطلبوا من هارون عليه السلام ـ كما تزعم التوراة غير أن القرآن يقرر أنه السامري ـ أن يصنع لهم آلهه. واحضروا له جميع أقراط وحلى نسائهم الذهبية فأخذه وصنع منه جسد عجل له خوار فعكفوا على عبادته.

ونسفه وقتل عبدة العجل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والثلاثون:

أمر الإله موسى أن يخرج ببني إسرائيل إلى بلاد الكنعانيين والحيثيين[1]. . . إلخ. التي وعد ابراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لنسلهم وأمره موسى أن يخرج خيمة الرب عن وسط بني اسرائيل حتى لا يفنيهم من جراء صلابة رقابهم ومجاوزتهم طاعته. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الرابع والثلاثون:

أمر الرب موسى أن ينحت لوحين من الحجارة ليكتب عليهما شريعة الرب ووصاياه عوضاً عن اللوحين اللذين قد كسرا سابقاً ثم مكالمة الرب له وذكر وصاياه مرة ثانية وكتابة موسى لها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس والثلاثون:

جمع موسى لبني اسرائيل وإبلاغهم وصايا الرب وأمرهم بالشروع في بناء ما أمر به الرب من خيمة الإجتماع وتابوت الشهادة وغير ذلك مع ذكر من يقوم بهذه المهمة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس والثلاثون:

ذكر فيه صناعة خيمة الإجتماع بتفاصيل دقيقة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمانية وثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع والثلاثون:

ذكر في هذا الإصحاح صناعة التابوت بالتفصيل وكذلك صناعة المائدة

(١) الحيثيون هم من الأقوام التي سكنت بلاد كنعان قبل دخول العبرانيين إليها وهم من ذرية حث ثاني أبناء كنعان وقد كونوا مملكتين الأولى كانت حوالى ١٩٠٠ ـ ١٦٥٠ ق.م. والثانية ١٤٥٠ ـ ١٢٠٠ ق.م. انظر قاموس الكتاب المقدس ٢٩٠.

والمنارة ومذبح البخور بتفصيلات دقيقة... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن والثلاثون:

ذكر صناعة مذبح المحرقة والمرحضة بتفصيلات دقيقة وكذلك مسكن الشهادة... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع والثلاثون:

ذكر صناعة الملابس المقدسة الخاصة بهارون وبنيه... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وأربعون فقرة.

الإصحاح الأربعون:

ذكر الإنتهاء من صناعة جميع الأشياء التي أمر بها الرب وضرب الرب لموسى موعداً ينصب فيه خيمة الاجتماع ويضع فيها بقية الأشياء بصورة وكيفية معينة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وثلاثون فقرة.

سفر اللاويين

عدد إصحاحات هذا السفر سبعة وعشرون إصحاحاً، وقد سمي بهذا الإسم نسبة إلى سبط لاوى الذين يمثلون رجال الكهنوت اليهودي والمشرفين على الطقوس الدينية للمجتمع اليهودي وقد حوى هذا السفر تشريعات ووصايا وأحكاماً متعلقة بالكفارات والأطعمة والأنكحة المحرمة وغير ذلك من التشريعات، وفيما يلي عرض موجز لأهم ما ورد في كل إصحاح من إصحاحاته: ـ

الإصحاح الأول:

تحديد الأنواع التي تكون منها قرابين البهائم وذكر الصورة التي ينبغي لهارون وبنيه أن يذبحوا هذه القرابين عليها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع عشرة فقرة.

الإصحاح الثاني:

ذكر قربان الدقيق وصوره وأشكاله وكيفية تقديمه. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست عشرة فقرة.

الإصحاح الثالث:

ذكر الأنواع التي تكون منها قرابين ذبائح السلامة والصور التي ينبغي أن تذبح عليها ويقوم بهذه العملية بنو هارون. . . وذكر فيه أيضاً تحريم أكل الشحوم والدماء. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع عشرة فقرة.

الإصحاح الرابع:

الذنب الخطأ أو السهو أن صدر من كاهن أو من جماعة بني اسرائيل أو رئيس عمل أو أحد من عامة أهل الأرض وذكر كفارة كل واحد من هؤلاء والصورة التي يجب أن تكون عليها... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح الخامس:

ذكر الصور التي يتنجس فيها الإنسان وكيفية الطهارة منها... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع عشرة فقرة.

الإصحاح السادس:

ذكر كفارة الخيانة في المعاملات المالية وذكر الملابس التي ينبغي للكاهن أن يرتديها في أثناء أدائه ومباشرته لذبيحة الخطيئة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع:

ذكر ذبيحة الإثم والصورة التي ينبغي أن تقدم عليها وكذلك ذبيحة السلامة وصورتها... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثامن:

ذكر فيه الباس موسى لهارون ملابس الكهنوت مع ذكر وصفها بدقة ثم ذكر ذبائح عدة لهذه المناسبة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع:

ذكر عمل هارون ذبيحة خطيئته وخطيئة الشعب والصور التي كانت عليها هذه الذبائح... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح العاشر:

ذكر خبر موت ابني هارون ناداب وأبيهوا لاتيانهما بقربان غريب لم يأمر به الرب... ثم ذكر ما يجب على هارون وبنيه أن يأكلوا ذبائح الخطيئة بعد وضعها على المحرق... وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح الحادي عشر:

ذكر ما يؤكل من الحيوانات وهي ذات الأظلاف المشقوقة والمجتره وما عداها لا يؤكل ثم ذكر ما يؤكل من حيوانات الماء وما لا يؤكل وكذلك الأمر بالنسبة للطيور فقد حددت الأنواع التي تؤكل منها والتي لا تؤكل ثم ذكر الدواب الطاهر منها والنجس وكيفية التطهر من النجاسة... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وأربعون فقرة.

الإصحاح الثاني عشر:

ذكر كيف تطهر المرأة إن ولدت ذكرر أو أنثى وكفارة طهرها وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان فقرات.

الإصحاح الثالث عشر:

ذكر الأشياء التي تنجس الإنسان إذا أصابته وكيفية تطهيره منها وكذلك ذكر الأشياء التي تنجس الثياب وكيفية تطهيرها... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وخمسون فقرة.

الإصحاح الرابع عشر:

ذكر من تنجس ببرص وكيفية تطهيره سواء كان الإنسان أو البيت وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وخمسون فقرة.

الإصحاح الخامس عشر:

ذكر الأمور التي تنجس المرأة والرجل وكيفية الطهارة منها... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس عشر:

طقوس كهنوتيه متعلقة بذبيحة الخطيئة يقوم بها هارون للتكفير عن نفسه وعن الشعب. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح السابع عشر:

حوى هذا الإصحاح لبعض التشريعات المتعلقة بالذبائح وتحريم أكل الدم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست عشرة فقرة.

الإصحاح الثامن عشر:

ذكر المحرمات من النساء والأنكحة المحرمة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع عشر:

ذكر وصايا وتشريعات منها بر الوالدين وتحريم عبادة الأوثان والحرص على تقديم ذبائح السلامة للرب - ترك شيء من الحصاد للمحتاجين -. . تحريم السرقة والكذب والغدر واليمين الكاذبة. . . الأمر بالعدل مع الغريب. . بالإضافة إلى ما سبق ذكر جملة من آداب التعامل. . تحريم الزنا والاتصال بالجان وغير ذلك من هذه الأمور. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وثلاثون فقرة.

الإصحاح العشرون:

ذكر في هذا الإصحاح جملة تشريعات منها تحريم الزنا والاتصال بالجان والتوابع وتحريم عقوق الوالدين وذكر عقوبات الأنكحة المحرمة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وعشرون فقرة.

الإصحاح الحادي والعشرون:

الحكم بنجاسة الميت ومن يقربه ويباشره ولا يتنجس الحي لميت إلا

إذا كان قريبه ومحرم هذا الأمر على الكاهن، أيضاً تحريم أن يباشر الكهانة أي رجل فيه عيب خلقي من بني هارون... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثاني والعشرون:

ذكر بعض الأشياء التي تنجس الإنسان وبيان كيفية التطهر منها ومن يحق لهم أن يأكلوا من طعام الكاهن المقدس... مع ذكر تشريعات متعلقة بالذبائح... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والعشرون:

ذكر الأيام والمواسم المقدسة[1] عند الرب وما ينبغي على بني اسرائيل أن يفعلوا فيها... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وأربعون فقرة.

الإصحاح الرابع والعشرون:

ذكر ما ينبغي لبني اسرائيل أن يقدموه لخيمة ومائدة الرب، ثم بعد ذلك تشريعات منها تحريم سب الرب وعقوبة فاعل ذلك وتحريم قتل النفس وجعل عقوبة القصاص النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

ذكر تشريعات متعلقة بالزرع والحصاد وعمل عيد اليوبيل[2] كل خمسين

(١) مثل يوم السبت وعيد الفطير وعيد الحصاد وعيد الجمع.

(٢) عيد اليوبيل أو سنة اليوبيل وذلك أن الشريعة اليهودية اعتبرت السنة التالية لكل سبع أسابيع من السنين مقدسة ولما كان مجموع السبعة الأسابيع من السنين تسع وأربعين سنة كانت السنة المقدسة هي الخمسين وكان من مظاهر الاحتفال بتلك السنة النفخ بالبوق وهو بالعبرية (يوبيل) لذلك اطلقوا على هذه السنة اسم «اليوبيل». وقد قضت الشريعة بأن يرجع كل شيء في هذه السنة إلى أصله فيسترد كل مالك ملكه ويعود كل شخص الى عشيرته ويستعيد كل عبد من اليهود حريته وتستريح الأرض من الزراعة والحصاد. انظر المجتمع اليهودي ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

سنة مع تفصيلات متعلقة ببعض التشريعات الخاصة بهذا العيد. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وخمسون فقرة.

الإصحاح السادس والعشرون:

الأمر بعدم الإشراك باتخاذ آلهه أخرى مع الههم وأن يحفظوا جميع وصاياه ويطبقوا جميع تشريعاته وأنه سوف يباركهم ويكون معهم أن أطاعوه وتخويفهم من مخالفته وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وأربعون فقرة.

الإصحاح السابع والعشرون:

ذكر أصحاب النذور والأشياء التي تنذر ومقدارها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

سفر العدد

عدد إصحاحات هذا السفر ستة وثلاثون إصحاحاً، وقد أطلق عليه هذا الاسم المترجمون اليونانيون نظراً للإحصاءات التي هي موضوع الفصول الأولي منه[1]، وقد تناول هذا السفر حياة بني اسرائيل فيما بعد في برية سيناء، وقد اشتمل على جملة من الطقوس الكهنوتية، وفيما يلي عرض موجز لأهم ما ورد في كل إصحاح من إصحاحاته:

الإصحاح الأول:

ذكر عدد أسباط[2] بني اسرائيل وعدد الذكور في كل سبط من ابن عشرين سنة فصاعداً... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وخمسون فقرة.

(١) أنظر الكتاب المقدس - كتب الشريعة الخمسة - إصدار الرهبانية اليسوعية ص ٢٧٨.

(٢) يقول زكي شنوده عن الأسباط ودور اللاويين فيهم: «على الرغم من أن اليهود كانوا في الأصل من نسل رجل واحد وهو إبراهيم وكانوا في كل أطوار تاريخهم يبدون للشعوب الأخرى في هيئة شعب واحد، إلا أنهم ظلوا منذ عهد أبيهم المباشر يعقوب الذي هو اسرائيل منقسمين فيما بينهم إلى اثني عشر سبطاً. والسبط كلمة عبرية معناها جماعة تحت رئاسة رجل واحد. وكان كل سبط من أسباط اليهود يمثل نسل واحد من أبناء يعقوب الاثنى عشر. وكان هؤلاء الأبناء هم رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ودان ونفتالي وجاد وأشير ويوسف وبنيامين. وكان يوسف قد أنجب ولدين في مصر هما افرايم ومنسي، فاعتبرهما يعقوب ولديه وأصبح لكل منهما سبط على اسمه معدود من أسباط اليهود. ومن ثم لم يكن هناك سبط باسم يوسف أبيهما. كما أن الله أوصى بأن يكون سبط لاوى مخصصاً للخدمة الدينية، فلم يكن معدوداً من الأسباط الاثنى عشر حين قام يشوع بتقسيم الأرض التي استولى عليها في بلاد فلسطين وإنما انتشر هذا السبط في كل أنصبة الأسباط الأخرى لأداء الخدمة الدينية بين جميع الأسباط وقد ظل كل سبط من أسباط اليهود منذ عهد يعقوب متميزاً

الإصحاح الثاني:

تحديد مكان نزول وإقامة كل سبط وتعيين رئيسه وعدد جنوده. وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث:

ذكر ابناء موسى وهارون وجعل الكهانة مختصة بسبطهم وهم سبط لاوى، أمر موسى بعدّ سبط اللاويين بعدد عشائرهم وتحديد أماكن سكناهم وتحديد الأعمال الكهنوتية التي يجب على كل عشيرة القيام بها... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وخمسون فقرة.

الإصحاح الرابع:

ذكر تفصيلات أكثر دقة في تحديد عمل كل عشيرة من عشائر اللاويين... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وأربعون فقرة.

الإصحاح الخامس:

وردت في هذا الإصحاح تشريعات منها نفي وأبعاد كل إنسان نجس من وسط بني اسرائيل وذكر كفارة الخيانة المالية والخيانة الزوجية... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس:

ذكر تشريعات متعلقة بالنذور والقرابين وكيفية تقديمها... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وعشرون فقرة.

= عن غيره من الأسباط كأنه قبيلة مستقلة، وله رؤساؤه وعصبيته وتقاليده المميزة له، وقد استمر ذلك طوال إقامة اليهود في مصر، ثم خلال رحلتهم في صحراء سيناء، ثم حين اغتصبوا أرض فلسطين، واقتسموها بينهم حسب أسباطهم ثم في عهد القضاة وفي عهد الملوك وفي عهد السبي. وكان الانفصال بين الأسباط قوياً واضحاً على الدوام فلم تبدأ تضعف حدته إلا منذ عودة اليهود الى فلسطين من السبي حتى خراب مملكتهم في منتصف القرن الأول الميلادي. وإن كان الانتساب الى الأسباط ظل قائماً في أنساب اليهود حتى نهاية تاريخهم.
أنظر كتاب المجتمع اليهودي ص ٢٢.

الإصحاح السابع:

ورد فيه تشريعات متعلقة بالقرابين وتقديم كل رئيس سبط قرابين سبطه بصورة وكيفية معينة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وثمانون فقرة.

الإصحاح الثامن:

أمر موسى بتطهير اللاويين وذلك بنضح ماء الخطيئة عليهم وتقديم قرابين بكيفية معينة ليتم تطهيرهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

الإصحاح التاسع:

أمر بني اسرائيل بعمل الفصح في كل سنة. . . ثم ذكر كيفية إرتحال بني اسرائيل في برية سيناء. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح العاشر:

استخدام الأبواق كوسيلة لإعلام بني إسرائيل. . ومن ثم رحيلهم إلى برية فاران. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وثلاثون فقرة.

الإصحاح الحادي عشر:

تضجر بني اسرائيل وطلبهم أن يأكلوا لحماً وإرسال الإله لهم طائر السلوى. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني عشر:

غضب مريم وهارون أخوة موسى عليه لإتخاذه امرأة كوشية وغضب الرب عليهماوابتلاء مريم بالبرص ثم دعاء موسى لها بالشفاء. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست عشرة فقرة.

الإصحاح الثالث عشر:

إرسال موسى جواسيس إلى أرض الكنعانيين وكان عددهم اثنى عشر

رجلا لأنه بعث من كل سبط رجلاً فعادوا وقد هولوا الأمر على قومهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح الرابع عشر:

خوف بني اسرائيل وتقاعسهم عن قتال الكنعانيين وغضب الإله عليهم وتحريم أرض الكنعانيين عليهم وجعلهم يتيهون في الصحراء أربعين عاماً. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وأربعون فقرة.

الإصحاح الخامس عشر:

تشريعات خاصة بالقرابين والمذبح. . . وقتل من يخالف ويعمل يوم السبت. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وأبعون فقرة.

الإصحاح السادس عشر:

ثورة قورح على موسى وإنضمام بعض بني اسرائيل إليه وتمردهم على موسى وخسف الإله بقورح ومن معه. . . أما عدد فقرات هذا الإصحاح فهي خمسون فقرة.

الإصحاح السابع عشر:

تحريم الإقتراب من خيمة الإجتماع على كافة بني اسرائيل من غير اللاويين وموت كل من يحاول الاقتراب منها. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث عشرة فقرة.

الإصحاح الثامن عشر:

جعل جميع القرابين وأبكار الأرحام التي تقرب للرب يأخذها هارون وبنوه وأن يقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة النجسة أما بكر البقر والضأن والماعز فلا يقبل عنها فدية العشور التي يدفعها بني اسرائيل للرب يأخذها اللاويون ويخرجون عشر العشر للرب يأخذها هارون. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع عشر:

ذكر تشريعات متعلقة بذبيحة الخطيئة والنجاسات التي تصيب الإنسان وكيفية التطهير منها... أما عدد فقرات هذا الإصحاح فهي اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح العشرون:

نزول بني اسرائيل في برية صين[1] ووفاة مريم أخت موسى ودفنها في قادش[2] - غضب الرب على بني اسرائيل لتضجرهم من موسى وهارون لأن البرية التي نزلوا بها ليس بها ماء ثم خروج الماء لهم من الصخرة... وجعل الأرض التي وعدوا بها محرمة على هذا الجبل المتمرد العاصي، ومنع ملك آدوم بني اسرائيل من السير في بلاده ثم رحيل بني اسرائيل إلى جبل هور[3] ووفاة هارون هنالك... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الحادي والعشرون:

غضب الرب على بني اسرائيل لتضجرهم وابتلائهم بالحيات ثم توبتهم ورفع البلاء عنهم وذكر حروب بني اسرائيل مع الأموريين وعوج ملك باشان[4]... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وثلاثون فقرة.

(١) برية صين: بريه عبرها بنو اسرائيل في طريقهم الى كنعان وكانت على التخوم الجنوبية من تلك الأرض وكانت قادش ضمن حدودها. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٦٧.

(٢) قادش: اسم سام معناه «مقدس» وهو اسم قادش بر نيع وكانت تدعى عين مشفاط وقد اشتهرت هذه البقعة في تاريخ تيه بني اسرائيل أكثر من غيرها فقد تمركز فيها بنو اسرائيل مدة ٣٨ سنة من سني تيههم الأربعين وقد كان بها خيمة الاجتماع وتابوت العهد كما كان سكن موسى ورؤساء الشعب بها ومركزاً عاماً للعبادة والقضاء وحل المشاكل الكبرى أما موقعها فهي عند طرف برية صين الى الجهة الغربية من وادي العربة. المرجع السابق ص ٧٠٨.

(٣) هور: اسم سام معناه «جبل» وهو عند حدود بلاد آدوم إليه أتي العبرانيون من قادش وهو الجبل المعروف اليوم بجبل مديره يقع على بعد خمسة عشرة ميلاً من الشمال الشرقي لقادش وهو على الطريق بين قادش ومرآب. المرجع السابق ص ١٠٠٤.

(٤) استأذن بنو اسرائيل سيحون ملك الأموريين أن يسيروا في بلاده فرفض ذلك وجمع جيشه وخرج لمقاتلتهم فانتصروا عليه وأخذوا جميع أراضيه. ثم تحولوا الى باشان فخرج ملكها عوج بجيشه لملاقاتهم فانتصروا عليه أيضاً.

الإصحاح الثاني والعشرون:

خوف المؤآبين من بني اسرائيل وطلب ملكهم بالآق بن صفور من بلعام بن باعور الدعاء على بني اسرائيل حتى ينهزموا وينتصر عليهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وأربعون فقرة.

الإصحاح الثالث والعشرون:

أمر بلعام للمؤآبين أن يصنعوا مذبحاً للرب ويقدموا قرابين بأشكال وصور وكيفية معينة ثم حوّل الله كلام بلعام وجعله يبارك بني اسرائيل بدل أن يدعوا عليهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح الرابع والعشرون:

تنبؤ بلعام بإنتصار بني اسرائيل واستيلائهم على جميع المدن المحيطة بهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

ارتكاب بني اسرائيل للفواحش واتباعهم لآلهة أخرى غير الههم فغضب عليهم الههم وأمر موسى أن يقتل كل من عصاه وقتل فيخاس بن العازار بن هارون لزمري ابن سالو رئيس بيت آب لزناه بامرأة مديانية وانتشار الوباء بين بني اسرائيل لعصيانهم للآله... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح السادس والعشرون:

بعد ذلك الوباء أمر الرب موسى والعازار بن هارون الكاهن أن يحصوا بني إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً وتقسيم الأرض عليهم وهذا الجيل ليس بالجيل السابق إذ أن الجيل الذي سبق لموسى أن عده في برية سيناء قد أُبيد جميعه ما عدا كالب بن يفنه ويشوع بن نون... وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وستون فقرة.

الإصحاح السابع والعشرون:

ذكر كيفية توزيع الميراث وتعيين يشوع رئيس على بني إسرائيل لدنو أجل موسى... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن والعشرون:

ذكر الذبائح التي تكون للرب فمنها الذبائح اليومية وهذه تكون بمواصفات معينة وكذلك ذبائح ليوم السبت وذبائح في رؤوس الشهور وذبائح لعيد الفصح وذبائح عيد الأسابيع وجميع هذه الذبائح تكون بمواصفات وكيفية معينة... وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وثلاثون فقرة.

الإصحاح التاسع والعشرون:

ذكر في هذا الإصحاح تكملة الذبائح التي تكون للرب، فهناك أيضاً ذبائح عيد الهتاف[1] وذبائح يوم التكفير[2] وذبائح عيد الرب[3]... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربعون فقرة.

الإصحاح الثلاثون:

ورد فيه أحكام متعلقة بالنذور... وعدد فقرات هذا الإصحاح ستة عشرة فقرة.

(١) عيد الهتاف: ويسمي عيد الأبواق يقع في أول الشهر السابع من الشهور العبرية وهو شهر ايثانيم الذي أصبح فيها بعد تسري أو تشرين الأول ويعتبر الحاخاميون هذا العيد يوم ميلاد العالم لأنه موعد بذر البذور وكانوا فيه يهتفون بالأبواق في كل أنحاء البلاد إلا إذا وقع العيد في يوم السبت فعندئذ لا يصح الهتاف بالأبواق إلا داخل الهيكل وقد حرمت الشريعة القيام بأي عمل في ذلك العيد وخصصته للعبادة وتقديم القرابين والذبائح في الهيكل.

(٢) يوم الكفارة: حددت الشريعة اليهودية يوماً في كل سنة للتكفير عن الخطايا تسميه يوم الكفارة وهو بالعبرية «كيبور» ويقع في اليوم العاشر من شهر ايثانيم وهو الشهر السابع العبري وينبغي فيه الامتناع عن العمل وتذليل النفس بالصوم والاعتراف بالخطايا والاجتماع في احتفال مقدس للقيام بالطقوس المقررة للتكفير في ذلك اليوم.

(٣) المراد به عيد المظال.

الإصحاح الحادي والثلاثون:

أمر الرب موسى بمقاتلة المديانيين واستيلاء بني اسرائيل على مديان وقتلهم للنساء وتقسيم موسى والعازار للغنائم... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وخمسون فقرة.

الإصحاح الثاني والثلاثون:

طلب بني رأوبين وبني جاد من موسى أن يعطيهم أرض جلعاد لأنها أرض صالحة للرعي وهم أهل مواشي فقبل موسى شريطة أن يعبروا معه الأردن ويشاركوا بقية بني اسرائيل في حروبهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وأربعون فقرة.

الإصحاح الثالث والثلاثون:

ذكر رحلات بني اسرائيل منذ خروجهم من مصر والأماكن التي طافوا بها بعد ذلك... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وخمسون فقرة.

الإصحاح الرابع والثلاثون:

تقسيم أرض الكنعانيين بين أسباط بني اسرائيل مع ذكر القائمين بهذا التقسيم وهم العازار الكاهن ويشوع بن نون وزعيم كل سبط... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس والثلاثون:

تحديد نصيب اللاويين من الأراضي التي أخذها بنو اسرائيل وجعل هنالك مدناً ستة ليهرب إليها من قتل خطأ... مع ذكر تشريعات وأحكام متعلقة بالقصاص والجنايات... وعدد فقرات هذا الإصحاح أربع وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس والثلاثون:

ذكر ميراث المرأة المتزوجة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث عشرة فقرة.

سفر التثنية

عدد إصحاحات هذا السفر أربع وثلاثون إصحاحاً، وقد سمي بسفر التثنية أو تثنية الشريعة لما اشتمل عليه من إعادة وتكرار للوصايا والشرائع التي سبق ذكرها في الأسفار الأربعة السابقة، ويقسم سفر التثنية إلى ثلاثة أقسام تنتهي بخاتمة هي بمثابة خاتمة لأسفار التوراة الخمسة.

فالقسم الأول:

إشتمل على خطابين تمهيديين، الأول أقرب إلى أسلوب الرواية الإصحاح الأول ـ فقرة ٦ ـ والإصحاح الرابع فقرة/ ٤٤/ والآخر أقرب إلى أسلوب العظة (٤/٤٥ ـ ١١/٣٢).

فالقسم الثاني:

الفرائض والأحكام (١٢ ـ ٢٦) تليها بعض المقاطع الطقسية (٢٧، ٢٨).

القسم الثالث:

العظات الختامية (٢٩ و٣٠) ثم خاتمة الكتاب والتوراة: التقاليد عن موت موسى (٣١/٣٤)[1]. . . وفيما يلي عرض موجز لأهم ما ورد في كل إصحاح من إصحاحاته: ـ

(١) أنظر الكتاب المقدس ـ كتب الشريعة الخمسة. . إصدار الرهبانية اليسوعية ص ٣٥٢.

الإصحاح الأول:

خطاب موسى لقومه وذكره ما صدر منهم من تمرد وعصيان لأوامر الإله وحرمانهم نتيجة لذلك من دخول الأرض الموعودة... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وأربعون فقرة.

الإصحاح الثاني:

استكمال خطاب موسى لبني اسرائيل وما حدث منهم ولهم من أحداث حتى استيلائهم على ملك سيحون[1]... وعدد فقرات هذا الإصحاح سبع وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث:

فتح مملكة عوج[2] وتقسيم أراضي عبر الأردن على بني اسرائيل وتحريم عبور الأردن على موسى وجعل العابر ببني اسرائيل هو يشوع بن نون... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الرابع:

ورد في هذا الإصحاح أمر موسى ـ لبني اسرائيل الإلتزام وتنفيذ جميع وصايا وتشريعات الرب هم وذراريهم من بعدهم وأن لا يعصوا الإله لأنهم قد رأوا عظمته وقدرته وأنهم الأمة التي اختارها هذا الإله واصطفاها على بقية الأمم.. ثم أمرهم أن يتخذوا ثلاث مدن ليهرب إليها قاتل الخطأ والمدن هي باحر وراموت وجولان... وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وأربعون فقرة.

(١) سيحون: اسم آموري لا يعرف معناه وهو اسم ملك من ملوك الأموريين حاول أن يمنع العبرانيين من المرور في أرضه وهم في طريقهم الى أرض كنعان فانهزم جيشه وانقسمت بلاده بين أسباط العبرانيين.

(٢) عوج: ملك الأموريين في باشان من سلالة الرفائيين وامتد ملكه من وادي أرنون إلى جبل حرمون وكانت قاعدتاه عشترون واذرعي وكان عوج جبار القامة شديد البأس. تغلب عليه بنو اسرائيل وأخذوا مملكته.

الإصحاح الخامس:

ورد في هـذا الإصحاح خـطاب موسى الثـاني لبني اسرائيـل المتضـمن للوصايا العشر والتي هي:

١ ـ تحريم عبادة إله غير إله بني إسرائيل أو الإشراك معه.

٢ ـ إن إثم الأباء يبقى في ذريتهم حتى الجيل الثالث والرابع.

٣ ـ تقديس يوم السبت وتحريم العمل فيه.

٤ ـ بر الوالدين.

٥ ـ لا تقتل.

٦ ـ لا تزن.

٧ ـ لا تسرق.

٨ ـ لا تحلف باسم الهك كاذباً.

٩ ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠ ـ لا تشتهي امرأة قريبـك ولا بيته ولا حقله ولا خـادمه ولا ثـوره ولا حماره ولا شيئاً مما له... وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وثلاثون فقرة.

الإصحاح السادس:

الأمر بحفظ جميع وصايا الرب والعمل بها وتعليمها لـلأبناء... وعـدد فقرات هذا الإصحاح خمس وعشرون فقرة.

الإصحاح السابع:

ذكـر السلوك الـذي ينبغي على بني اسـرائيـل أن ينتهجـوه حين فتحهم للبلاد وهو أن يقتلوا ويبيدوا سكان تلك البلاد، ويحرقوا معابدهم ولا يهابوهم لأن إلههم معهم في جميع حروبهم ولسـوف ينصرهم عليهم إن هم التـزموا وصـاياه وأحكامه... وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن:

التنبيه على بني اسرائيل أن يحفظوا وصايا وتشريعات الرب حينما تفتح لهم الأرض ولا يفتروا وينسوا فضل إلههم عليهم... وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح التاسع:

بيان أن المعاصي سبب الهلاك لأن الرب لم يعط أرض الكنعانيين لبر بني اسرائيل بل لكثرة الخطايا التي صدرت من الكنعانيين وفيه تحذير موسى لبني إسرائيل من المعاصي وتذكيرهم بمعاصيهم حينما عبدوا العجل وحينما جبنوا عن مواجهة العدو وصلاته من أجل أن يغفر لهم... عدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح العاشر:

إعادة صناعة لوحي الحجر وكتابة الوصايا عليها ووضعها في التابوت وتخصيص بني لاوى لحمل التابوت ومن ثم الأمر بطاعة الإله وإتباع كل وصاياه... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح الحادي عشر:

إعادة الأمر عليهم بحفظ وصايا الرب والعمل بها وعقوبة نسيانها وجعل البركة على جبل جريزيم[1] واللعنة على جبل عيبال... وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني عشر:

الأمر بتحطيم وإبادة معابد البلاد المفتوحة وتقديم القرابين في المكان

(١) جريزيم وعيبال جبلان متوازيان يفصل بينهما واد ضيق بالقرب من بلوطات مورا قرب شكيم وعلى عيبال وجرزيم وقف بنو اسرائيل بعد أن عبروا الأردن وأقاموا مذبحاً من الحجارة إطاعة لأمر موسى الذي أمرهم بإقامة حجارة كبيرة وتشييدها هناك ليكتبوا عليها كلمات الناموس وقد أوقف يشوع نصف الأسباط على جبل جرزيم لينطقوا بالبركات على من يطيع وصايا الرب وأوقف النصف الآخر على جبل عيبال لينطقوا باللعنات على مخالف تلك الوصايا.

الـذي يخصصه الإلـه والنهي عن أتباع تقـاليد العبـادات الكنعانيـة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث عشر:

تحريم عبادة الأوثان وقتل كل من يدعوا لعبادتها. . . وعدد فقـرات هذا الإصحاح ثماني عشرة فقرة.

الإصحاح الرابع عشر:

ورد في هـذا السفر جملة من التشـريعات، منهـا المتعلقـة بـالأكـل أي البهائم الطاهـرة التي يجوز أكلهـا والنجسة التي لا يجـوز أكلها فمـا جاز أكله واعتبر طاهراً ما كان مجتراً ومشقوق الظلف أما ما يكون مجتراً فقط أو مشقوق الـظلف فقط فيعتبر نجسـاً لا يجوز أكله كـذلك ورد في هـذا السفر حيـوانات الماء التي يجوز أكلها والتي لا يجوز أكلها وكذلك الأمر بـالنسبة للطيـور وفيه تحريم أكل جثث الميتة ولكن لا مانع من إطعامها للغريب أو بيعها له، أيضـاً فيه الأمر بـالتصدق بعشـر المحصول كـل ثلاث سنين. . . وعـدد فقرات هـذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس عشر:

جعـل سنه لـلإبراء كـل سبع سنين يبـرأ فيها المقترض من دينه، هـذا التشريع بين بني إسرائيل أما الغريب فلا يبرأ، وينتهي فيـه رق العبد العبـراني أو الأمة العبرانية ويصبحان حرين طليقين، وجعل كـل بكر من البقـر أو الغنم قرباناً للرب وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح السادس عشر:

تذكر يوم الخروج من مصر وجعله عيداً وهـو عيد الفصـح ولهذا العيـد طقوس كهنوتية معينة وجعل هناك ثلاثة أعيـاد في السنة، فبـالإضافـة إلى عيد

الفصح هنالك عيد الأسابيع وعيد المظال[1] ثم الأمر بجعل قضاه يحكمون بين بني اسرائيل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح السابع عشر:

اشتمل هذا السفر على جملة من التشريعات هي: قرابين الرب يجب أن تكون من أجود ما يملكه الإنسان. . . تحريم إتخاذ آلهة أخرى ويقتل من يفعل ذلك بعد أن يتثبت من أمره ويشهد عليه شاهدان أو أكثر. . . وجوب رد الدعاوي القضائية الغامضة الى الكهنة اللاويين والقاضي المسئول ليحل هذا الإشكال مع مراعاة التقيد بأقواله وعدم الحيد عنها وعلى من يتولى الملك على بني اسرائيل أن يكون أولاً منهم وثانياً أن يطبق جميع وصايا الرب وشرائعه. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح الثامن عشر:

الأمر بجعل جميع الذبائح والقرابين التي يقدمها بنو اسرائيل لمذبح الرب من نصيب سبط اللاويين لأن هؤلاء ليس لهم ميراث في الأراضي المفتوحة والأملاك وإنما لهم ميراث الرب على حد زعم السفر، وفيه أيضاً تحريم اتباع العرافين والمنجمين والمشعوذين وعليهم الرجوع إلى الأنبياء الذين يبعثهم الإله فيهم. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح التاسع عشر:

الأمر بجعل ثلاث مدن يهرب إليها قاتل الخطأ وتحريم أن يتعدى اسرائيلي على أخيه الإسرائيلي ويأخذ أرضه وعدم قبول الشهادة إلا من اثنين فما فوق ورفضها من واحد والتنكيل بشاهد الزور ثم ذكر القصاص في الجنايات وهو النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح إحدى وعشرون فقرة.

(١) يسمى أيضاً عيد الأكواخ وهذا موضوع في الترجمة الحديثة التي قامت بها الرهبانية اليسوعية.

الإصحاح العشرون:

الحض على الإقدام ومقاتلة الأعداء وعدم الرهبة والخوف لكثرة عددهم أو عدتهم وإخراج كل من تعلق قلبه بشيء من الدنيا من الجيش. . . ثم ذكر كيفية معاملة أهل البلاد المفتوحة إن فتحت سلماً جعلت جميع ذكور تلك المدينة مسخرين للخدمة، وإن فتحت عنوة أبيد جميع ذكورها. . إما عدد فقرات هذا الإصحاح فهي عشرون فقرة.

الإصحاح الحادي والعشرون:

تشريعات متعلقة بالقاتل المجهود. . . وأسيرات الحرب وحتى البكر من الأبناء. . . وعقوبة الأبناء العاقين. . . ووجوب دفن المشنوقين. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاث وعشرون فقرة.

الإصحاح الثاني والعشرون:

اشتمل هذا السفر أيضاً على عدة تشريعات متعلقة بوجوب رد الضالة إلى أصحابها وهذه المعاملة خاصة ببني إسرائيل فقط وفيه تحريم تشبه الرجال بالنساء والعكس ووجوب إطلاق الأم وأخذ فراخها فيما لو عثر على عش طائر، وإحاطة سطح البيت بجدار حتى لا يسقط إنسان من عليه. . وفي تحريم زراعة صنفين في الحقل أو الحرث على ثور وحمار أو لبس ثوب مختلط صوفاً وكتاناً وفيه أيضاً تحريم النيل من سمعة العروس وتغريم زوجها إن كان كاذباً ورجمها إن كان صادقاً. . . ووجوب رجم الزاني والزانية حتى الموت كذلك ورد في هذا السفر أحكام متعلقة بالاغتصاب. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح الثالث والعشرون:

اشتمل هذا السفر على عدة وصايا منها تحديد من يحق له الإشتراك بالاحتفالات الطقسية ووجوب طهارة مخيم الجيش من كل نجس. . وكذلك اشتمل على فرائض وأحكام اجتماعية وطقسية. . منها عدم تسليم العبد

الهارب إلى سيده. . . تحريم أن يكون بين بني اسرائيل زانية أو زان ورد هدية الزناة. . . تحريم التعامل الربوي بين بني اسرائيل وإباحة التعامل به مع غير الإسرائيلي. . ووجوب الوفاء بالنذور. . ثم ذكر آداب سلوكية متعلقة بدخول الإسرائيلي حقل أخيه الإسرائيلي. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح خمس وعشرون فقرة.

الإصحاح الرابع والعشرون:

اشتمل هذا السفر على عدة تشريعات منها. . أحكام تتعلق بالزواج كإباحة الطلاق وتحريم عودة المرأة الى زوجها الأول إذا تزوجت بعده ثم طلقت أو ترملت وأن يتفرغ الرجل لزوجته سنة إذا كان حديث عهد بالزواج. . . وهنالك أحكام متعلقة بالمعاملات منها تحريم رهن حجري الرحى. . . قتل من يخطف أخاه الإسرائيلي ويعامله كالعبد. . . ما يصنع بمن أصيب بالبرص. . . جواز القرض بالرهن شريطة أن يرد الرهن قبل مغيب الشمس. . . إعطاء الأجير حقه في يومه. . . لا يقتل الآباء بذنب الأبناء ولا العكس. . . الأمر بالإحسان إلى اليتيم والأرملة. . . عدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وعشرون فقرة.

الإصحاح الخامس والعشرون:

وجوب المثول أمام القضاء لفض المنازعات لتبرئة البريء وإدانة المجرم وإذا رؤي أن المذنب يستحق الجلد فلا يجلد أبداً فوق أربعين جلدة. . . ثم ذكر شريعة أخي الزوج وهو وجوب زواج أخ الزوج من زوجة أخيه إذا توفي زوجها وعقوبة من يتخلى عن ذلك ذكر وجوب الحياء في المشاجرات. . وجوب الإيفاء في الكيل والوزن. . يتوجب على بني اسرائيل أن يمحوا قوم عماليق من تحت أديم السماء إذا واتتهم الفرصة المناسبة. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع عشرة فقرة.

الإصحاح السادس والعشرون:

تقديم جميع بواكير ثمار الأرض الى الكاهن قربة للرب. . . ووجوب

إخراج الأعشار الثلاثية السنين. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع عشرة فقرة.

الإصحاح السابع والعشرون:

الأمر بكتابة الوصايا حينما يعبرون الأردن على الحجارة ووضعها على جبل عيبال وبناء مذبح للرب تذبح عليه ذبائح السلامة ثم ذكر موسى لجملة من التشريعات على مسامع بني اسرائيل هي: لعن من إتخذ تمثالاً أو صورة أو آلهة لعن عاق الوالدين لعن من يتعدى على أرض أخيه. . لعن من يضل الأعمى. . لعن من يأكل مال الغريب واليتيم والأرملة. . . لعن من يتزوج زوجة أبيه. . لعن من يضاجع البهيمة. . لعن من يضاجع أخته بنت أبيه أو أمه. . . لعن من يتزوج حماته. . . لعن من يقتل قريبه خفية. . . لعن من أخذ رشوة لقتل بريء. . . وكذلك لعن كل من لا يطبق هذه الوصايا. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ست وعشرون فقرة.

الإصحاح الثامن والشعرون:

ذكر فيه جزاء من عمل بالوصايا وطبقها أن يبارك في عمره ورزقه وينصر على أعدائه ويجعل الغير محتاجاً إليه وهو مستغنى عنهم أما من خالفها فيعاقب بنزول اللعنات عليه وإصابته بالوباء وهروبه من وجه أعدائه ويصبح مظلوماً وخائفاً ومضطهداً في الأرض. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثمان وستون فقرة.

الإصحاح التاسع والعشرون:

إعادة تذكير موسى لهم بحفظ الوصايا والعمل بها وخطورة تركها واغضاب الرب. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الثلاثون:

مغفرة الرب وصفحه عن العصاة التائبين حينما يعودون لتطبيق وصاياه وأحكامه. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح عشرون فقرة.

الإصحاح الحادي والثلاثون:

أمر الرب موسى أن يستخلف يوشع على بني إسرائيل فهو الـذي سوف يعبر بهم الأردن، لأن موسى قد حان انقضاء أجله. . . ثم كتب موسى التوراة وسلمها للكهنة بني لاوى وأمرهم أن يقرؤوها على بني إسرائيل في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال. . . ثم أخبر الرب موسى أنه بعد وفاته سوف يضل بنو اسرائيل أمر موسى بني إسرائيل أن يكتبوا نشيداً ويرددوه فحواه ذكر فضائل ونعم الرب عليهم والتحذير من اتخاذ آلهة أخرى غيره. . . ثم أمر الكهنة اللاويين أن يأخذوا هذه التوراة ويضعوهابجانبتابوت الرب. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح ثلاثون فقرة.

الإصحاح الثاني والثلاثون:

استكمال النشيد ثم أمر الرب موسى أن يصعد على جبل عباريم[1] وينظر إلى الأرض التي وعده الرب أن يعطيها لبني اسرائيل وأن يموت هناك. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتان وخمسون فقرة.

الإصحاح الثالث والثلاثون:

مباركة موسى لأسباط بني اسرائيل. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح تسع وعشرون فقرة.

الإصحاح الرابع والثلاثون:

صعود موسى إلى الجبل ورؤيته للأرض التي وعد الرب إعطاءها لبني اسرائيل ووفاته هنالك وهو ابن مئة وعشرين سنة وإقامة يشوع في بني اسرائيل بدلاً عنه. . . وعدد فقرات هذا الإصحاح اثنتا عشرة فقرة.

(١) عباريم اسم معناه «ما عبر» وهي سلسلة جبال في شرق الأردن وقد سماها بهذا الاسم سكان غرب الأردن لأنها عبر النهر وتمتد سلسلة الجبال هذه من وادي قفرين في الشمال الى وادي الزرقا ماعين ووادي الحسا في الجنوب ولعباريم عدة قمم منها نبو وهوشع وعجلون وقد وقف موسى على جبل نبو وشاهد أرض الموعد.

الأسفار الملحقة:

لقد أشرت سابقاً إلى وجود أسفار أخرى ألحقت بالأسفار الخمسة السابقة وأطلق عليها اسم التوراة على سبيل المجاز، وهذه الأسفار هي:

١ ـ سفر يشوع.
٢ ـ القضاة
٣ ـ راعوث.
٤ ـ صموئيل الأول.
٥ ـ صموئيل الثاني.
٦ ـ الملوك الأول.
٧ ـ الملوك الثاني.
٨ ـ أخبار الأيام الأول.
٩ ـ أخبار الأيام الثاني.
١٠ ـ عزرا.
١١ ـ نحميا.
١٢ ـ أستير.
١٣ ـ أيوب.
١٤ ـ المزامير.
١٥ ـ الأمثال.
١٦ ـ الجامعة.
١٧ ـ نشيد الأنشاد.
١٨ ـ أشعياء.
١٩ ـ أرميا.
٢٠ ـ مراثي أرميا.
٢١ ـ حزقيال.
٢٢ ـ دانيال.
٢٣ ـ هوشع.
٢٤ ـ يوئيل.
٢٥ ـ عاموس.
٢٦ ـ عوبديا.
٢٧ ـ يونان.
٢٨ ـ ميخا.
٢٩ ـ ناحوم.
٣٠ ـ حبقوق.
٣١ ـ صنفيا.
٣٢ حجي.
٣٣ ـ زكريا.
٣٤ ـ ملاخي.

وهذه الأسفار التسع والثلاثون هي التي تعتقد بقدسيتها الكنيسة البروتستانتيه أما الكنيسة الكاثوليكية فتضيف إليها سبعة أسفار أخرى هي:

طوبيا ـ يهوديت ـ الحكمة ـ يسوع بن سيراخ ـ باروخ ـ المكابين الأول ـ المكابين الثاني(١) بينما يعتبر اليهود سفر ـ أشعيا وأرميا ـ وحزقيال سفرا واحداً

(١) أنظر كتاب اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٩.

وكذلك يعتبرون سفر هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي سفرا واحداً أيضاً فيكون بالتالي عدد الأسفار الملحقة عندهم تسعة عشر سفراً(١).

وقد قسم اليهود أسفارهم المقدسة إلى ثلاثة أقسام هي: -

القسم الأول:

الأسفار الخمسة أو الشريعة وقد سبق الحديث عنها.

القسم الثاني: -

أسفار الأنبياء وهو يتضمن استمراراً للأحداث التي وقعت لبني اسرائيل بعد موت سيدنا موسى - عليه السلام - ودخولهم أرض فلسطين مع يوشع بن نون إليّ أن خرجوا منها في السبي البابلي على يد بختنصر. وهذا القسم يغطي فترة زمنية تمتد حوالي سنة ١٣٠٠ وسنة ٣٠٠ ق. م أي قرابة ألف سنة(٢).

وهو يشمل أسفار الأنبياء المتقدمين يوشع والقضاة وصموئيل والملوك وأسفار الأنبياء المتأخرين أشعيا وأرميا وحزقيال.

وأسفار الأنبياء الصغار هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي(٢).

(١) راجع كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل الديب ص ١٠ - ١١ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م - إصدار دار النفائس بيروت.

(٢) انظر المرجع السابق بالإضافة إلى كتاب الفكر الديني اليهودي للدكتور حسن ظاظا ص ٣٢، ٤٣، ٤٥.

القسم الثالث: ـ

الكتب أو كتب الحكمة ويغلب عليها الطابع الأدبي شعراً ونثراً وبعضها تضمن تراثاً من القصص والحكم تواتر عبر الأجيال. وبعضها الآخر كان له اتصال بالكيان السياسي والاجتماعي والديني لليهود كما يحتوي على تمجيد لبطولاتهم في فلسطين أو أثناء السبي. وهذه الكتب هي المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا والأخبار[1].

(١) أنظر المرجع السابق ص ٤٦، بالإضافة إلى كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١١.

الفرق بين التوراة السامرية والعبرية

أولاً قبل الحديث عن التوراة السامرية وما تفترق بـه عن التوراة العبـرية أقدم لمحة موجزة عن الطائفة التي تنسب لها هذه التوراة وهم طائفـة السامـرة وبهذا فإن مبحثنا هنا يتضمن فقرتين الأولى عن التعريف بالسامرة والثانيـة عن الأمور التي تفترق بها التوراة السامرية عن العبرية وفيما يلي بيان ذلك: ـ

(السامرة)

تعتبر السامرة من الفرق اليهـودية(١) التي استـوطنت نابلس ولا تـزال بها إلى الآن وقـد اختلف في أصل نسبـة هذه الـطائفـة فمعـظم اليهـود يـرون أن

(١) سوف أذكر فيما يلي نبذه عن أهم الفرق اليهودية: ـ

أ ـ فـرقة الفـريسين: وهي من أهم الفـرق اليهوديـة وذات الأثر الفعـال عـلى العقيـدة اليهودية فهم مؤلفوا التلمود ويطلق عليهم الرفقـاء أو الأخوان الـربانيـين أيضاً. ولا يعلم متى نشأت هذه الفرقة على وجه اليقين وإن كان يرجح وجودها إلى أيام داود ـ عليه السلام.

ب ـ فرقة الصدوقين: وهي تـلي في الأهمية فـرقة الفـريسين وهـذه لا تؤمن بالأحـاديث الشفوية الأبو كريفا المنسوبـة الى سيدنـا موسى عليـه السلام ولا بـالتلمود بـل بالعهـد القديم فقط. وقد ظهرت هذه الفرقة خلال القرنين السابقين لظهور المسيح عليه السلام.

جـ ـ فرقة الحسديين ظهرت في القرن الثاني قبل الميـلاد ومن أهم ما تتميـز به عن بقيـة الفرق اليهودية تحريمها للأضاحي والقرابين ويكثر في شعـائرهـا الغسل والـوضوء وتحـرم الرق وتدعو إلى الأخاء والمساواة والعـدل وتحرم الملكيـة الفرديـة وهي تحارب الـترف وتحرم التجـارة والزواج وتدعو إلى التبتل وقد انقرضت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي.

د ـ فرقة القرائين أو العنانين: أنشـأها عنـان بن داود في بغداد في أواخـر القرن الثـامن الميلادي وتقوم هـذه الفرقـة على التمسـك بما جـاء في العهد القـديم ولا تعترف بـالتلمود ولا

السامريين هم أبناء السلالات الغريبة التي أحضرها ملك أشور سلمانصر الخامس [٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق.م] من بابل وكوت وحماه وسفرايم واسكنهم مكان القبائل العشر التي كانت تسكن في مملكة اسرائيل بعد أن سقطت تلك المملكة في يديه وأجلى سكانها إلى آشور.

ورأى آخر يرى أنهم من البقية الذين لم يتم سبيهم من أبناء القبائل العشر اندمجوا مع السبي الجديد أو المستوطنين الجدد القادمون من بابل وكوت وحماة وسفرايم وأنصهروا جميعاً في بوتقة واحدة وألفوا طائفة السامرة.

أما السامريون أنفسهم فيرون أنهم قد إنفصلوا عن اليهود في القرن الحادي عشر قبل الميلاد حينما انحدر أفراد افرايم ومنسي أبناء سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ إلى مكانهم المختار جبل جريزيم(١).

وأهم ما يميز هذه الفرقة عن بقية الفرق اليهودية هو تقديسها لمدينة نابلس بدلاً من بيت المقدس وجعلها جبل جريزيم للبركات وعيبال للعنات.

أما منشأ هذا الإختلاف في التوراتين السامرية والعبرية فإن مرده الى العداء المستحكم بين الطائفتين فكل فريق منهم يريد أن يغاير الآخر ويثبت الحق لنفسه فيتلاعب بالنصوص كيفما شاء.

ولقد أشرت سابقاً إلى وجود نسخة أخرى للتوراة التي بين أيدي اليهود

بتعاليم الربانيين وأهم ما دعا إليه أنه حرم زواج العم من ابنة أخيه والخال من ابنة أخته وساوى في الميراث بين البنت والولد.

أخذ بتصرف من كتاب الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٥٥ ـ ٦٢.

هـ ـ العيسويه: نسبوا إلى أبي عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله وكان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار. فاتبعه كثير من اليهود وأدعوا له آيات ومعجزات وزعم أنه رسول المسيح المنتظر ألف كتاب حرم فيه الذبائح كلها ونهى عن أكل كل ذي روح وأوجب عشر صلوات وأمر أصحابه بإقامتها وحدد أوقاتها وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة.

أخذ بتصرف من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢١٦.

(١) مقتبس من كتاب (السامريون واليهود). د. سيد فراج راشد ص ٢١ ـ ٢٤ (الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م) دار المريخ للنشر.

وهي التوراة السامرية وهذه التوراة كسابقتها مكونة من خمسة أسفار أيضاً، هي سفر التكوين والخروج والأخبار والعدد والتثنية إلى جانب سفري يوشع والقضاة، وينسب معتقدوها هذه الأسفار الخمسة الى سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ومضمون التوراة السامرية يتفق في جملته وأغلبه مع مضمون التوراة العبرية، غير أن هنالك اختلافاً بين هذه التوراة والتوراة العبرانية في ناحية العقيدة والشريعة والقصص في بعض المواطن، وقد كان هذا الإختلاف أما بالتغيير والتبديل أو بالزيادة أو بالنقص. . . وفيما يلي نماذج لهذا الاختلاف: ـ

أولاً ـ في مجال العقيدة:

ورد في الفقرة السابعة والعشرين في الإصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة العبرانية ما نصه: (فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثي خلقهم).

وورد في السامرية (وخلق الله الإنسان بقدرته بصورة الملائكة خلقه، ذكراً وأنثى خلقهما)[1].

فالاختلاف كبير بين هذين النصين في مجال العقيدة، فالإله في الأولى يفهم منه أنه خلق الإنسان على صورة تماثل صورته بينما النص الثاني لا يثبت هذا الأمر بل ينص على إثبات صفة القدرة للإله وأنه خلق الإنسان على صورة الملائكة وليس على صورته.

فالإختلاف إذن اختلاف بالتغيير والتبديل في اللفظ والمعنى معاً. . .

وكذلك ورد في الإصحاح السادس من نفس السفر السابق في الفقرة الأولى في العبرانية (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم

(١) أنظر كتاب من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني للدكتور أحمد حجازي السقا ص ١١ (الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م) الناشر دار الأنصار القاهرة. وكتاب التوراة السامرية النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن اسحاق الصوري عرف بها ونشرها د. أحمد حجازي السقا ص ٣٦.

بنـاتَ أن أبناء الله رأوا بنـات الناس أنهن حسنـات فاتخـذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا).

وفي السامرية (نظر بنو السلاطين بنات الناس إذ حسان هن. . .)[1].

فالنص الأول أثبت البنوه للإله بينما لم يثبتها النص الثاني.

فالاختلاف هنا بالتغير والتبديل في الألفاظ والمعاني.

ورد في الفقرة الثالثة والخمسين من الإصحاح الثلاثين في سفر التكوين في التوراة العبرانية (إله ابراهيم وآلهه ناحور. آلهة أبيهما يقضون بيننا).

وورد في السـامـريـة: (إلـه إبـراهيم وإلـه نـاحـور. يحكم بيننـا إلـه إبراهيم)[2].

يفهم من النص الأول أن حكم القضـاء يكون مشتـركاً بين إلـه إبـراهيم وآلهة ناحور، أما النص الثاني فجعل الحكم والقضاء لإله ابراهيم فقط.

فالاختلاف هنا بالزيادة في اللفظ والمعنى. . .

ثانياً ـ في مجال التشريع:

ورد في الفقرة السادسة في الإصحاح الثالث عشر من سفـر الخروج في التوراة العبرانية (سبعة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد الرب).

وفي السامرية: (ستة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع حج لله)[3].

فالنص الأول يجعل عدد أيام أكل الفطير سبعة بينما الثاني ستـة والنص الأول يجعل اليوم السابع عيداً للرب بينما النص الثاني يأمرهم بالحج للاله.

فالإختلاف إذن هنا بالتغيير والتبديل في اللفظ والمعني.

ورد في الإصحاح العشرين من سفر الخروج عقب الفقرة السابعة عشرة

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٤، أنظر كتاب التوراة السامرية ص ٤٢.
(٢) أنظر نفس المرجع السابق ص ٢٣.
(٣) أنظر كتاب من الفروق بين التوراة السامرية والعبرية ص ٣٣.

في التـوراة السامـرية هـذا النص: (ويكـون إذ يـدخلك الله الهـك إلى أرض الكنعاني التي أنت داخل إلى هناك لوراثتهـا فلتقم لك حجـارة كباراً وتشيـدها بشيد وتكتب على الحجارة كـل خطوب الشـريعة هـذه، ويكون عنـد عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا مـوصيكم اليوم في جبـل جريـزيم وتبني هناك مذبحاً لله إلهك مذبح حجـارة لا تحز عليهـا حديـداً حجارة كـاملة تبني مذبح الله إلهك وتصعد عليه صعائد لله الهك وتذبح سلائم وتأكل هناك وتفرح في حضرة الله الهك، ذلك الجبل في جيـزة الأردن تبع طـريق مغيب الشمس بأرض الكنعاني الساكن في البقعة مقابل الجلجال مرج البهاء مقابل نابلس).

وهذا النص لا يوجد في العبرانية وهو تمام الوصايا العشر[1].

فالاختلاف هنا بالنقص في الألفـاظ والمعاني بـالنسبة للتـوراة العبرانيـة وزيادته في السامرية.

وورد في الإصحاح الثلاثـون من سفر الخـروج في التوراة العبـرانية مـا يلي: (وتصنـع مـذبحـاً لإيقـاد البخـور من خشب السنط تصنعـه طـولـه ذراع وعرضه ذراع مربعاً يكون. وارتفاعـه ذراعان منـه تكون قـرونه وتغشيـه بذهب نقي سطحه وحيطانه حواليه وقرونه. وتضع له إكليلاً من ذهب حواليـه. . .)[2] من الفقـرة الأولى حتى العاشـرة هذه غيـر موجـودة في التـوراة السـامـريـة[3]، فالاختلاف هنا بالزيادة في الألفاظ والمعاني بالنسبة للتـوراة العبرانيـة والنقص في السامرية.

ثالثاً ـ في مجال القصص:

ورد في الفقرة الرابعة في الإصحاح السـابع والعشـرون من سفر التثنيـة في التـوراة العبرانيـة: (حين تعبـرون الأردن تقيمـون هـذه الحجـارة التي أنـا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال وتكلسها بالكلس).

(١) أنظر المرجع السابق ص ٣٥.
(٢) أنظر الكتاب المقدس.
(٣) أنظر كتاب من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية لأحمد حجازي السقا ص ٤٠.

وفي السامرية (ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم بها اليوم في جبل جريزيم وتشيدها بشيد)[1].

التوراة العبرانية تجعل حجارة الوصايا على جبال عيبال، بينما السامرية تجعلها على جبل جريزيم، فالاختلاف هنا بالتغيير والتبديل في الألفاظ والمعاني.

وورد في الفقرة العاشرة في الإصحاح الرابع والثلاثون من سفر التثنية في التوراة العبرانية: -

(ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى).

وفي السامرية (ولا يقوم أيضاً نبي في اسرائيل كموسى)[2]، فالنص الأول ينفي قيام نبي مثل موسى.

أما النص الثاني فقد نفى إمكانية قيام نبي من بني اسرائيل مثل موسى لأن النفي في النص الأول منصب على الماضي والحاضر بينما النفي في النص الثاني يتناول المستقبل.

فالإختلاف هنا في المعاني...

ورد في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين في الفقرة الحادية والثلاثون وما بعدها في التوراة العبرانية (وأخذ تارح إبرام ابنه ولوطا ابن هار ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابنه فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حران وأقاموا هناك وكانت أيام تاريخ مئتي وخمس سنين ومات تارح في حاران).

وفي السامرية (وأخذ ترح أبرم ولده ولوطاً ابن هرن ابن ابنه وساراي وملكه كنتيه زوجتي أبرام وناحور ابنيه وأخرجهم من بياض فراسان للمضي

(١) أنظر المرجع السابق ص ٥٦.
(٢) أنظر المرجع السابق ص ٥٧.

إلى أرض كنعـان، فجاؤوا إلى حـران وسكنوا هنـاك وكانت أيـام تـرح خمس سنين وأربعين ومئة سنة ومات تارح في حران)[1].

فـالإختلاف هنـا اختلاف بـالزيـادة في اللفظ والمعني إذا أغفـل النص الأول ذكر خروج ملكة كنة تارح معه وذكره النص الثاني وكذلك الخـلاف في عمـر تـارح نفســه ففي الأول مئتـان وخمس سنين وفي الثـاني مئة وخمس وأربعون سنة.

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٧ ـ ١٨.

الفصل الثاني

تدوين التوراة

لقد كان أول تدوين للتوراة في عهد سيدنا موسى ـ عليه السلاَم ـ حينما تلقى الألواح من لدن رب العالمين مدوناً بها التوراة كما مر معنا سابقاً وقد قام بـدفعها الى بني لاوى بعـد أن قرأهـا على بني إسرائيـل آخـذاً عليهم العهـد والميثاق بالحفاظ عليها وتطبيق تعاليمها ويزعم سفر التثنية أن سيـدنا مـوسى ـ عليه السلام ـ حينما دفع بـالتوراة[1] إلى كهنـة بني لاوى أمرهم وجميـع شيوخ بني إسرائيل أن يقرأوها على مسامع بني إسرائيل كل سبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال يقول النص «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنـة بني لاوى حاملي تابـوت عهد الـرب ولجميع شيـوخ إسرائيـل وأمرهم مـوسى قـائلاً في نهـاية السبـع السنين في ميعاد سنـة الإبراء في عيـد المـظال حينمـا يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب الهك في المكـان الذي يختـاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم»[2].

(١) يروي سفر الخروج الإصحاح الثـاني والثلاثـون فقرة ١٩ أن اللوحـين اللذين قد تلقى فيهـما سيدنا موسى عليه السلام التوراة مدونة فيها قد كسرا حينما ألقاها على الأرض عنـدما رأى بني اسرائيل يعبدون العجل مما اضطره الى كتابتها مرة ثانية. في حين أن القرآن ذكـر إلقاء مـوسى للألواح ولكن لم يقل بكسرها. كما ورد في سورة الأعراف آية ٥٠
﴿وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾
بل يشير القرآن الى أن سيدنا موسى أخذ نفس الألواح بعد إلقائه لها ولم يقل بأنها كسرت ففي نفس السورة آية ١٥٤ يقول تعالى
﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخـذ الألواح وفي نسختهـا هـدى ورحمة للذين هم لـربهم يرهبون﴾

(٢) الإصحاح الحادي والثلاثون فقرة ٩ ـ ١١.

ولكن هـذا الأمر لم ينفـذ يقول صـاحب كتاب التـراث الإسـرائيلي[1]:

«ولكن شيئاً من هذا لم يحدث فلم تحفظ التوراة بجانب التابوت ولم تقرأ كل سبع سنوات وهذه النتيجة التي نسوقها نحن ليست اجتهـاداً أو أخباراً بمـا كان لكنها نبوءة وبشارة وتوقع من موسى نفسه لقومه ومن حاملي تابوت الـرب لأنه [. . . عندما كمل موسى كتـابه كلمـات هذه التـوراة في كتاب الى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً خذوا كتاب التوراة هـذا وضعوه بجـانب عهد الـرب الهكم ليكون هنـاك شاهـداً عليكم لأني عـارف تمـردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقـاومون الـرب فكم بـالحرى بعـد موتي اجمعـوا إلى كل شيـوخ أسباطكم وعـرفـاءكم لأنـطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف بعـد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصبكم الشر في آخر الأيـام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بـأعمال يـدكم. فنطق مـوسى في مسامع كل جماعة اسرائيل بكلمات هذا النشيد الى تمامه][2].

فسيـدنا مـوسى ـ عليه السـلام ـ كما رأينـا قد تنبـأ بزيـغ بني اسـرائيـل وحرصاً منه على عدم تلاعبهم بالتوراة دفعها إلى القائمين على خدمـة شريعـة الله وهم الكهنـة ولكن بالـرغم من هذا لم تسلم فقـد قام يشـوع بعـد سيـدنـا موسى ـ عليه السلام ـ بنسخها وتـدوينها مـرة أخرى كمـا ورد في سفره إلا أن هذا التدوين لم يسلم من الحذف والإضافـة فعلى سبيل المثـال لا يستبعد أن يكون هو من دون وفاة موسى وأضافها الى أسفاره فضلاً عن إضـافة سفـره هو الى توراة موسى.

وفي معـركة من المعـارك[3] التي كانت بين بني اسـرائيل والفلسـطينيين كما يزعم سفر صموئيل في إصحاحه الرابع استولى الفلسطينيون على التابـوت

(١) د. صابر طعيمة ص ٢٩٦.

(٢) سفر التثنية الإصحاح الحادي والثلاثون فقرات ٢٤ ـ ٣٠.

(٣) معركة أفقيـه (رأس العين) التي وقعت نحـو سنة ١٠٥٠ ق.م من كتـاب فلسطين قبـل وبعد ليـوسف هيكل ص ٤١ (الـطبعة الأولى ١٩٧١ م) طبـع دار الكتب بيروت تـوزيـع دار العلم للملايين.

الذي أمر موسى ـ عليه السلام ـ أن توضع فيه التوراة وظل متنقلاً فترة غير قليلة من الزمن بين بني اسرائيل والفلسطينيين وحينما فتح بعدما بُني الهيكل لم يجدوا به سوى لوحي الحجر فقط(١) ولم يرد ذكر لتوراة موسى ولا النسخة التي دونها يشوع وعلى افتراض أنها وضعت في الهيكل مع التابوت إلا أن الهيكل قد خرب ودمر وأحرق ما به بعد ذلك فأول من غزاه ونهب جميع كنوزه فرعون مصر شيشق عام ٩٢٠ ق.م(٢).

وكذلك حال بني إسرائيل وتأرجحهم بين الكفر والإيمان بعد وفاة سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ ويبدو أن هذا التأرجح قد تأثرت به التوراة بدون شك. إذ أعلن الكاهن حلقياً عن إكتشافه لسفر الشريعة في الهيكل بعد زهاء ثمانية عشر عاماً من تولي يوشيا بن آمون [٦٢٢ ق.م] الحكم على بني إسرائيل يقول سفر الملوك الثاني: «وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا أرسل الملك شافان بن أصليا بن شلام الكاتب الى بيت الرب قائلاً اصعد الى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضّة المدخلة إلى بيت الرب التي جمعها حارسوا الباب من الشعب ليد عاملي الشغل الموكلين ببيت الرب ويدفعوها الى عاملي الشغل الذي في بيت الرب لترميم ثلم البيت، للنجارين والبنائين والنحاتين ولشراء أخشاب وحجارة منحوتة لأجل ترميم البيت إلا أنهم لم يحاسبوا بالفضة المدفوعة لأيديهم لأنهم إنما عملوا بأمانة. فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب. وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه وجاء شافان الكاتب الى الملك ورد على الملك جواباً وقال: قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ودفعوها الى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب. وأخبر شافان الكاتب الملك قائلاً: قد أعطاني حلقيا الكاهن سفراً وقرأه شافان أمام الملك فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه وأمر الملك حلقيا الكاهن وأخيقام بن شافان وعكبور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك قائلاً إذهبوا اسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب ولأجل كل

(١) ورد في سفر الملوك الأول الإصحاح الثامن فقرة ٦ ـ ٩ «وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب الى مكانه في محراب قدس الأقداس... لم يكن في التابوت إلا لوحاً الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني اسرائيل عند خروجهم من أرض مصر».

(٢) أنظر فلسطين قبل وبعد ص ٥٤.

يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذي إشتعل علينا من أجل أن أباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا»(١).

وهذا الزعم يداخله شيء من الريبة والشك إذ أين كان من قبل هذا السفر ولماذا لم يكتشفه أحد قبل حلقيا؟.

لقد ورد في كتاب التراث الإسرائيلي: «أن الهيكل قبل عهد يوشيا وقبل عهد آحاز ملك يهوذا قد تعرض للنهب والعدوان ولم يكن مغلقاً على أسرار فضلاً عن أن الكهنة والسدنة والخدم يدخلونه كل يوم وليس بالقطع فيه من الجوانب أو الحجرات أو السراديب شيء يمكن أن لا تكون قد وقعت عليه يد الكهان. ثم إن يوشيا لم يرسل إلى حلقيا شافان إلا بعد مضي ثمانية عشر عاماً على ملكه كما يقول الإصحاح ـ فأين كان حلقيا طوال هذه المدة ولم لم تقع عينه على سفر الشريعة طوال سبعة عشر عاماً لم يقل لنا كاتب الملوك الثاني أي نسخة من الشريعة وجدها حلقيا أتلك التي كتبها موسى وأخذ عليها العهد من بني اسرائيل، أم النسخة التي خطها يشوع وأضاف إليها ما أضاف وحذف منها ما حذف على ضوء ما في سفره أم لوحا الحجر اللذان تركهما موسى مع تابوت العهد؟»(٢).

وحينما تولى ابنه يهوخار بن يوشيا أخذ التوراة من الكاهن الهاروني ونشر منها أسماء الله ثم لما تولى أخوه الياقيم بن يوشيا وكما يقول ابن حزم(٣) «قطع الدين جملة وأخذ التوراة من الهاروني فأحرقها بالنار وقطع أثرها».

ثم كان دمار الهيكل وما به دماراً ساحقاً على يد بختنصر سنة ٥٨٦ ق.م وفي هذا الصدد يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «إنه وجدت نسخة التوراة في العام الثامن عشر من سلطنة يوشيا وبقيت معمولاً بها إلى

(١) الإصحاح الثاني والعشرون فقرة ٣ ـ ١٣.
(٢) للدكتور صابر طعيمة ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.
(٣) أنظر كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٩٣، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر.

ثلاث عشرة سنة مدة حياته ولما مات وجلس ياهو حاز على سرير السلطنة ارتد وأشاع الكفر وتسلط عليه سلطان مصر وأسره وأجلس اخاه على سرير السلطنة وهو كان مرتداً أيضاً كأخيه ولما مات جلس ابنه على السرير وكان مرتداً كأبيه وعمه وأسره بختنصر مع جمع غفير من بني إسرائيل ونهب بيت المقدس وكنز بيت الملك وأجلس عمه على سرير السلطنة وكان مرتداً أيضاً مثل ابن أخيه فإذا علمت هذا فأقول: إن تواتر التوراة في اليهود عندي منقطع قبل زمان يوشيا والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها ولا يثبت بها التواتر ومع ذلك ما كانت معمولاً بها إلا إلى ثلاث عشرة سنة وبعدها لم يعلم حالها والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بختنصر وكان وجودها بين أزمنة الإرتداد كالطهر المتخلل بين الدمين ولو فرض بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها في حادثة بختنصر وهذه الحادثة هي الأولى..

ولما بغى هذا السلطان الذي أجلسه بختنصر عليه فأسره وذبح أولاده أمام عينية أولاً، ثم قلع عينيه وربطه بالسلاسل وأرسل الى بابل وأحرق بيت الله وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم»[1].

وفي بابل بدأ الكاهن[2] عزرا الوراق بتدوين توراة ثانية اعتماداً على الأحاديث الشفوية المتناقلة بين بني إسرائيل بالإضافة إلى تراث الشعوب الأخرى التي احتك بها بنو اسرائيل[3].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي «وفي هذه الحادثة ـ يعني حادثة

(١) أنظر كتابه إظهار الحق ج ١ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٢) أحد كهنة بني اسرائيل الذين كانوا أيام السبي البابلي وله أثر كبير في الديانة اليهودية إذ أنه من أهم وأبرز الشخصيات المدونة لأسفارهم المقدسة. ويذكر القرآن الكريم أن اليهود جعلوه ابن الله (وقالت اليهود عزيز ابن الله).

(٣) يشير الدكتور صابر طعيمة في كتابه التراث الاسرائيلي إلى أثر الديانة البابلية والأشورية على العهد القديم أنظر ص ٣٧٥ ـ ٣٨٤، أنظر كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٤ ـ ٥، جذور الفكر اليهودي داود عبد العفو سنقراط ص ٦١ ـ ٨١ (الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) مطبعة النور النموذجية الناشر دار الفرقان. اليهودية أحمد شلبي ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦، التوراة مقارنة وتحليل لمحمد شلبي شتيوى ص ٤٧ ـ ٤٩ (الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م) إصدار مكتبة الفلاح الكويت.

بختنصر إنعدمت التوراة وكذا جميع كتب العهد العتيق التي كانت مصنفة قبل هذه الحادثة عن صفحة العالم رأساً وهذا الأمر مسلَّم عند أهل الكتاب أيضاً»[1] وينقل شهادات أهل الكتاب في هذا الأمر: -

فيقول على لسان فرقة البروتستانت «أحرقت التوراة وما كان أحد يعلمها وقيل إن عزرا جمع ما فيها مرة أخرى بإعانة روح القدس»[2].

وينقل عن ترتولين قوله: «المشهور إن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل بأروشليم»[3].

وعن تهيوفلكت: «إن الكتب المقدسة إنعدمت رأساً فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام»[4].

وهذه التوراة التي كتبها عزرا خلاف التوراة التي ادعى حلقيا اكتشافها لأن توراة عزرا استغرقت قراءتها أسبوعاً كاملاً بينما توراة حلقيا على ما يبدو قرئت في جلسة واحدة.

ومع هذا فلم تسلم أيضاً توراة عزرا من التلاعب الذي نالها في أقبية الظلام نتيجة للاضطهادات التي تعرضت لها في حادثة أنتيوكس فهذه التوراة المتداولة هي وليدة توراة عزرا التي إمتدت إليها أيدي العابثين بالإضافة والحذف وتغيير المعاني المرادة ومصداق قولنا هذا أن العلماء التوراتيين أنفسهم يرجعون التوراة أو الأسفار الخمسة إلى أربعة مصادر هي: -

١ - مصدر يحمل اسم الإله يهوه وهو المصدر اليهودي وإليه يعود الفضل في تسجيل القسم الذي يسيطر فيه الإله يهوه والموضوع الذي تناوله هو الحديث عن الفترة الزمنية التي تبدأ من بدء الخليقة الى موت يعقوب عليه السلام، ويرجع تاريخ هذا المصدر إلى القرن التاسع قبل الميلاد

(١) أنظر المرجع السابق ج ١ ص ٤٩٣ - ٤٩٤.
(٢) أنظر المرجع السابق ج ١ ص ٣٥٤.
(٣) أنظر المرجع السابق ج ١ ص ٣٥٤.
(٤) أنظر المرجع السابق ج ١ ص ٣٥٤.

ورواتـه كانـوا من الجنوب من مملكـة يهوذا[1]. والفكـرة التي يريـد هذا المصدر تثبتها هي كون إسرائيل شعب الله المختار في أرض كنعان[2].

٢ ـ المصـدر الأيلوهيمي: ـ نسبة إلى إلـه اسرائيـل إيلو هيم وموضـوع هـذا المصـدر هو الأحـداث الخـاصـة بـإبـراهيم ويعقـوب ويـوسف ـ عليهم السلام[3].

ورواه هذا المصدر من مملكة اسرائيل الشماليـة التي كانت تـطلق على الههاً لفظة الوهيم ويعود تاريخ هذا المصدر للقرن الثامن قبل الميلاد[4].

يقول الدكتـور حسن ظاظـا[5]: «وهذان المصـدران يتفقان في الخـطوط العريضة للمـوضوع الـذي يتناولانـه كما يتفقـان في طابـع القصص وأسلوبه. وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين (اليهووية) و(الألـوهيميه) على ألسنـة الناس في القرون التالية على القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد».

وإلى هذين المصدرين يعود تحرير كل من سفر التكوين والخروج.

٣ ـ مصدر تثنية الشريعة:

وهذا المصدر كما يقول الدكتور ظاظا: «صادر عن وسط مثقف لا يلقي بـالاً إلى القصص الشعبي بقدر ما يهدف الى التوجيه والتعليم والتـطوير عن طريق سن القوانين والـظاهر أن هـذا المصدر الـذي يتجلى بوضـوح في آخر أسفـار التوراة ـ سفـر التثنية ـ وينسب إليـه قـد أدخـل في صميم التـوراة سنـة

(١) أنـظر كتاب الفكـر الديني اليهـودي أطواره ومـذاهبه للدكتـور حسن ظاظـا ص ٢٦، التوراة دراسة وتحليل د. محمد شلبي شتيوي ص ٥٤، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية للدكتور عبـد المنعم الحفني ص ٨٢ (الـطبعـة الأولى ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) إصـدار مؤسسـة المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

(٢) أنظر كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ١٤.

(٣) مقتبس من كتاب التوراة دراسة وتحليل ص ٥٥.

(٤) أنظر الفكر اليهودي ص ٢٦ ـ ٢٧، التوراة دراسة وتحليل ص ٥٤ ـ ٥٥، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٤.

(٥) أنظر كتاب الفكر الديني اليهودي ص ٢٧.

٦٢١ ق.م ضمن برنامج الإصلاح والتطوير الذي عمله الملك يوشيا، أما كتابته فترجع إلى حكم الملك اليهودي (منسا) جد يوشيا... وقد حكم قبله بنحو خمسين سنة.

وخلاصة ذلك أن (الشريعة الثانية) أو (التثنية) قد كتبت لأول مرة في غضون القرن السابع قبل الميلاد. ثم اعتبرت جزءاً من توراة موسى سنة ٦٢١ ق.م»[١].

ويذكر كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد[٢] ميزة هذا المصدر المتمثلة في انتهاجه اللهجة الخطابية في دعوته اليهود الى اتباع الشريعة وتطبيق العهد.

٤ ـ المصدر الكهنوتي:

وهي الحواشي والإضافات التي أضافها الكهنة إلى التوراة في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد عقب السبي البابلي في عهد عزرا ونحميا وهي الفترة التي بلغت فيها سيطرة الكهان ذروة عليائها[٣].

وميزة هذا المصدر كما ورد في كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد هو «إعطاء التعليمات (الطقسية) وكيفية تطبيق تعاليم الدين»[٤]. وهي تحتوي على نتف قصصية بالإضافة إلى النواحي التشريعية[٥] وإلى هذا المصدر يرجع تدوين سفري العدد واللاويين.

(١) أنظر المرجع السابق.
(٢) لسهيل ديب ص ١٥.
(٣) أنظر الفكر الديني اليهودي ص ٢٧ ـ ٢٨، التوراة دراسة وتحليل ص ٥٥، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٤.
(٤) ص ١٤.
(٥) أنظر الفكر الديني اليهودي ص ٢٨.

اللغة التي دونت بها التوراة الحالية

إن اللغـة التي دونت بها أسفـار التـوراة الحـاليـة هي اللغـة العبـريـة[1] باستثناء فقرات في سفري عـزرا ودانيال وفقـرة واحدة في سفـر أرميا وكلمتين من سفر التكوين فقد ألفت باللغة الآرامية[2] ويـرجح البـاحثون أن مـا ألف من سفر عزرا بالأرامية يرجع تاريخه الى حوالي سنة ٣٠٠ ق.م.

(١) نعد اللغة العبرية من أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق وأكثرها انتشـاراً بالـرغم من أنها لغة فرع واحد من العبرانيين وهو فرع بني اسـرائيل. وقـد مرت هـذه اللغة بمـراحل كثيـرة تأثرت بها في مفرداتها وقواعدها وأساليبها بالمؤثرات التي طرأت على المجتمع الاسـرائيلي من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية.
أما عن نشأتها فهناك من علماء اللغة من يعـود بنشأتهـا الى القرن الثـالث عشر قبـل الميلاد ومنهم من يعود لنشأتها إلى أيام السبي البابلي سنة ٥٨٧ ق.م.

(٢) تنتسب الى القبائل الأرامية التي كانت تنتقل منذ القـرن الخامس عشـر. ق.م في الصحراء المتاخمة لمنطقة ميزوبوتاميا وكانت تقوم بشن غـارات على البابليين والأشـوريين ثم نزحت بعض هذه القبائل الى بلاد سوريا وفلسطين واستقروا في منطقة مجاورة لمناطق الكنعـانيين وبذلك انقسمت مواطن الأراميين إلى قسمين:
قسم في الشمـال الغربي على تخـوم البلاد الكنعـانية اخضعـوا لسلطانهم السكان الأصليين للمنطقة واشتبكت لغتهم في صراع مع لغـات السكان الأصليين وانتصـرت عليها، وأخـذوا عن جيرانهم الكنعانيين حروف الهجاء الأرامية وأساليب رسمهـا. واستطاعت هـذه اللغة أن تطغي على العبرية والفينيقية في هذه المنطقة.
وقسم في الشرق في صحراء بوتاميا على حدود بابل وأشور طغت لغته الأرامية على الأكادية ولم ينتصف القـرن الـرابـع حتى كـانت الارامية قـد طغت على جميـع الألسنة في هـذه المناطق.
وبذلك ورثت الأرامية جميع اللغات الشرقية والشمالية وأصبحت اللغة السائدة في التخاطب في جميـع بلاد العـراق وسوريـا وفلسطين وقـد بلغت أقصى درجات اتسـاعها في المـرحلة =

أمـا ما دون من سفـر دانيال فيـرجع تـاريخه إلى سنـة لاحقـة للتـاريـخ السابق[1].

ترجمة التوراة:

تعتبر التوراة من أكثر الكتب ترجمـة إلى اللغات الأخـرى فقد تـرجمت بكـاملها إلى ٢٥٣ لغـة مختلفة بينمـا ترجمت بشكـل جـزئي الى ١٤٥٧ لغـة أخرى[2] وقد كانت أول ترجمة لها تدعى الترجمة السبعينية نسبـة إلى السبعين أو الاثنين والسبعين عـالماً من اليهـود (ستة من كـل سبط من أسباطهم الإثني عشر) قاموا خلال مائة عام تقريبـاً بترجمـة التوراة من اللغـة العبريـة الى اللغة اليونانية وكانت هذه الترجمة حوالي سنة ٢٥٠ ق.م بناء على رغبـة بطليمـوس فلادلفوس. وتشتمل هذه الترجمة على عدة أسفار ليس لهـا وجود في الأصـل العبري المتعارف عليه الآن وهذه الأسفار هي:

سفر طوبيا، وسفر الحكمـة لسليمان وأسفـار المكابيين الأربعـة، وسفر يهوديت، وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ ونشيد الأطفال الثلاثة، وسفر سوزان، وسفر بل والتنين وثلاثـة أسفار منسـوبة لعـزره زيادة عـلى سفره المعهود في الأصل العبري، وبعض الزيادات في سفر دانيال[3] وفي القرن الأول بعد الميلاد ترجمه التوراة إلى اللغة اللاتينية عن الترجمة اليونانية السبعينيـة إلاَّ أنّ هـذه الترجمـة لم تكن حرفيـة إذ أن هنالـك خلافـاً بينها وبين الأصـل الـذي ترجمت عنه فالترجمة اللاتينيـة جعلت للمكابيين سفـرين فقط بدلاً من أربعـة وحـذفت أسفار عـزرا الـزائـدة عن الأصـل العبـري وأضـافت سفـر بـاروخ، وبالإضافة إلى ما سبق فهاتان الترجمتان لا تنطبقان في بعض المـواضع تمـام

= المحصورة بين سني ٣٠٠ و ٦٥٠ ق.م وبلغت مساحـة البلاد النـاطقة بـالأرامية نحـو ٦٠٠ ألف كيلو متر مربع.

أنـظر كتاب فقـه اللغة للوافي ص ٥٢ ـ ٥٣. الـطبعة الخـامسة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م ملتـزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي.

(١) أخذ بتصرف من كتاب الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٧.
(٢) أنظر كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٥ نقلاً عن الموسوعة البريطانية.
(٣) أخذ بتصرف من كتاب الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٨.

الإنطباق مع أسفار الأصل العبري[1] ومنذ أوائل القرن الثاني إلى أواخر القرن الخامس الميلادي قام أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس بترجمة التوراة من اللغة العبرية إلى «اللهجة الآرامية الحديثة» فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية وقد أسمو هذه الكتابات «ترجوم» وأشهرها ترجوم انقلوس. هذا وقد تمت معظم هذه الكتابات في القرنين الرابع والخامس الميلادي[2].

وفي نفس الفترة السابقة قامت الكنيسة المسيحية السريانية بترجمة العهد القديم من الترجمة السبعينية اليونانية الى اللغة السريانية التي تعتبر إحدى شعب اللغة الآرامية.

ولقد ترجم أيضاً مسيحيو فلسطين بعد إستقلالهم عن الكنيسة السريانية في أواخر القرن الخامس الميلادي العهد القديم من الترجمة السبعينية اليونانية الى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة وهي من اللهجات المحلية التي كانت تستخدم في فلسطين وقد استغرق عملهم هذا حوالى أربعة قرون من القرن الثامن الى القرن الحادي عشر بعد الميلاد.

وعن هاتين الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجمت التوراة الى معظم لغات العالم قديمها وحديثها[3].

الترجمة العربية:

ينفي علماء اللاهوت[4] وكذلك الموسوعة البريطانية[5] وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس سابقة لظهور الإسلام فقد أورد ابن النديم[6] في

(١) أخذ بتصرف من المرجع السابق ص ١٨ .
(٢) أخذ بتصرف من المرجع السابق ص ١٩ .
(٣) أخذ بتصرف من المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠ .
(٤) أنظر كتاب التراث الاسرائيلي د. صابر طعيمة ص ٣٣٧ .
(٥) أنظر الموسوعة البريطانية ج ١ ص ٨٨٩ الطبعة الخامسة عشر ١٩٧٥ م نشر جامعة شيكاغو.
(٦) أنظر الفهرست ص ٢٢ .

«الفهرست» أن أحمد بن عبد الله ابن سلام قد ترجم التوراة من العبرية الى العربية في عهد هارون الرشيد وقد تكون هذه أول ترجمة للتوراة الى العربية. وميزة هذه الترجمة الحرفية الشديدة للنصوص على أنه قد ورد في كتب السنة ما يفيد أن اليهود كانوا يقرأوان التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية في عهد رسول الله - ﷺ - فقد روى البخاري[1] عن أبي هريرة أنه قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله - ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم... إلخ».

وذكر المسعودي في كتابه «التنبيه والإشراف» ص ١٢ - ١٣ ثلاثة نقول أخرى:

الأول لحنين بن اسحاق النسطوري المتوفي عام ٢٦٠ هـ (٨٧٣/ ٨٧٤ م) وقد اعتمد فيه على الترجمة اليونانية والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود هما أبو كثير المتوفي عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) وسعيد بن يوسف الفيومي المشهور بسعدياجاؤن[2] المتوفي سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) وقد كانت الترجمة من النص العبري ولم يبق من هذه النقول إلا نقل سعديا (طبعت درنبورج باريس ١٨٩٣ م)[3].

وهنالك من يرى أن ترجمة سعديا هذه كانت من الترجمة السبعينية اليونانية وليست من العبرية[4].

هذا وقد اقتصرت ترجمته على الأسفار الخمسة الأولى فقط وبعض كتب العهد القديم. وقد طبعت في القسطنطينية بالأحرف العربية.

وفي عام ٩٤٦ م تم طبع هذه الأسفار في باريس ثم في عام ١٦٤٥ م

(١) في صحيحه في كتاب التفسير تفسير سورة البقرة باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ج ٦ ص ٢٥.

(٢) ورد في الموسوعة البريطانية سعيد بن جوزيف ص ٨٨٩، وفي كتاب التراث الإسرائيلي سعد جذوغان الفيومي ص ٣٣٨ وجميع هذه الأسماء على ما يبدو لشخصية واحدة.

(٣) أخذ بتصرف من كتاب العرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسه ص ١٦٣.

(٤) أنظر كتاب التراث الاسرائيلي د. صابر طعيمة ص ٣٣٨.

أعيد طبعها في لندن وكذلك في عام ١٦٥٧ م أعيد طبعها بالحروف العربية[١].

النسخ العربية المتداولة حالياً:

إن الترجمة العربية الكاملة المتداولة حالياً للكتاب المقدس قد أنجزت في القرن التاسع عشر الميلادي تحت إشراف الدكتور سميث وقد كانت هذه الترجمة من العبرانية الى العربية وقد أصبحت في متناول الأيدي عام ١٨٥٧ م.

هذا وقد قام الأباء اليسوعيون بإشراف بطريرك القدس بالترجمة الكاملة الثانية في الفترة بين سنة ١٨٧٢ و١٨٨٠ م.

وقد كانت هذه الترجمة من العبرية واليونانية وتمتاز هذه الترجمة بكونها أفصح من سابقتها[٢].

مثالب أو عيوب الترجمة العربية:

إن الترجمة العربية للكتاب المقدس لم تخل من المثالب والعيوب التي كان من اللازم على المترجمين للعربية بخاصة أن يتحاشوها وذلك لرهافة الحس العربي للصياغة البلاغية التي ينبغي أن تكون عليها النصوص المقدسة ومنشأ هذه العيوب كون القائمين بالترجمة جمع لفيف من رجال الكهنوت المسيحي الذين لم تتوفر لهم الشروط اللازمة للترجمة من بلاغة وحذاقة باللسان الناقل عنه وإليه ومعرفة بفن الترجمة وأساليبها مع المام بالموضوع المترجم وما كتب فيه. وقد جمع عيوب هذه الترجمة صاحب كتاب محنة التوراة[٣] في أربع نقاط هي:

(١) أخذ بتصرف من المرجع السابق ص ٣٣٨.
(٢) أخذ بتصرف من المرجع السابق ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.
(٣) الاستاذ عصام الدين حفني نصيف ص ٨٦ ـ ٨٨.

١ ـ كونه مشوباً بأغلاط نحوية.

٢ ـ مخلوطاً بالفاظ دخيلة على اللغة.

٣ ـ معيباً بأغلاط املائية.

٤ ـ خالياً من علامات الترقيم المستعملة في اللغات الراقية.

الفَصْلُ الثالِث

تحريف التوراة

التحريف

المفهوم اللغوي للتحريف

حَرَف عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفاً وانْحَرَفَ وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ: عَدَلَ

وإذا مال الإنسان عن الشيء يقال تَحَرَّفَ وانحرف واحرورف، وأنشد العجاج في صفة ثورة حَفَر كِناساً فقال:

وإنْ أصابَ عُدَواء احْرَوْرَفا عنها وَولاّها ظُلوماً ظُلّفا

أي إن أصاب موانع. وعدواء الشيء: موانعه.

وتحريف القلم: قطُّه مُحَرّفاً، وقلم محرف: عدل بأحد حرفيه عن الآخر، قال:

تَخالُ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفا خافِيةً أَو قَلَماً مُحَرَّفا

وتحريف الكلم عن مواضعه: تغيره والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تُغَيِّر معاني التوراة بالأشباه فوصفهم الله بفعلهم، فقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(1).

(1) أنظر لسان العرب لابن منظور ج ٩ ص ٤١، تاج العروس للزبيدي ج ٦ ص ٦٩، القاموس المحيط للفيروز أبادي ج ٣ ص ١٢٦ ـ ١٢٧، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ج ٤ ص ١٣٤٢ ـ ١٣٤٣، المعجم الوسيط ج ١ ص ١٦٧ مطبعة مصر ١٣٨٠ م.

وورد أيضاً (حرف الشيء يحرفه حرفاً، حرفه عن مكانه وحرف الكلام غيره (تحرف وانحرف) مال إلى حرف أي إلى جانب، والحرف الطرف)[1].

وورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم:

(حَرّف الكلام تحريفاً: بَدَّلَهُ أو صَرَفه عن معناه. يُحرِّفون: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ - ٤٦ النساء - أي يصرفونه عن معناه، ومثلها ما في المائدة في آية ١٣.

يُحرفونه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ البقرة آية ٧٥ - أي يصرفونه عن معناه.

تحرف عن الشيء: مال وعدل فهو متحَّرف[2].

ونقل الرازي عن القفال قوله:

(التحريف التغيير والتبديل وأصله الإنحراف عن الشيء والتحريف عنه، قال تعالى ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[3] والتحريف هو إمالة الشيء عن حقه، يقال قلم محرف إذا كان رأسه قط مائلاً غير مستقيم)[4].

(١) أنظر دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ج ٣ ص ٤١٢ إصدار دار المعرفة بيروت.

(٢) أنظر معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - ج ١ ص ٢٦٠ الطبعة الثانية إصدار الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

(٣) سورة الأنفال آية ١٦.

(٤) أنظر التفسير الكبير للرازي ج ٢ ص ١٤٤.

ورد في حاشية نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ما يلي:

(التحريف إمالة الشيء من حال إلى حال والحرف الحد المائل) ج ١ ص ٤٨٦ وورد في تفسير المنار أيضاً.

(التحريف إمالة الشيء عن مواضعه إلى أي جانب من جوانب ذلك الموضع مأخوذ من الحرف وهو الطرف والجانب) ج ٥ ص ٢٨٢.

وورد في فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ما يلي:

(التحريف الإمالة والإزالة أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه ويجعلون مكانه غيره أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله) ج ٢ ص ٢٩١.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن كلمة حرف تفيد في اللغة:

١ ـ التغيير والتبديل.

٢ ـ الإمالة والإزالة.

٣ ـ العدول عن الشيء إلى شيء آخر.

٤ ـ صرف الكلام عن معناه.

والتغيير والتبديل والإزالة أولى بالتحريف اللفظي الذي يتعلق بكلمات ونصوص التوراة والذي يسميه ابن تيمية (تحريف التنزيل).

والإمالة والعدول وصرف الكلام عن معناه أولى بالتحريف المعنوي الذي يسميه ابن تيمية (تحريف التأويل)[1].

وعلى هذا فإن الكلمة (حرف) في اللغة واستخداماتها المختلفة تشمل نوعين من التحريف هما التحريف اللفظي والتحريف المعنوي.

المفهوم الاصطلاحي

إن المفهوم الإصطلاحي لا يبعد عن المفهوم اللغوي، فكل ما لم يصح نسبته الى الله عز وجل مما نسب إليه على أنه من الوحي فهو تحريف وهو أمر واقع في التوراة في كل من المعني (بالتأويل) والألفاظ (بالتغيير والتبديل).

فقد ورد في فتح البيان أن التحريف هو: (الإمالة والإزالة أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه ويجعلون مكانه غيره أو المراد أنهم يتأولونه على غير تأويله)[2].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة لأصحاب الجحيم. لابن تيمية تحقيق محمد حامد الفقي. ص ٨ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

(٢) أنظر فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان ج ٢ ص ٢٩١.

وورد في المنار تعريفه بما يلي: (وتحريف الكلم عن مواضعه هو إمالته وتنحيته عنها كأن يزيلوه بالمرة أو يضعوه في مكان غير مكانه من الكتاب أو المراد بمواضعه معانيه كأن يفسروه بغير ما يدل عليه قال الأستاذ الإمام التحريف يطلق على معنيين (أحدهما) تأويل القول بحمله على غير معناه الذي وضع له... (ثانيهما) أخذ كلمة أو طائفة من الكلم من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر)[1].

أنواع التحريف:

من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية يتبين لنا أن التحريف على ضربين:

١ ـ تحريف لفظي.

٢ ـ تحريف معنوي.

وقد كان لأسفار التوراة التي بأيدي اليهود نصيب كبير من التحريف إذا أنها اشتملت على كلا النوعين من التحريف بشهادة القرآن الكريم والسنة المطهرة وبشهادة أتباعها المؤمنين بها من أهل الكتاب.

شهادة القرآن الكريم:

لقد شهد القرآن الكريم بتحريف التوراة يقول تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

ويقول: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[3].

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٤٠.
(٢) سورة البقرة آية ٧٥.
(٣) سورة النساء آية ٤٦.

ويقول تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١)

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾(٢).

ويذكر جل شأنه تلاعبهم في كتابهم فيقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(٣)

ويشير أيضاً جل شأنه إلى كتمانهم للحق فيقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٤).

وقد تحدث العلماء في تفسير هذه الآيات ومدلول التحريف وأقسامه سواء في كتب التفسير أو غيرها وقد سبق الإشارة إلى بعض أقوال العلماء في

سورة المائدة آية ١٣.

(٢) سورة المائدة آية ٤١.

(٣) سورة البقرة آية ٧٩.

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٧.

هذا المجال[1] وحاصلها أن التحريف كان شاملاً للألفاظ بالتغيير والتبديل للألفاظ والمعاني بخلق التأويلات الفاسدة لها وحملها على غير محملها.

ومنها قول صاحب المنار: ـ

(وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان وبتحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له وقد إختار كثير من علمائنا الأعلام هذا المعنى في تفسير الآية وعللوه بأن التصرف في ألفاظ كتاب متواتر متعسر ومتعذر وسبب هذا الاختيار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب وعدم إطلاعهم على كتبهم وقياس تواترها على القرآن. والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم وأطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة وغيرها... إنها كتب غير متواترة)[2].

شهادة السنة المطهرة:

لقد شهدت كذلك السنة المطهرة بتحريف التوراة فهذا رسول الله ـ ﷺ ؛ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا والهكم واحد)[3].

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ـ ﷺ ـ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ـ ﷺ ـ فغضب فقال: أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن

(١) أنظر الباب الأول الفصل الثالث ـ مضمون التوراة.

(٢) أنظر تفسير النار لمحمد رشيد رضا ج ٦ ص ٢٨٣.

(٣) في كتاب التوحيد باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ج ٩ ص ١٩٣.

شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى - ﷺ - كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)[1].

وروى عن ابن عباس أنه قال «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله - ﷺ - أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[2].

فلو لم تكن هذه التوراة التي بين أيدي اليهود قد أصابها التغيير والتبديل ومزج الحق بالباطل ما نهى رسول الله - ﷺ - عن مطالعتها ومسألة اليهود عنها.

شهادة أهل الكتاب:

إن اعتراف علمائهم بأن موسى عليه السلام ليس هو كاتب التوراة وأن كاتبها شخص آخر بعد زمن طويل فيه أكبر دلالة ضمنية على وقوع التحريف فيها، يقول العالم اليهودي سيبنوذه[3] (أن موسى ليس هو مؤلف[4] الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل وإن موسى كتب سفراً مختلفاً).

وقد استدل على قوله هذا بعدة أدلة منها قوله (أنه قد ورد في التثنية (٩ : ٣١) وقد كتب موسى هذه التوراة ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لا بد أن يكون قائلها كاتباً يروي أقوال موسى وأعماله)[5].

(١) مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٣٨٧.
(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ج ٩ ص ١٣٦.
(٣) أنظر كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٦٦.
(٤) هذا القول فيه نظر فهو غير مقبول اسلامياً لأن الأنبياء لا يؤلفون الكتب بل هي توحي اليهم من رب العالمين.
(٥) المرجع السابق ص ٢٦٧.

وأيضاً يذهب إلى مثل هذا الرأي العلامة (ول ديورانت)[1] إذ يقول عن التوراة:

(ولسنا نجد فيها تاريخاً فحسب، بل نجد فيها نوعاً من فلسفة التاريخ، ذلك أنها أول ما دوّن من الجهود التي بذلها الإنسان ليؤلف من الحوادث الماضية التي لا عداد لها وحدة متناسقة بالبحث عما يسيري فيها من وحدة في الغرض ومن مغزى ومن تتابع العلة والمعلول على نحو ما، ومن إيضاح لحاضر الأشياء ومستقبلها ولقد بقيت فكرة التاريخ كما تصورها الأنبياء والكهنة واضعوا أسفار موسى الخمسة ـ ألف عام بعد اليونان والرومان).

وقد ذكر الإمام ابن القيم[2] اعتراف اليهود بوقوع التحريف على ثلاثة عشر حرفاً من التوراة قال (واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على إتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم ومن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره، واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا وانقصوا والسامرة تدعي ذلك عليهم).

(١) أنظر كتابة قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ج ٢ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٢) أنظر كتابه هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٠٦.

أمثلة لتوضيح أنواع التحريف

ذكرنا سابقاً أن التحريف على ضربين: -

١ - تحريف لفظي.

٢ - تحريف معنوي.

والضرب الأول منهما ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: -

١ - تحريف بالتبديل.

٢ - تحريف بالزيادة.

٣ - تحريف بالنقصان.

وفيما يلي أمثلة مختارة لتوضيح هذه الأنواع.

أولاً - التحريف بالتبديل.

ويكون بأخذ كلمة أو عدة كلمات من موضع من الكتاب ووضعها في موضع آخر أو استبدال بعض ألفاظ الكتاب بألفاظ أخرى خارجة عنه، وفيما يلي نذكر أمثلة لهذا الضرب من التحريف في التوراة ذكرها الشيخ رحمة الله الهندي[1] في كتابه منها قوله:

١ - (إن الآية الرابعة من الإصحاح السابع والعشرين من سفر الإستثناء في

[1] أنظر كتابه إظهار الحق الشاهد الثالث ج ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

النسخة العبرانية هكذا (فإذا عبرتم الأردن فأنصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً).

وهذه الجملة (فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال) في النسخة السامرية هكذا: (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم) وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآية الثانية عشرة والثالثة عشرة من هذا الإصحاح وفي الآية التاسعة والعشرين من الإصحاح الحادي عشر من هذا السفر، فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السلام أمر ببناء الهيكل أعني المسجد على جبل عيبال ومن النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرزيم، وبين اليهود (العبرانيين) والسامريين سلفاً وخلفا نزاع مشهور وتدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هذا المقام، وكذلك بين علماء البروتستانت اختلاف في هذا الموضع، قال مفسرهم المشهور (آدم كلارك) في صفحة ٨١٧ من المجلد الأول من تفسيره (أن المحقق (كنى كات) يدعى صحة السامرية والمحقق (بارى) و (درشيور) يدعيان صحة العبرانية، لكن كثيراً من الناس يفهمون أن أدلة (كنى كات) لا جواب لها، ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين والدليل على تحريف اليهود أن جرزيم ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة، وعيبال جبل يابس لا شيء عليه من هذه الأشياء، فإذا كان الأمر كذلك كان الجبل الأول مناسباً لإسماع البركة والثاني للعن)، إنتهى كلام المفسر وعلم منه أن الفاضل (كنى كات) وكثير من الناس اعترفوا بأن التحريف واقع في النسخة العبرانية وأدلة (كني كات) قوية جداً).

٢ - (في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين هكذا (ونظر بئر في الحقل وثلاثة قطعان غنم رابضة عندها لأن من تلك البئر كانت تشرب الغنم، وكان حجر عظيم على فم البئر). (فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية) إلى آخر الآية.. ففي الآية الثانية والثامنة وقع لفظ قطعان غنم، ولفظ الماشية، والصحيح لفظ (الرعاة) بدلهما كما هو في النسخة السامرية واليونانية والترجمة العربية «دوالتن» قال المفسر (هارسلي) في الصفحة الرابعة والسبعين من المجلد الأول من تفسيره في ذيل الآية

الثانية (لعل لفظ ثلاثة رعاة كان ههنا أنظروا كنى كات) ثم قال في ذيل الآية الثامنة: (لو كان ههنا حتى تجتمع الرعاة لكان أحسن أنظروا النسخة السامرية واليونانية وكنى كات والترجمة العربية ليهو بين كنت) وقال (آدم كلارك) في المجلد الأول من تفسيره موافقاً لما قال كني كات وهيوبي كينت (إنه وقع من غلط الكاتب لفظ قطعان الغنم بدل لفظ الرعاة)[1].

٣ - وقع في الآية الثالثة عشر من الإصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني لفظ سبع سنين ووقع في الآية الحادية عشر والثانية عشرة من الإصحاح الحادي والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام لفظ ثلاث سنين وأحدهما غلط يقينا، قال آدم كلارك في ذيل عبارة صموئيل: (وقع في سفر أخبار الأيام ثلاث سنين لا سبع سنين، وكذا في اليونانية وقع ههنا ثلاث سنين كما وقع في أخبار الأيام، وهذه هي العبارة الصادقة بلا ريب)[2].

٤ - وقع في الآية الخامسة والثلاثين من الإصحاح التاسع من السفر الأول من أخبار الأيام في النسخة العبرانية (وكان اسم أخته معكاه) والصحيح أن يكون لفظ الزوجة بدل الأخت قال آدم كلارك: (وقع في النسخة العبرانية لفظ الأخت وفي اليونانية واللاتينية والسريانية لفظ الزوجة وتبع المترجمون هذه التراجم) وههنا جمهور البروتستانت تركوا العبرانية وتبعوا التراجم المذكورة فالتحريف في العبرانية متعين عندهم)[3].

هذه بعض نماذج أوردها الشيخ رحمة الله الهندي مما وقع في التوراة من التحريف بالتبديل ومن شاء المزيد فليطالعها هناك في كتابه.

ثانياً: التحريف بالزيادة:

وهذا يكون بإضافة ألفاظ إلى مواضع من الكتاب لم تكن موجودة فيه

(١) أنظر المرجع السابق الشاهد الرابع ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٦.
(٢) أنظر المرجع السابق الشاهد الخامس ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٧.
(٣) أنظر المرجع السابق الشاهد الخامس ج ١ ص ٣٤٧.

أصلاً، وفيما يلي أورد جملة من الأمثلة الدالة على وقوع هذا النوع من التحريف...

١ - (الآية الحادية والثلاثون من الإصحاح السادس والثلاثين من سفر الخليقة هكذا: (وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبلما ملك، ملك بني اسرائيل) ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى - عليه السلام - لأنها تدل على أن المتكلم بها موجود بعد زمان قامت فيه سلطنة بني اسرائيل، وأول ملوكهم شاول، وكان بعد موسى عليه السلام - بثلاثمائة وست وخمسين سنة، قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره ذيل هذه الآية: (غالب ظني أن موسى - عليه السلام - ما كتب هذه الآية والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين بل هذه الآيات هي آيات الإصحاح الأول من السفر الأول من سفر أخبار الأيام، وأظن ظناً قوياً قريباً من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه) فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسع، وعلى اعترافه يلزم أن أسفارهم كانت صالحة للتحريف لأن هذه الآيات التسع، مع عدم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ)[1].

٢ - (الآية الثالثة من الإصحاح الحادي والعشرين من سفر العدد هكذا (فسمع الله دعاء آل اسرائيل وسلم في أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافي وسمي ذلك الموضع حرمة) قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره في الصفحة ٦٩٧: (أني أعلم أن هذه الآية ألحقت

(١) أنظر إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي الشاهد الثاني ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٠، أنظر النص في الكتاب المقدس لأن الطبعة القطرية مدخلة تحسينات على ترجمة النص لم أنقلها واعتمدت على النص الأصلي في الكتاب المقدس، ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبنودة ص ٢٧٠

بعـد موت يشـوع ـ عليه السـلام ـ لأن جميع الكنعـانيين لم يهلكوا إلى عهد موسى بل بعد موته)[1].

ودلل كذلك سنبوذا على ورود مثل هذا التحريف في التوراة بأدلة كثيـرة منها.

٣ ـ (يـذكـر هــذا النص من التكـوين (١٢ : ١) وفيــه يقص الـراوي رحلة ابراهيم في بلاد الكنعانيين ويضيف (والكنعانيون (والكنعاني) حينئذ في الأرض، وهـذا يدل بـوضوح على أن الأمـر لم يعد كـذلك عنـدما كـان يكتب، فلا بد أن هذه الكلمات قـد كتبت بعد مـوت موسى، وبعـد أن طرد الكنعانيـون ولم يعودوا يشغلون هـذه المناطق ويشيـر ابن عزرا إلى هذا المعني بوضوح في شرحه لهذا النص نفسه فيقول: (وكان الكنعاني حينئذ في هذه الأرض قد يعني هذا أن كنعان حفيد نـوح، استولى على هذه الأرض التي كان يحتلها من قبل شخص آخـر، فإن لم يكن الأمـر كذلك، فهناك سر على من يعرفه ألا يبوح به) أي إنه إذا كان كنعـان قد استولى على هذه البقعة من الأرض، ويكون الراوي قد أراد أن يبين أن الوضع لم يكن كذلك من قبل عندمـا كانت أمـة أخرى تقـطنها، أمـا لو كان كنعان أول من فلح هـذه البقاع (كمـا يتضح من الإصحـاح، ١ من التكوين) لكان قصد الراوي أن الوضع لم يعد كذلك وقتما كان يكتب، وإذن فـالراوي لم يكن مـوسى لأن الكنعانيين في زمـان موسى كـانوا لا يـزالون يملكـون هذه الأرض، وهـذا هو السـر الذي يـوصي ابن عـزرا بكتمانه)[2].

٤ ـ ويقول أيضاً (جاء في التكوين (٢٢ : ١٤) أن جبل موريا سمي جبل الله ولم يحمل هذا الاسم إلا بعـد الشروع في بنـاء المعبد، وهـذا الإختيار متأخر عن موسى في الزمـان، والواقـع أن موسى لا يشيـر إلى أي مكان

(١) أنظر إظهار الحق الشاهد الثامن ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) أنظر الرسالة في اللاهوت والسياسة لسبنوده ص ٢٦٧ ـ وإظهار الحق الشـاهد الثـاني عشر ج ١ ص ٣٧٨.

اختاره الله بل أنه تنبأ بأن الله سيختار بعد ذلك مكاناً سيطلق عليه اسم الله)[1].

ثالثاً ـ التحريف بالنقصان:

وهذا يكون بإسقاط أو إبعاد لفظ أو عدة ألفاظ كانت في الكتاب أصلاً ثم أبعدت وأسقطت منه.

وقد أورد الشيخ رحمة الله الهندي أمثلة على هذا الضرب من التحريف أذكر منها ما يلي:

١ ـ (الآية الثامنة من الإصحاح الرابع من سفر التكوين هكذا (وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله) وفي النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة هكذا: (وقال قايين لهابيل أخيه تعالى نخرج إلى الحقل، ولما صارا في الحقل) إلى آخرها، فهذه العبارة (تعال نخرج إلى الحقل) سقطت من العبرانية، قال هورن في الحاشية في الصحفة ١٩٣ من المجلد الثاني من تفسيره (توجد هذه العبارة في النسخة السامرية واليونانية والأرامية، وكذا في النسخة اللاتينية التي طبعت في (باني كلات والتن) وحكم كنى كات بإدخالها في النسخة العبرانية ولا شبهة في أنها عبارة حسنة) انتهى ثم قال في الصفحة ٣٣٨ من المجلد المذكور: (قد تكون عبارة الترجمة اليونانية صحيحة لم توجد في نسخ العبرانية المروجة الآن، مثلاً نسخ العبرانية مكتوبة كانت أو مطبوعة ناقصة في الآية المذكورة نقصاناً مبيناً، ومترجم الترجمة الإنكليزية التي هي مختومة لما لم يفهم ههنا حق الفهم ترجم هكذا ـ تكلم قايين مع هابيل أخيه ـ وجبر هذا النقصان في الترجمة اليونانية، وتوافق هذه الترجمة النسخة السامرية والترجمة

(١) أنظر رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ إظهار الحق الشاهد الخامس ج ١ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ومن أراد المزيد من هذه الأدلة فليطالع إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ورسالة في اللاهوت والسياسة ومحنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصيف وغيرها من الكتب التي تناولت هذا الموضوع.

اللاتينية والآرامية وترجمة ايكوئيلا والتفسيران اللذان باللغة الجالدية والفقرة التي نقلها فيلون اليهودي) وقال (آدم كلارك) في الصفحة ٦٣ من المجلد الأول من تفسيره مثل ما قال هورن، وأدخلت هذه العبارة في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٣١ م وسنة ١٨٤٨ م)(١).

٢ - (في الآية الثانية والعشرين من الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين في النسخة العبرانية هكذا: (وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب، واضطجع مع بلهه سرية أبيه، وسمع إسرائيل) قال جامعوا تفسير (هنري) (واسكات): (اليهود يسلمون أن شيئاً سقط من هذه الآية والترجمة اليونانية تتمها هكذا (وكان قبيحاً في نظره) فاليهود ههنا أيضاً معترفون بالسقوط، فسقوط الجملة من النسخة العبرانية ليس بمستبعد عند أهل الكتاب، فضلاً عن سقوط حرف أو حرفين)(٢).

٣ - (قال (هارسلي) المفسر في الصفحة ٨٢ من المجلد الأول من تفسيره ذيل الآية الخامسة من الإصحاح الرابع والأربعين من سفر التكوين: تزاد في أول هذه الآية من الترجمة اليونية هذه الجملة (لم سرقتم صواعي) فهذه على اعترافه ساقطة من العبرانية)(٣).

٤ - (في الآية العشرون من الإصحاح السادس من سفر الخروج هكذا (فولدت له هارون وموسى) وفي النسخة السامرية والترجمة اليونانية هكذا (فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما)، فلفظ (مريم أختهما) سقط من العبرانية، قال (أدم كلارك) بعد نقل عبارة النسخة السامرية

(١) أنظر إظهار الحق الشاهد الثاني ج ١ ص ٤١٥.

(٢) أنظر المرجع السابق الشاهد الرابع ج ١ ص ٤١٥ - ٤١٦، غير أن الناقل في الطبعة القطرية نقل الفقرة بحذف وتغير بعض الألفاظ في النص فاعتمدت على الكتاب المقدس والطبعة التي حققها الدكتور أحمد حجازي السقا ص ٢٤٦ في نقل النص.

(٣) أنظر المرجع السابق الشاهد الخامس ج ١ ص ٤١٦.

واليونانية: (ظن البعض من أجله المحققين أن اللفظ كان في المتن العبري)[1].

النوع الثاني: التحريف المعنوي:

وهذا يكون بتأويل الكلمات والألفاظ تأويلاً فاسداً بحيث يصرفها عن معناه الذي وضعت له، وهذا النوع من التحريف واقع في التوراة لا محالة وأكبر دليل على هذا ما ذكره الإمام ابن القيم[2]، إذ يقول (إن التوراة حرمت عليهم أكل الطريفا، والطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب، أو غيرهما من السباع، وهو الذي عبر عنه القرآن بقوله: **﴿وما أكل السبع﴾**[3] والدليل على ذلك أنه قال في التوراة (ولحما في الصحراء فريسة لا تأكلوه وللكلب القوة).

واصل لفظ (طريفا) طوارف، وقد جاءت هذه اللفظة في التوراة في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ، لما جاء أخوته على قميصه بدم كذب، وزعموا أن الذئب افترسه، وقال في التوراة (ولحما في الصحراء فريسة لا تأكلوه) والفريسة إنما توجد غالباً في الصحراء... قالوا: ومعنى نص التوراة (ولحما فريسة في الصحراء لا تأكلوه وللكلب القوة) أي أنكم إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها[4]، بل تبيعونها على من ليس من أهل ملتكم وفسروا قوله (للكلب القوة) أي لمن ليس من أهل ملتكم فأطعموه وبيعوه وهم أحق بهذا اللقب وأشبه الناس بالكلاب).

تلك بعض النماذج والأمثلة لمختلف أنواع التحريف، قصدت بها

(١) أنظر المرجع السابق الشاهد الثامن ج ١ ص ٤١٧، ومن أراد المزيد من هذه النماذج فليطالعها في كتاب إظهار الحق هناك...

(٢) أنظر كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٢ تحقيق محمد حامد الفقي ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م، طبع مطبعة البابي الحلبي ـ نشر دار الفكر.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) هم قد جعلوا شروطاً للذبيحة خاصة برئة الذبيحة وكيف ينبغي أن تكون فإن لم تكن كذلك اعتبرت نجسة وحرم عليهم أكلها على حد زعمهم...

توضيح تلك الأنـواع ومن هذه الجهـة هي بمثابـة التعريف والشـرح للتحريف بكل صورة. (وفي الفصل التالي أدلة التحريف وشواهده) مزيد بسط وتفصيل من هذه الأمثلة ولكن من جهة أخرى وهي دلالتها على وقوع التحريف.

الفصلُ الرابع

أدلّة التحريف وشواهِده

إن الأدلـة والشـواهـد على وقـوع التحـريف في التـوراة أعــظم من أن تحصى فهي تُعِيّ محصيها لكثرتها الكاثرة، لذلـك فإنني أكتفي بـإيراد نمـاذج لهذه الأدلة والشواهد ولكي أكون أكثر دقة، فقد جعلت طريقة الاستـدلال من ناحيتين:

أولاً ـ من الناحية التاريخية.

ثانياً ـ من الناحية الموضوعية.

هذا ولسوف أتعرض لهاتين الناحيتين بشيء من التفصيل إن شاء الله.

أولاً ـ إثبات التحريف من الناحية التاريخية:

لكي يتضح لنا مقدار التحريف من هذه الناحية لا بد لنا من الرجوع:

١ ـ إلى تـدوين التوراة كمـا سبق ذكـره في فصـل سـابق إذ أن أول تـدوين لأسفار التوراة كان في القرن التـاسع قبـل الميلاد، أي بعـد قرابـة أربع قرون من عصر سيدنا مـوسى ـ عليه السـلام ـ والذي يقـع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشـر أو الثالث عشـر قبل الميـلاد، كما ظهـر ذلك للباحثين المحدثين[1] من خلال ملاحـظة اللغات والأسـاليب التي كتبت بهـا هذه الأسفـار ولا شـك أن طـول الفتـرة الـزمنيـة بين نـزول التـوراة وتدوينها مظنة أكيدة لوقوع التحريف في النصوص نتيجة لتعاقب الأجيال واختلافها وفناء الجيل الذي نزلت التوراة بين ظهرانيهم.

(١) راجع الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد الوافي ص ١٦.

٢ - قصر سيدنا موسى للتوراة على أئمة بني لاوي بدفعها اليهم وحجبها عن عامة بني اسرائيل وعدم تعريفهم منها إلا نصف سورة فقط[١]، فهذا الجهل العام منهم بها وقصرها على فئة وطائفة معينة مظنة أخرى لوقوع التحريف فيها إذ أن السرية والخفاء تغري النفوس الضعيفة بالتغيير والتبديل دونما رقيب أو وازع يردعها. . .

٣ - إن الملاحظ لأسفار العهد القديم يرى أنها لم تدون في زمن واحد وإنما كان تدوينها على فترات زمنية تقترب أحياناً وتبتعد أحياناً أخرى، فمعظم سفري التكوين والخروج على سبيل المثال قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وسفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وسفرا العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد السبي البابلي سنة ٥٨٧[٢]، ولم تتخذ الأسفار الخمسة صورتها النهائية إلا حوالي القرن الثالث قبل الميلاد[٣].

٤ - إن الناظر في هذه الأسفار يرى صور التناقض والتضارب في الأخبار والتواريخ والأحكام ظاهرة العيان وذلك لانعكاس الأحداث التاريخية على نصوصها يقول صاحب محنة التوراة (وقد اختبر العلماء المحدثون أسفار العهد القديم فلاحظوا فيها ازدواجاً في سرد القصص وفي الإدلاء بالأحكام التشريعية، فإن الكثير من محتوياتها قد سبق مرتين متجاورتين مما ينم على سرف في استخدام الوحي لتبليغ الرسائل اللدُنيه ولاحظوا كذلك أن المتن العبري يطلق على الله حينا لفظ (الوهيم) أي الآلهة بصيغة الجمع وحينا لفظ (يهوّه) وتبينوا أنهم لو ضموا الفقرات التي تستعمل أحد هذين اللفظين بعضها إلى بعض لاستوت منها قصة كاملة، فاستنبطوا من ذلك أنه كانت هناك صورتان متباينتان لأسفار العهد القديم تمتاز كل منهما بمميزات خاصة في اللغة والأسلوب

(١) راجع بذل المجهود في إفحام اليهود للسموْال بن يحيى بن عباس المغربي ص ٤٣ - ٤٤ تقديم محمد أحمد الشامي، مطبعة الفجالة نشر مكتبة الجهاد الكبري القاهرة.

(٢) أنظر الأسفر المقدسة د. علي عبد الواحد الوافي ص ١٦.

(٣) أنظر اليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٦٢.

ورجحوا أن الصورة اليهوية كتبت باديء بدء في يهوذا في القرن التاسع قبل الميلاد وأن الصورة الأخرى كتبت بعد ذلك بقرون في إفرايم[1]، ثم مزجت الصورتان إحداهما بالأخرى بعد سقوط السامرة، ويبدو أن هذا التلفيق تم في غير حذق، ولهذا فإنا كثيراً ما نعثر على جملة متبوعة بأخرى تناقضها في غير ذكاء أو تكررها في غير عناء، فمن ذلك أننا نجد في قصة الخلق أن الله برأ آدم وحواء معاً في اليوم السادس بعدما برأ سائر ضروب الحيوان.

(فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا وكان مساء وكان صباحاً يوماً سادساً). (التكوين ١: ٢٥ - ٣١) ثم لا نلبث أن نجد رواية ثانية تقول أن الله بدأ فخلق آدم وحده في مكان ما من الأرض ثم نقله إلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار وانصرف عنه بعض الوقت حتى إذا ما أتم خلق مختلف الحيوانات اقتضت مشيئته أن يخلق حواء (وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حيوة، فصار آدم نفساً حية، وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، **وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة** وأحضرها إلى آدم) (تكوين ٢: ٧ - ٢٢)[2].

٥ - هذا وقد كان للفكر البابلي أثر كبير على الفكر اليهودي كما ذكر ذلك العقاد إذ يقول: (فقصة الخليقة في العقائد الاسرائيلية الأولي تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل وعقيدة (المخلص) المنتظر موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة الإسرائيلية وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت وطمح الى خلود كخلود الأرباب فبحث عن ثمرة البقاء في السماء وخدعه إله ماكر عن بغيته فناوله بديلاً

(١) نسبة إلى قبيلة افرايم التي يرجع نسبها على ما يبدو الى افرايم ابن يوسف عليه السلام والتي كانت تسكن بنابلس.

(٢) أنظر محنة التوراة على أيدي اليهود لعصام الدين حفني ناصيف ص ٥٠ - ٥٤.

منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ولكنها ثمرة الفناء)[1]، فهذا دلالة على أن التراث البابلي هو مصدر سفر الخليقة في مجمله.

ويقول عنه الشيخ العطار: (وأول وصف لسفر التكوين أنه نسيج الأساطير الوثنية والشرك ولا يفضل الديانات الوثنية في شيء لأن سفر التكوين أقرب نسباً إلى تلك الديانات التي تتنفس هي وسفر التكوين في جو اسطوري واحد، ونحن وغيرنا نعرف أن بدء الخليقة صفحة بيضاء لم يستطع أحد من الخلق أن يدون فيها أي سطر أو كلمة لأن التدوين والقلم لم يكونا معروفين فإذا أتانا وحي صحيح تلقيناه بالقبول والتبجلة والتصديق... ثم يقول ونتلقي سفر التكوين كما نتلقى الأساطير ولا نعطيه إلا ما نعطيها فهو قد كتب في عصر جدٍّ متأخر عن بدء الخليقة كما أثبت العلماء الغربيون من يهود ونصارى ومن غيرهم من المسلمين)[2].

٦ - ويرى ول ديورانت[3] أن اله بني اسرائيل ياهو أو يهوه هو إله من ضمن آلهة الكنعانيين التي كانوا يعبدونها ثم لما فتح اليهود بلادهم اتخذوه إلهاً لهم فيقول (يبدو أن اليهود الفاتحين عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا عليها وجعلوا منه الهاً صارماً ـ ويؤيد ذلك أن ـ من بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ م قطعاً من الخزف بقايا عصر البرنز (٣٠٠٠ ق.م) عليها اسم إله كنعاني يسمى (ياه أو ياهو).

وهنا يظهر أثر الفكر الكنعاني على الفكر اليهودي فأصل ومصدر فكرة الإله يهوه هو التراث الكنعاني وليس الوحي التوراتي.

٧ - تدوين بعض الأجزاء اليسيرة من الأسفار المقدسة في الأصل العبري باللغة الآرامية وهذه اللغة متأخرة لم تكن معروفة ولا متداولة على عهد

(١) أنظر كتاب الله لعباس محمود العقاد ص ١١٤.
(٢) نقلاً عن كتاب الكتب المقدسة للشيخ أحمد عبد الغفور عطار ص ٢٢٣ وهو لم يزل مخطوط لم يطبع بعد.
(٣) أنظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٠ والهامش المنقول عن نيورك تايمز ١٩٣١/٥/٣ م.

نزول التوراة. وهذه الأجزاء متناثرة بين سفري عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرميا وكلمتان اثنتان في سفر التكوين ويرجع تاريخ ما دون بهذه اللغة الى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وسنوات لاحقة لهذا التاريخ[١].

٨ ـ كذلك ما تعرض له بنو اسرائيل من غارات وحروب كان له أثر واضح على تحريف العهد القديم في فترات تاريخهم، فقد أغار عليهم بختنصر ثم صاحب مصر[٢] يقول ابن حزم[٣] (انقطع أمرهم جملة بغارة بختنصر وسبوا كلهم وهُدم البيت واستأصل أثره إلى غاراة كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذي لم يكن التوراة عند أحد إلا فيه لم يترك فيها شيء مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رحبعام بن سليمان ومرتين في أيام أمصيا الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط إلى أن أملَّها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه وهذا يكفي وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلاً ولا القبه ولا التابوت.. ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهوراً ضعيفاً أيضاً لم تزل تتداولها الأيدي مع ذلك إلى أن جعل أنطاكيوس[٤] الملك الذي بنى أنطاكية وثنا للعبادة في بيت المقدس وأخذ بني إسرائيل بعبادته وقربت الخنازير على مذبح البيت ثم تولى أمرهم قوم من بني هارون بعد مئتين من السنين وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم).

(١) مقتبس من كتاب الأسفار المقدسة للوافي ص ١٧.

(٢) هو شيشنق أحد فراعنة مصر وتسميه التوراة شيشق وقد غزا أورشليم ونهب وسلب ما كان في الهيكل من كنوز وتحف سنة ٩٢٠ ق.م.

(٣) أنظر كتابه الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٤) هو انطاكيوس أو انتيوكس الرابع ملك السلوقيين الذي دخل أورشليم سنة ١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م وعاث فيها فساداً ونقل ما في الهيكل إلى أنطاكيا وأجبر اليهود على عبادة الإله الإغريقي (زفس) وتقديم القرابين له بدل إلههم يهوه.

ولا شك في أن هذه الغارات المتتالية كان أثرها واضحاً فيما اكتنفها من اختفاء وضياع قبل تدوين عزرا المجهول والغير معروف العدالة فضلاً عن العصمة لها وبعد تدوينه أيضاً.

٩ - أيضاً ارتداد بني إسرائيل عن دينهم فقد شهد تاريخهم فترات عديدة ومتطاولة ارتدوا فيها عن عقيدة التوحيد الى الوثنية بصور مختلفة وإبتعدوا بذلك عن كتابهم عقيدة وشريعة الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى إهمال نصوصهم المقدسة وبالتالي تعرضها للتحريف بل إنهم في بعض هذه الفترات عمدوا بأنفسهم تبريراً لسلوكهم وانحرافهم إلى تغير كتابهم وتحريفه.

هذا وقد تناول الإمام ابن حزم تاريخ حكام وملوك بني اسرائيل ومدى علاقتهم بدينهم وبتوراتهم من بعد سيدنا موسى عليه السلام حتى اندثار ملكهم وتشتتهم في البلاد وبين العباد، غير أنه جعله على فترتين، الأولى منذ تولية يوشع عقب موت سيدنا موسى عليه السلام - الى موت سيدنا سليمان - عليه السلام - والثانية من عهد رحبعام ابن سليمان وحتى ضياع ملك بني إسرائيل وتشتتهم.

فبالنسبة للفترة الأولى ذكر أسماء الحكام ومقدار الفترة الزمنية التي تولوا فيها الحكم وقد أحصى النكسات التي ارتد فيها بنو اسرائيل عن التوحيد إثر موت سيدنا موسى عليه السلام - إلى ولاية أول ملك لهم شاؤل فوجدها سبع ردات يقول ابن حزم[1] (فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى - عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاؤل المذكور سبع رِدَّات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا بعبادة الأصنام فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام والثانية ثمانية عشر عاماً والثالثة عشرين عاماً والرابعة سبعة أعوام والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر والسادسة ثمانية عشر عاماً والسابعة أربعين عاماً).

ثم يتحدث الإمام ابن حزم[2] عن أثر هذا الإرتداد والإنحراف عن

(١) راجع الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ١ ص ١٨٩.
(٢) أنظر المصدر السابق ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠.

عقيدة التوحيد في هذه الفترات التاريخية في وقوع التحريف في التوراة، فيقول: (فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم).

وقد ولى أمر بني اسرائيل بعد مقتل شاؤل سيدنا داود ـ عليه السلام ـ ومن ثم ابنه سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وهو الذي بنى الهيكل في بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة والقربان والتوراة والتابوت وسكينة بني هارون، وقد افترق أمر بني اسرائيل بعده (فصار بنو يهوذ وبنو بنيامين لبني سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ في بيت المقدس وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس وبقوا كذلك إلى ابتداء ادبار أمرهم)[1].

أما الفترة الثانية والتي كانت أثر موت سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وتولى ابنه رحبعام سنة ٩٣٥ ق.م إلى الأسر البابلي سنة ٥٨٦ ق.م فهذه تأرجحوا فيها بين الكفر والإيمان، إلا أن الكفر كان الأغلب إذ أن منهم من بلغت به الجراءة على أخذ التوراة من الكاهن الهاروني ونشر أسماء الله منها وإظهار الكفر البواح وبناء المعابد والبيع للأصنام واستقدام السدنة لها يقول ابن حزم[٢]: (فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بني اسرائيل حاشا سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان ـ عليه السلام ـ مدة مائتي عام وواحد وسبعين عاماً لم يظهر فيهم قط إيمان ولا يوماً واحداً فما فوقه وإنما كانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبي إلا مخافاً ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم وهم عشرون ملكاً... إلى أن أُوجلوا ودخلوا في الأمم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين وانقطع رسم رميمهم إلى الأبد فلا يعرف منهم عين أحد وظهر يقيناً أن بني يهوذا

(١) أنظر المصدر السابق ص ١٩٠.
(٢) أنظر كتابه الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان ـ عليه السلام ـ أربعمائة سنة. . . ملك هذين السبطين في هذه المدة من بني سليمان ابن داود ـ عليهما السلام ـ تسعة عشر رجلاً ومن غيرهم إمرأة تموابها عشرين ملكاً. . . كانوا كفاراً معلنين بعبادة الأوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولا مزيد). ثم بعد أن ذكر هؤلاء الخمسة قال: (ثم اتصل الكفر ظاهراً وعبادة الأوثان في ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عاماً مع كفر سائر أسباطهم فعمهم الكفر وعبادة الأوثان في أولهم وآخرهم فأي كتاب أو أي دين يبقى مع هذا. . . ثم يقول بعد ذلك عن ملوكهم ـ منهم من نشر أسماء الله في التوراة ومنهم من أحرقها وقطع أثرها ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم إيمان إلا الكفر وقتل الأنبياء ـ عليهم السلام)[١].

١٠ ـ أحداث علمائهم وأحبارهم ديناً جديداً لم ينزل الله به من سلطان يقول ابن حزم[٢] (وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلاً من القرابين وعملوا لهم ديناً جديداً ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية بخلاف حالهم طول دولتهم وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة عام وأحدثوا لهم اجتماعاً في كل سبت على ما هم عليه اليوم بخلاف ما كانوا طول دولتهم فإنه لم يكن لهم في شيء من بلادهم بيت عبادة ولا مجمع ذكر وتعلم ولا مكان قربان قربة البتة إلا بيت المقدس وحده وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط وبرهان هذا أن في سفر يوشع بن نون بإقرارهم أن بني رأوبين وبني جاد ونصف سبط منسي إذ رجعوا بعد فتح بلاد الأردن وفلسطين إلى بلادهم بشرق الأردن بنوا مذبحاً فهَّم يوشع بن نون وسائر بني إسرائيل بغزوهم من أجل ذلك حتى أرسلوا إليه أننا لم نقمه لا لقربان ولا لتقديس أصلاً ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجتمع عليه الذي في السرادق وبيت الله فحينئذ كف عنهم ففي دون هذا كفاية لمن عقل في أنها كتاب مبدل

(١) أنظر المصدر السابق ج ١ ص ١٩٦.

(٢) أنظر المصدر السابق ج ١ ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

مكذوب موضوع ودين معمول خلاف الذين الذي يقرون أن موسى ـ عليه السلام ـ أتاهم به).

ثانياً: اثبات التحريف من الناحية الموضوعية:

سوف نطالع في هذه الناحية صنوف التحريف التي ألمت بالتوراة في مجال العقيدة والشريعة والقصص والعلم[1].

أولاً: في مجال العقيدة:

إن الرسالات السماوية جميعها جاءت لتدعو إلى الاعتقاد باله واحد وهو الله تعالى وأن له من صفات الكمال ما لا يمكن أن يماثله فيه شيء لأنه له فيها الكمال المطلق وبما أن التوراة كتاب سماوي فلا بد من ورود هذه العقيدة فيه كما ذكر القرآن الكريم، وقد فصل هذا في الحديث عن التوراة المنزلة[2] غير أن الأمر لم يبق على ما هو عليه لما لحق بالتوراة من عبث وتحريف فصورة الإله التي تطالعنا بها التوراة التي بأيديهم في الحقيقة ليست إلا انعكاساً لصورة النفسية اليهودية من حيث اختصاص هذا الإله بهم دون غيرهم، فكون هذا الإله مختصاً ببني إسرائيل وحدهم دون العالم يظهر العنصرية اليهودية والأنانية التي عُرفت عن الأخلاق اليهودية خلال تاريخهم الطويل، فهم قد اعتبروا هذا الإختصاص مفخرة وعزة لهم غير أنه في حقيقة الأمر حوى كل تصغير وامتهان لهم ولهذا الإله لأنه إذا كان فقط إله بني اسرائيل فمعنى هذا أن هنالك آلهة أخرى قد خلقت مثلما خلق بل ربما تكون قد تفوقت في هذه الصنعة عليه فليس له أدنى مفخرة أو فضل لأنه قد سبق إلى هذا الأمر.

(١) لقد تعمدت في هذا المبحث أن أتعامل مع الكتاب المقدس بشكل مباشر دون اللجوء إلى الكتب التي تناولت الكتاب المقدس بالنقد إلا عند الضرورة وذلك لأدلو بدلوي في هذا المضمار ولا أكون ناقلة عن الغير فيه.

(٢) راجع الباب الأول الفصل الثالث ص ٥٩.

وإذا كانت الأنانية والعنصرية اليهودية تبدو في دعواهم اختصاص الإله بهم فإنها تبدو بتعبير صريح في دعواهم أنهم الشعب المختار الذي اختصه الله بمحبته دون غيرهم من الشعوب.

ففي الإصحاح السابع في سفر التثنية الفقرة ٦ : ٨ ورد فيه ما يلي: (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض وليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم).

ففي هذا النص دلالة على ما زعموه من أنهم شعب الله المختار المميز بمحبة الله له. وقد رد الله عليهم هذه الفرية في القرآن الكريم، إذ يقول جل شأنه:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

يروي القرطبي[2] في تفسيره لهذه الآية عن ابن عباس أنه قال خوّف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود العقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحباؤه فنزلت الآية. ويلزمهم من هذه الآية سؤال وهو هل يعذبهم الله بذنوبهم أو لا يعذبهم؟ فإن قالوا بالعذاب فقد أنكروا نسبة البنوة إلى الله ومحبته لهم لأن الحبيب لا يعذب حبيبه وإن انكروه ظهر كذبهم لأن كتبهم تشير إلى تعذيب للعاصين منهم. وكذبهم كذلك تاريخهم والويلات التي مروا بها[3].

ولفظة ابن الله هنا قصدوا بها حبيب الله.

(١) سورة المائدة آية ١٨.
(٢) أنظر تفسيره الجامع لأحكام القرآن المجلد الثالث ج ٦ ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٣) أنظر تفسير المنار ج ٦ ص ٣١٥.

فإذن يتضح لنا من رد القرآن عليهم بطلان دعوى اليهود التميز العنصري وأنهم شعب الله المختار. وإن ذلك من تحريفاتهم في مجال الاعتقاد.

(صفات الإله في التوراة المحرفة)

وأيضاً من صفات النفسية اليهودية التي أصفتها التوراة المحرفة على المولى جل شأنه المماثلة والمشابهة للبشر سواء في الذات أو في الصفات، فقد ورد في سفر التكوين في الإصحاح الأول (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)[1] وفي الإصحاح الخامس من نفس السفر (هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكراً وأنثى)[2].

فإذن صورة الإله كما يتضح من هذه النصوص مماثلة ومشابهة لصورة الإنسان ولسوف يتبين لنا مصداقية هذا الأمر في بقية صفات هذا الإله.

هذا وقد نزه المولى جل شأنه نفسه عما ألصقه به المشبهه من اليهود وغيرهم، فقال عز من قائل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

ومن الصفات التي أضفتها التوراة المحرفة على الإله الوهن والضعف لحلول التعب والنصب عليه من جراء خلقه للسموات والأرض، فقد ورد في سفر التكوين ما نصه (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً)[4].

وقد رد الله عليهم هذه الفرية العظيمة في كتابه العظيم، فقال جل شأنه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[5].

(١) فقرة ٢٦.

(٢) فقرة ١.

(٣) سورة الشورى آية ١١.

(٤) الإصحاح الثاني فقرة ١ : ٤.

(٥) سورة ق آية ٣٨.

ومن صفات هذا الإله أنه يجوع ويعطش ويحل عليه التعب بالإضافة إلى ما سبق ذكره ـ ويكون بهذا محتاجاً إلى الغير، فهو محتاج إلى طعام يقيم أوده وإلى استرخاء يعيد إليه نشاطه وحيويته فقد ورد في كتاب الأسفار المقدسة ما نصه (ما يرويه سفر التكوين في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي (سدوم وعمورة) إذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته وأن إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلاً من وعثاء سفرهم وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم وفطائر وعجلاً حنيذا لطعامهم فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة وأخذوا يأكلون مما قدم إليهم، وإبراهيم جالس على مقربة منهم ثم تفقد الإله زوجه ساره وسأله عنها، وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما في هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاماً زكياً، ثم اشتبك معه إبراهيم في نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بُغية أن يثنيه عن ذلك لأن بعض أهلها أتقياء ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء)(1).

وقد رد القرآن الكريم هذه الفرية العظيمة على المولى جل وعلا فأوضح أن الذين قدموا على سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ما هم إلا ملائكة مكرمون أتوه في صورة آدميين لذلك التبس عليه الأمر وقدم لهم الطعام إلا أنهم لم يقربوا الطعام ويتناولوه لذلك تخوف منهم:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾(2).

(1) أنظر الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد الوافي ص ٢٥، الشعب الملعون في القرآن للدكتور محمود بن الشريف (الطبعة الثانية ١٩٨٢ م) الناشر والطابع دار ومكتبة الهلال بيروت، سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر.

(2) أنظر الأسفار المقدسة ص ٢٥ ـ ٢٦، والآيات في سورة هود من آية ٦٩ ـ ٧٠ إلى آية ٧٦.

وقد حوت قصة خروج آدم وحواء من الجنة في سفر التكوين الكثير من الإفتراءات والترهات التي ما أنـزل الله بها من سلطان ولسـوف أتناولهـا بشيء من التفصيل إن شاء الله.

ورد في سفـر التكوين مـا يأتي (وسمعـا صوت الـرب الإله **مـاشيـاً** في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأتـه من وجه الـرب الإله في وسط شجرة الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت، فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال من أعلمك أنك عريان هـل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعـطتني من الشجرة فـأكلت، فقـال الـرب الإلـه للمـرأة مـا هـذا الـذي **فعلت؟، فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت، فقال الـرب الإله للحيـة لأنك فعلت** هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. . . إلخ)[1].

يـظهر لنـا من خلال هـذا النص عـدة صفـات لهـذا الإلـه على رأسهـا **الجسميـة والتحيز فـمادام أنه يمشي في الجنـة لا بـد أن يكـون بـالتـالي متحيـزاً قـد** حوته أرجاء الجنة ثم هو جهول لا يعلم بالحدث إلا بعد وقوعه.

إذن هو إله غير عالم للغيب وبالتالي فعلمـه محصور ومحـدود ولا يعلم بحسن الفعـل وقبحه إلا بعـد تمـامـه، والـدليـل على ذلـك مـا ورد في سفـر التكـوين: (فعمل الله النـورين العظيمين، النـور الأكبـر لحكم النهـار والنـور الأصغـر لحكم الليل والنجـوم وجعلها الله في جلد السمـاء لتنير على الأرض ولتحكم على النهـار والليل ولتفصـل بين النور والـظلمة، ورأى الله ذلـك أنـه حسن)[2] وعبـارة (ورأى الله ذلك أنـه حسن) وردت عدة مـرات في الإصحاح الأول من سفر التكوين (ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً)[3].

وأيضاً من صفات هذا الإله الكذب لأنه كذب على آدم وحواء ومنعهمـا من أكل شجرة المعرفة (معرفة الخير والشر) بحجة أن هذه الشجـرة قاتله لمن

(١) الإصحاح الثالث ٨: ١٤

(٢) الإصحاح الأول فقرة ٦: ١٨.

(٣) الإصحاح الأول فقرة ٣١.

يـأكلها حتى لا يشـاركاه في صفـة المعـرفـة، فقـد ورد في سفـر التكـوين مـا نصه. . (وكانت الحية أحيل جميع حيوانـات البريـة التي عملها الـرب الإله، فقـالت للمرأة: أحقـاً قال الله لا تـأكلا من كـل شجر الجنـة، فقـالت المـرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنـة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة: لن تمـوتاه بـل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر)[1].

وأيضـاً هذا الإلـه عاجـز عن تحقيق إرادته القهـريـة في المنـع، إذ أنـه خشي أن يـأكـل آدم وزوجتـه من شجـرة الخلد فيشـاركـاه في صفـة الخلود فطردهما من الجنـة وأقام حـراسة مشـددة في طريق شجـرة الخلد كيلا يصـل إليها آدم وزوجته فقـد ورد في سفر التكـوين: (وقال الـرب هوذا الإنسـان قد صار كواحـد منا[2] عـارفا الخيـر والشر والآن لعله يمـد يده ويـأخذ من شجـرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجـه الرب الإلـه من جنة عـدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الإنسان وأقـام شرقي جنـة عدن الكـروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[3].

وقـد رد القرآن العـظيم على هذه الفـريه فـأوضح أن الـذي أغـوى آدم وزوجته إنما هو الشيطان وليس الحية، وذكر سبب إغـوائه لهمـا وأن وسوستـه كانت لهما معاً وليست للمرأة فقط بدلالة قوله تعـالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾[4] وإن الله قـد حذرهم منـه وذكر سبب خـروجهم من الجنـة مـع تنـزيـه الله عن الصفات التي ألصقوها به.

يقول تعالى مبيناً مصدر عنصر الغوايـة والمتمثل في الشيـطان والدوافـع التي دفعته إلى ذلك:

(١) الإصحاح الثالث فقرة ١: ٥.

(٢) هذا اللفظ يوحي بتعداد الآلهة.

(٣) الإصحاح الثالث فقـرة ٢٢: ٢٤ وهذا النص يـدل دلالة صـريحة على أن هـذا الإله متقـوم بغيره إذ أن أكله من شجرة الخلد التي ضن بها على آدم وزوجته هو العلة في كونه خالداً.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٠.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾(٤).

ثم أوضح القرآن الكريم كيف أن الله قد حذر آدم وحواء من الشيطان ومن الشجرة **المحرمة فقال:**

(١) سورة الكهف آية ٥٠.

(٢) سورة البقرة آية ٣٤.

(٣) سورة الأعراف آية ١١ : ١٨.

(٤) سورة الإسراءة آية ٦١ : ٦٣.

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(١).

ويقول: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢).

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن
وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾(٣).

(١) سورة البقرة آية ٣٥: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف آية ١٩: ٢٢.

(٣) سورة طه آية: ١١٦: ١٢١.

ثم أوضح بعد ذلك مصير آدم وزوجته بعد عصيانهما وتوبتهما يقول تعالى على لسانهما:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(١).

ويقول تعالى عن آدم: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(٢).

ويقول: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣).

ثم ان المشيئة والإرادة القهرية للمولى جل وعلا لا يستطيع شيء البته أن يعارضها فلا يحتاج على حد زعمهم إلى أن يقيم حراسة مشددة على الشجرة فيستعين بالغير لتنفيذ هذه الإرادة، إنما أمره بين الكاف والنون إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون حتى أن أعظم المخلوقات السموات والأرض قد قامت بهذه الكلمة يقول تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾(٤).

(١) سورة الأعراف من آية ٢٣ : ٢٥.

(٢) سورة طه من آية ١٢٢ : ١٢٣.

(٣) سورة البقرة من آية ٣٧ : ٣٩.

(٤) سورة الروم آية ٢٥.

وهو جل شأنه لا راد لمراده ولا غالب له:

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

والتوراة المحرفة تصم الرب بأنه ناقص الرأي محتاج إلى المشورة، فقد إحتار وسأل الملائكة وهو في طريقه لإهلاك قريتي سدوم وعمورة هل يخبر ابراهيم عما إعتزم فعله أم لا ورد في سفر التكوين (وكان إبراهيم ماشياً معهم ليشيعهم فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله)[3].

في حين أن المولى تنزهت عن النقائص ذاته وصفاته. نزهه القرآن عن هذه النقيصة فحينما أعلم الله ملائكته بأنه سوف يجعل في الأرض خليفة لم يكن ذلك من باب الاستشارة وإنما كان من باب الإعلام بالشيء[4] لذلك كان ردهم يحمل صيغة التعجب من بديع صنعه وحكمته يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

فرد الله على الملائكة فيه دلالة على علمه المحيط واستغنائه عن المشورة فهو كما ذكرت سابقاً لم يخبرهم للمشورة وإنما للإعلام فقط.

والتوراة المحرفة تثبت لله الولد فقد ورد في سفر التكوين (وحدث لما

(١) سورة يوسف آية ٢١.

(٢) سورة يس آية ٨٢.

(٣) الإصحاح الثامن عشر فقرة ١٦ : ١٧.

(٤) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٧٠، تفسير أبي السعود ج ١ ص ٧٩، الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٢٧١.

(٥) سورة البقرة آية ٣٠.

ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأو بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)[١].

وورد في سفر التثنية «الله أمين لا ظلم فيه هو بار مستقيم فسد الذين ولدهم بلا عيب جيل شرير معوج»[٢]، وأوردت الرهبانية اليسوعية في تفسيرها لهذه الفقرة ما يفيد نسبة البنوة إلى الله بشكل حقيقي ومباشر لا مجاز فيه بل أعابت على النص العبري الذي لم يشر صراحة إلى هذه البنوة واعتبرته مشوهاً فقالت «اسرائيل **مولود** من الرب، فهو من أصل صالح، وإذا فسد فالحق عليه . . . ويقولون: نتبع هنا النص اليوناني فالنص العبري مشوه»[٣].

في حين أن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد نزه المولى جل شأنه عن إتخاذ الصاحبة والولد في آيات كثيرة ومناسبات عدة، منها:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[٤] ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[٥]، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦] ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧]

(١) الإصحاح السادس فقرة ١ : ٣.
(٢) الإصحاح الثاني والثلاثون فقرة ٤ : ٥.
(٣) أنظر الكتاب المقدس كتب الشريعة الخمسة هامش ص ٤٠٧.
(٤) سورة البقرة آية ١١٦.
(٥) سورة النساء آية ١٧١.
(٦) سورة الإنعام آية ١٠٠ : ١٠١.
(٧) سورة يونس آية ٦٨.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ (١) ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٢) .

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ (٣) .

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (٤) ، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٥) ، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (٦) .

(١) سورة الإسراء آية ١١١ .
(٢) سورة الكهف آية ١ : ٥ .
(٣) سورة مريم آية ٨٨: ٩٣.
(٤) سورة الأنبياء آية ٢٦ .
(٥) سورة المؤمنون آية ٩١.
(٦) سورة الفرقان آية ١ : ٢ .

يقول ابن كثير[1] في معرض تفسيره لمجمل هذه الآيات ما نصه: «فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير ولا شبيه له وإن جميع الأشياء غيره مخلوقة له مربوبه فكيف يكون له منها ولد؟ - وأورد عن البخاري حديث ابن عباس - عن النبي - ﷺ - قال: (قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله إن لي ولداً فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً).

أما الرازي[2] فإنه احتج على تنزيه الله عز وجل عن الولد بقوله تعالى:

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3].

وذكر عدة وجوه لهذا الإستدلال:

الأول: أن كل ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته وكل ممكن لذاته محدث وكل محدث فهو مخلوق لواجب الوجود والمخلوق لا يكون ولداً.

الثاني: أن هذا الذي أضيف إليه بأنه ولده إما أن يكون قديماً أزلياً أو محدثاً فإن كان أزلياً لم يكن حكمنا بجعل أحدهما ولداً والآخر والداً أولى من العكس، فيكون ذلك الحكم حكماً مجرداً من غير دليل وإن كان الولد حادثاً كان مخلوقاً لذلك القديم وعبداً له فلا يكون ولداً له.

الثالث: أن الولد لا بد وأن يكون من جنس الوالد فلو فرضنا له ولداً لكان مشاركاً له في بعض الوجوه وممتازاً عنه من وجه آخر، وذلك يقتضي كون كل واحد منهما مركباً ومحدثاً وذلك محال فإذاً المجانسة ممتنعة فالولدية ممتنعة.

الرابع: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه في الكبر ورجاء الإنتفاع بمعونته حال عجز الأب عن أمور نفسه فعلى هذا إيجاد الولد إنما يصح على

(١) أنظر كتابة تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٦٠.
(٢) انظر كتابه التفسير الكبير ج ٤ ص ٢٣ - ٢٤.
(٣) سورة البقرة آية ١١٦.

من يصح عليه الفقر والعجز والحاجة فإذا كان كل ذلك محالاً كان إيجاد الولد عليه سبحانه وتعالى محالاً).

وإله التوراة المحرفة خائر القوى لا يستطيع أن يصرع إنساناً فقد ورد في سفر التكوين أن الإله تصارع ليلة مع يعقوب عليه السلام ـ فلم يستطع أن يصرعه بل في نهاية المطاف صرعه يعقوب فتوسل إليه أن يفكه فقد ورد في الإصحاح الثاني والثلاثون من السفر المذكور ما نصه: (فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له ما اسمك؟ فقال: يعقوب، فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك فدعي يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي)[1]، هذا فضلاً عن التشبيه الواضح في النص.

في حين أن القرآن الكريم ينزه المولي عن أن يعتريه أي ضعف أو وهن بل هو مانح القوة لجميع خلقه، يقول تعالى:

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

ويقول: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[3]

ويقول عن قارون حينما طغى وتجبر

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ﴾[4]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

(١) فقرة ٢٤: ٣١.
(٢) سورة البقرة آية ١٦٥.
(٣) سورة هود آية ٥٢.
(٤) سورة القصص آية ٧٨.

﴿ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

والآيات في هذا المجال أجل من أن تحصى.

ومن صفات إله التوراة المحرفة أنه يثور ويفعل أشياء ثم يندم عليها عندما يعود إلى رشده، فقد ورد في كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ما نصه (وتذكر التوراة المحرفة أن الإله قد يغضب ويثور ـ على نحو ما يكون من المخلوقين ـ بل يرتكب كثيراً من الحماقات ولكنه يندم عليها بعد ذلك عندما يعود إلى رشده وقد يعزم الإله في حال غضبه على عمل لا يليق به فيذكره غيره عليه فيرجع عن مراده ويندم على فعله من ذلك ما تتحدث التوراة به فتقول إن الله غضب على بني إسرائيل في التيه وأراد إيذائهم وإفناءهم فقال لموسى[5] [أتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم] ولكن موسى يقول للرب [أرجع عن حمو غضبك وأندم على الشر بشعبك] ويذكر موسى ربه بوعوده السابقة وعهوده لإبراهيم أن يجعل الأرض المقدسة له ولشعبه فيقول له (اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك) وهنا يتذكر الإله عهوده وأيمانه ويرجع عن غضبه تقول التوراة [فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه] وليست هذه المرة الوحيدة التي يندم فيها الرب على فعله، فإن التوراة مليئة بذلك ومنها ما ذكر في سفر (صموئيل الأول)[6]، حيث يقول السفر (وكان كلام الرب الى صموئيل قائلاً ندمت على أني جعلت

(١) سورة الروم آية ٥٤.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٨.

(٣) سورة الأنفال آية ٥٢.

(٤) سورة المجادلة آية ٢١.

(٥) سفر الخروج الاصحاح الثاني والثلاثون فقرة ١٠، ١٢، ١٣، ١٤.

(٦) سفر صموئيل الأول الإصحاح الخامس عشر فقرة ١٠، ١١، ٣٥.

شاول [طالوت] ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي والرب ندم لأنه ملّك [شاول] على اسرائيل)[1].

إن الندم وليد الجهل والقرآن الكريم نزه المولى جل شأنه عن هذه النقيصة وأثبت له العلم المطلق بكل شيء، وفيما يلي جملة من الآيات الدالة على عظيم علم الله وإحاطته بكل شيء وإن كانت في القرآن الكريم لا تعد ولا تحصى يقول تعالى:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[2] ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾[3] ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5]، ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[6]، ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَمَا

(١) للدكتور عوض الله جاد حجازي ص ١٠٨، ١٠٩.
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢٣٥.
(٤) سورة آل عمران آية ٢٩.
(٥) سورة المائدة آية ٩٧.
(٦) سورة التوبة آية ٧٨.

﴿مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1]

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[2] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[4].

ثم إن القرآن الكريم يثبت لله الحلم والرحمة وينفي عنه الحماقة التي تورثها سرعة الغضب، يقول تعالى:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5]، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[6]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[7]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[8]،

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[9]

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ

(١) سورة هود آية ٥: ٦.
(٢) سورة النحل آية ١٩.
(٣) سورة النحل آية ٢٣.
(٤) سورة طه آية ١١٠.
(٥) سورة البقرة آية ٢٢٥.
(٦) سورة البقرة آية ٢٣٥.
(٧) سورة آل عمران آية ١٥٥.
(٨) سورة المائدة آية ١٠١.
(٩) سورة التغابن آية ١٧.

﴿رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[2] ويظهر القرآن مقدار حلم الله على عباده يقول تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[3]. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾[4]

والإله في التوراة المحرفة يأكل ويتلذذ بالطعام فرائحة الضحايا والقرابين المحرقة والدخان المتصاعد منها تلتذ منه نفسه[5] ويرتاح له فقد ورد في سفر اللاويين (**لكي** يأتي بنو إسرائيل بذبائحهم التي يذبحونها على وجه الصحراء ويقدموها للرب إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن ويذبحوها ذبائح سلامة للرب ويرش الكاهن الدم على مذبح الرب لدى باب خيمة الإجتماع ويوقد الشحم لرائحة سرور الرب)[6].

في حين أن القرآن الكريم قد رد على هذه الفرية فقال: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[7].

ب ـ الأنبياء:

أما بالنسبة لموقف التوراة المحرفة من الأنبياء فإنه في الحقيقة موقف

(١) سورة الحج آية ٥٨ ـ ٥٩.
(٢) سورة الأحزاب آية ٥١.
(٣) سورة الكهف آية ٥٨.
(٤) سورة فاطر آية ٤٥.
(٥) مقتبس من كتاب الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد الوافي ص ٢٧ انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام لعوض الله جاد حجازي ص ١٠٧.
(٦) الإصحاح السابع عشر فقرة ٥ : ٧.
(٧) سورة الحج آية ٣٧.

ينـدي لـه الجبين، إذ أنهـا تصـورهم كـذابين مخـادعين زنـاة يـرتكبـون من الفـواحش والآثام مـا تمجه وتشمئـز منه وتبغضـه النفـوس السليمـة، ولسـوف نتطرق إلى هذا الأمر بالتفصيل حينما نتكلم عن القصص في التوراة المحرفـة إن شاء الله . . .

ج ـ عقيدة اليوم الآخر:

أما بالنسبة لعقيدة اليـوم الآخر فلم يكن حـال هذه العقيـدة عند اليهـود خيراً من غيرها لأن الفكر اليهودي فكر مادي بحت لذلك تكاد هـذه العقيدة لا يكون لها وجود في توراتهم المحـرفة لأنهم كمـا أشار الـدكتور شلبي يـرتبون الجـزاء الذي يجعلونـه دنيويـاً على الأعمال ولا قيمـة للإيمـان عندهم (ولمـا كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان فمن الواضح تبعاً لذلك ألا تتكلم عن الآخـرة والبعث والحساب فتلك أمـور تتوقف على العقيـدة ولهذا فقلمـا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكـان الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا، ولـم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعـد أن فقدوا الـرجاء في أن يكـون لهم سلطان في هذه الأرض ـ ثم يقـول ـ على أن اليهود عندما تكلموا عن الآخرة لم يكونوا في أكثر الأحـوال يعنون مـا تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحسـاب على ما قـدم الإنسان في حيـاته الأولى إنما كانوا يعنون بهـا شيئاً آخـر فالشعب اليهـودي عند البـاحثين اليهود قسمان، قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً وهؤلاء يعـدهم الفكر اليهـودي قد حصلوا على الجـانب المادي من رضـا إلههم، أما القسم الآخـر وهم الـذين فقـدوا هـذا الجـانب وعـاشـوا تحت سلطان الجـوييم أو عـاشـوا في المنفى مشردين فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مـرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم، وعلى العموم فإن فكرة البعث لم تجد لها أرضـاً خصبة في عـالم اليهود وقـد حاول بعض طـائفة الفـريسين القول بهـا، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة أما باقي الفرق اليهـودية فلم تعـرف عنها شيئاً[1].

(١) أنظر كتابة اليهودية ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤.

غير أني وجدت إشارة مبهمة إلى هذا الأمر في الترجمة اليسوعية لسفر التثنية[1] عن قرب يوم للجزاء من غير تعيين هل هو جزاء دنيوي أم أخروي؟ ففي خطاب الرب لهم على لسان موسى كما ورد في السفر ما نصه «أيها الشعب الأحمق الخالي من الحكمة. . أحجب وجهي عنهم وأرى ماذا تكون آخرتهم لأنهم جيل متقلب بنون لا أمانة فيهم هم آغاروني .بمن ليس إلهاً واغضبوني بأباطيلهم. . . لأنهم أمة تائهة بمشورتها وليس فيهم فهم ليتهم يعقلون ويفهمون هذا فيتبصرون في عاقبتهم. . . حمة الثعابين خمرهم وسم الأفاعي الأليم إلا أنه محفوظ عندي ومختوم عليه في ذخائري ليوم الإنتقام والثواب حين تعثر أرجلهم لأنه قد اقترب يوم نكبتهم وأسرع ما أعد لهم».

والفقرة الأخيرة من النص تختلف ترجمته في الكتاب المقدس الذي تصدره جمعية الكتاب المقدس عن الترجمة اليسوعية إذ أن النص فيه هكذا: «أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوم عليه في خزائني لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم»[2].

ثانياً ـ في مجال التشريع:

لقد حوت التوراة تنظيماً تشريعياً متكاملاً إذ أنها لم تترك أية ناحية من النواحي الدينية والدنيوية إلا وقننت له ونظمته حتى في أخص الخصوصيات والعلاقات الشخصية فقد تناولت الشؤون الزوجية والحيض والنفاس والأكل والشرب والزراعة والحصاد والعبادة والعلاقات الدولية والسياسية والاقتصاد والتربية والأخلاق وباختصار شديد فهي قد تناولت جميع شؤون الفرد والمجتمع من بني إسرائيل على ظهر هذه الأرض، غير أنه يلاحظ من خلال كل هذا مظاهر الإنحراف التي طرأت على هذه الشريعة من تضارب واختلاط في المسائل، وكما ورد في كتاب الأسفار المقدسة[3] إنه من أهم مظاهر

(١) الكتاب المقدس (الحاوي على) كتب الشريعة الخمسة التكوين. الخروج. الأخبار. العدد. تثنية الإشتراع. الإصحاح ٣٢ الفقرات ٦، ٢٠، ٢١، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٣٥. ص ٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٢) الكتاب المقدس فقرة ٣٤، ٣٥.

(٣) للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٣٥ ـ ٣٦.

الإنحراف التشريعي كونه قائماً على التفرقة العنصرية بتمييز العنصر اليهودي على بقية العالم وجعلهم أبناء الله وأحباءه وشعبه المصطفى المختار ولهذه النظرة العنصرية نجد أن التشاريع تختلف فيما بين اليهود أنفسهم وبينهم وبين الآخرين فمن ذلك مثلاً حرم على الاسرائيليين أن يقتل بعضهم البعض أو يسرقوا أو يزنوا أو يتعاملوا بالربا فيما بينهم بينما كل هذا مباح للاسرائيليين مع غيرهم بل يصل الأمر أحياناً إلى حد الوجوب فقد ورد في سفر التثنية ما نصه: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح، فإن إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وإما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً الحيثين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب الهك)[1]

في حين أن القرآن الكريم قد نهى عن سفك الدماء اللهم إلا في الضرورة القصوى حين يستعصي العلاج وتقف الفئة الباغية حائلاً دون نشر دين الله ففي هذه الحالة أباح القرآن الكريم للمسلمين القتال في سبيل الله للقضاء على هذه الشرذمة القليلة التي تجثم على مقاليد السلطة فتحجب نور الله عن عباده شريطة عدم الإعتداء ومجاوزة الحد يقول تعالى:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ

(١) الإصحاح العشرين فقرة ١٠: ١٧.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١).

وقد حدد الفئات التي تمثل هذه العصبة وهم: -

١ - أولياء الشيطان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٢).

٢ - أئمة الكفر والكفرة يقول تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾(٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

٣ - الذين لا يؤمنون باليوم الآخر يقول تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(٥).

٤ - أمر بمقاتلة المشركين، يقول تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٦).

٥ - قتال الفئة الباغية يقول تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟

(١) سورة البقرة آية ١٩٠: ١٩١.
(٢) سورة النساء آية ٧٦.
(٣) سورة التوبة آية ١٢.
(٤) سورة التوبة آية ١٢٣.
(٥) سورة التوبة آية ٢٩.
(٦) سورة التوبة آية ٣٦.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(1).

وقد أوضح القرآن الكريم السبب في استئصال شأفة هذه الفئات حتى لا تشيع الفساد والفتنة في الأرض يقول تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(2).

ويقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(3).

وحرم قتل النفس فيما عدا ذلك إلا بالحق يقول الله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(4).

ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾(5).

(1) سورة الحجرات آية ٩.
(2) سورة البقرة آية ١٩٣.
(3) سورة الأنفال آية ٣٩.
(4) سورة الأنعام آية ١٥١.
(5) سورة الإسراء آية ٣٣.

كما أمر بالإحسان إلى المسالم الذي لا يقف أمام نشر دين الله يقول تعالى:

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[1].

ويقول جل شأنه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

فأي وجه للمقارنة بين هذا الكتاب وذاك الذي أصبح سفك الدم نزعة أصيلة فيه وفي أتباعه لعمري ما هذا إلا من الافتراءات والأباطيل التي أقحمها اليهود على توراتهم والتي ما أنزل الله بها من سلطان.

والتعامل الربوي تحرمه التوراة المحرفة بين اليهود وتبيحه لهم مع غيرهم، فقد ورد في سفر التثنية (لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها)[3].

في حين أن القرآن العظيم قد حرم الربا تحريماً قطعياً على المسلمين سواء بينهم أو بين غيرهم، يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ

(١) سورة النساء آية ٩٠.

(٢) سورة الممتحنة آية ٨ ـ ٩.

(٣) الإصحاح الثالث والعشرون فقرة ١٩ : ٢٠.

وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾(1).

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾(2).

هذا وقد ذم الله اليهود على تعاملهم الربوي قال: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾(3).

ومن صور الإنحراف أيضاً في التوراة المحرفة أنه إذا استدان يهودي من آخر ثم حل موعد السداد ولم يؤده ما عليه يصبح حينئذ رقيقاً لصاحب الدين، غير أن رقه لا يدوم بل يستمر الى أجل ثم لا يلبث أن تعود إليه حريته، ولكن هذا الأمر يختلف مع غير اليهودي، إذ لو كان الذي عليه الحق غير يهودي فإن رقه وعبوديته لا تنتهي أبداً فقد ورد في سفر اللاويين ما نصه (وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته وإلى ملك أبائه يرجع لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد، لا تتسلط عليه بعنف بل أخشى إلهك وأما عبيدك وإيماؤك الذين يكونون لك فمن الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً

(1) سورة البقرة آية ٢٧٥ : ٢٧٦ .
(2) سورة البقرة آية ٢٧٨ : ٢٧٩ .
(3) سورة النساء آية ١٦٠ : ١٦١ .

وإماء، وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم، وتستملوكنهم لابنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسانٌ على أخيه بعنف»[1].

في حين أن القرآن الكريم لم يجعل الرق عقوبة للمستدين إذا حل أجل الدين بل دعا إلى ضمان هذا الدين فأمر بكتابته

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾[2].

وإن تعثرت الكتابة فليكن هنالك رهن يقول تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾[3].

وإذا حل موعد السداد ولم يستطع المستدين وفاء ما عليه فقد أمر بالتيسير عليه يقول تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].

ومن سمات التوراة المحرفة التضارب وعدم الوحدة في الأحكام بين الأسفار فبينما نجد سفراً من الأسفار يقرر حكماً معيناً لحادثة ما نجد سفراً آخر يأتي بحكم مخالف لنفس الحادثة، فمن ذلك مثلاً أن رق اليهودي لأخيه يستمر ست سنوات كما ورد في سفري الخروج والتثنية، فقد ورد في سفر الخروج (إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حراً

(١) الإصحاح الخامس والعشرون فقرة ٣٩: ٤٦.. انظر كتاب الأسفار المقدسة للوافي ص ٣٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٣.

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٠.

مجاناً)[1] وورد في سفر التثنية (إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة أطلقه حراً من عندك)[2].

بينما نجد معارضة هذا الحكم معارضة واضحة في سفر اللاويين إذ ورد فيه أنه لا ينتهي رقه إلا بحلول اليوبيل الإسرائيلي فبالتالي قد تطول مدة الرق الى خمسين عاماً إذا كان الاسترقاق عقب اليوبيل وقد يكون أياماً معدودة إذا كان قبيل اليوبيل بأيام أو فترة بسيطة، فقد ورد ما نصه (وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك)[3].

فهذا فيه دلالة واضحة على العبث والتلاعب الذي أصاب التوراة على يد أتباعها إذ أنها لو كانت كما هي من عند الله لما وجد هذا التضارب وهذا الاختلاف يقول تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[4].

وفي التشريع التوراتي نلحظ اضطراب الحقائق في أذهان محرريها كما يقرر ذلك الدكتور وافي فيقول: (إن بعض شرائع العهد القديم تحمل في طيها دليلاً على اضطراب الحقائق في اذهان محرريها واختلاطها بعضها ببعض ونسيانهم حظاً كبيراً منها وغفلتهم عن أصولها)[5].

ويظهر هذا التناقض التشريعي واضحاً جلياً في مسأة القسامة في التوراة إذا ما قارناه بنفس المسألة في التشريع الإسلامي فهنالك تشابه كبير بينهما، فالقسامة كما وردت في الشريعة الإسلامية تكون فيما إذا وجد قتيل بين

(١) الإصحاح الحادي والعشرون فقرة/ ٢.
(٢) الإصحاح الخامس عشر فقرة/ ١٢.
(٣) الإصحاح الخامس والعشرون فقرة/ ٣٩: ٤٠.. انظر كتاب الأسفار المقدسة للوافي ص ٣٧.
(٤) سورة النساء آية ٨٢.
(٥) أنظر كتاب الأسفار المقدسة ص ٣٨.

قريتين ولم يعرف قاتله فإنه في هذه الحالة تقاس المسافة بين الجثة والقريتين فيقسم أعيان أقربهما إليها أنهم لا يعـرفون لهـا قاتـلاً فحينئذ يسقط القصـاص وتجب الدية فيدفعونها متضامنين وهي نفسهـا وردت في التوراة المحـرفة ممـا يدل على أنها مستمدة من التوراة الصحيحة لولا ما أقحم فيها من أشياء بعيدة عنها كل البعـد فقد أقحم محرّروا التوراة قصـة البقرة التي جعلهـا الله معجزة لبني إسرائيل في مسألة القسامة فاشترطوا ذبح البقـرة بمواصفـات معينة تـذبح من قفاها على نهر يغسل منه أعيان هذه البلدة أيديهم فقد ورد في سفر التثنيـة (إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب الهك لتمتلكها واقعاً في الحقـل الـذي لا يعلم من قتله يخرج شيـوخك وقضـاتـك ويقيسـون الى المـدن التي حول القتيل فالمدينة القربى من القتيـل يأخـذ شيوخ تلك المـدينة عجـلاً من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير وينحـدر شيوخ تلك المـدينة بـالعجلة الى واد دائم السيلان لـم يحرث فيه ولم يزرع ويكسـرون عنق العجلة في الوادي، ثم يتقدم الكهنة بنـو لاوى، لأنه إيـاهم اختار الـرب الهك ليخـدموه ويبـاركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ويغسل جميع شيـوخ تلك المـدينـة القـريبين من القتيـل أيـديهم على العجلة المكسـورة العنق في الوادي ويصرحون ويقولون أيدينـا لـم تسفك هـذا الدم وأعيننـا لـم تبصر اغفـر لشعبـك اسرائيـل الذي فـديت يا رب ولا تجعـل دم بـريء في وسط شعبـك اسرائيل فيغفر لهم الدم)[1].

ثالثاً ـ في مجال القصص:

لقد احتوى المجال القصصي معظم أسفـار التوراة فـلا يكاد يخلو سفـر منها في إصحاح من اصحـاحاتـه إلا وقد وجـدت فيه قصـة متسلسلة مترابـطة الأجزاء حتى أنه يخيـل لقارئهـا أنه مـطالع بين دفتيهـا كتابـاً من كتب التاريـخ القديمة لكثرة ما احتوته من القصص، وبنظرة فاحصة لهذا المجـال ينجلي لنا مقـدار عظم التحـريف الذي إنتـاب هذه الأسفـار المقدسـة من حيث الـذات العلية وما نسب لها ووصفت به ـ كما مر معنا سابقـاً ـ ومن حيث الأنبياء بنـزع

(١) الإصحاح الحادي والعشرون فقرة ١ : ٨. راجع الإسفار المقدسة ص ٣٩.

صفـة النبوة عن طـائفـة منهم وجعلهم أبـاء وملوك وبنسبهم الى القبـائـح التي يندي لها الجبين، وفيما يلي نماذج لهذا التحريف:

الاتجار بالعرض وهذا ما وصم به بنـو اسرائيـل أنبياءهم فقـد نسبوه إلى إبراهيم عليه السلام ـ حينما ارتحل الى مصر وكان عالماً أنهم سوف يـأخذون منه زوجه فارتحل بها وفيما يلي يـروي لنا سفـر التكوين هـذه القصة الـظاهرة التحريف والبطلان لأن أمراً كهذا يأباه الإنسان العادي سليم الطباع فمـا بالـك بأبي الأنبياء عليه السلام يقول السفر: (وحدث جوع في الأرض فانحدر ابـرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً. . وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امـرأة حسنة المنـظر فيكـون إذا رآك المصريـون أنهم يقولـون هذه امـرأته فيقتلونني ويستبقـونـك، قولي إنك اختي ليكـون لي خير بسببـك وتحيا نفسي من أجلك، فحـدث لما دخل إبرام إلى مصـر أن المصريين رأوا المـرأة أنها حسنـة جداً ورآهـا رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى إبـرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمـال فضرب الـرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبرام فدعا فرعون إبـرام وقال ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امـرأتك لمـاذا قلت هي أختي؟ أخـذتها لي لتكـون زوجتي والآن هوذا امـرأتك خـذها واذهب، فـأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له)[1].

هذا وقد أبانت السنة المطهرة كذب هذا الإدعـاء فسيدنـا ابراهيم عليـه السلام لم يكن عالمـاً بأنـه سوف تؤخـذ منه زوجتـه إن ذهب بها إلى مصـر، وفرعون لم ينـل من زوجة أبي الأنبيـاء عليه السـلام ـ شيئاً إذ تـدخلت القدرة الإلهية فأنقذتها كمـا أنقذت زوجهـا من قبل من النـار فقد روى البخـاري عن أبي هـريرة ـ رضي الله عنـه ـ قال: (لم يكـذب إبـراهيم ـ عليـه السـلام ـ إلا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم وقولـه بل فعله كبيرهم هذا وقال بينا هو ذات يوم وساره إذا أتى على جبار من الجبابرة، فقيل

(١) الإصحاح الثاني عشر فقرة ١٠ : ٢٠.

له إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأل عنها، فقال من هذه قال أختي، فأتى ساره قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء)[1].

ومما نسبت التوراة المحرفة لأنبيائها الزنا فيروي سفر التكوين أن نبي الله لوطاً ـ عليه السلام ـ حينما خرج من قرية سدوم بعد أن أهلكها الله زنا بابنتيه، يقول السفر (وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة وهو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلاً فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي معه فنحي من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين الى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً دعت اسمه بن عَمّي وهو أبو بني عمون إلى اليوم)[2].

في حين أن القرآن الكريم نزه سيدنا لوطاً ـ عليه السلام ـ وجعله من الصالحين يقول تعالى:

(١) كتاب بدء الخلق باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾ ج ٤ ص ١٧١.
(٢) الإصحاح التاسع عشر فقرة ٣٠: ٣٨.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1].

ونفس الشيء رمت به التوراة المحرفة نبي الله داود ـ عليه السلام ـ ووصمته بالغدر والخيانة أيضاً إذ يذكر لنا سفر صموئيل الثاني أن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ كان يتمشى على سطح بيته فنظر امرأة عارية تستحم فأعجبته وكانت هذه زوجة لأحد جنوده الغائبين في الحرب فطلبها وزنى بها فحملت منه ثم أرسل في طلب زوجها من الحرب حتى ينسب له الولد فأبت على الجندي شهامته ورجولته أن يذهب إلى بيته وإخواته يصارعون الموت على جبهة القتال فبات في بيت داود مع خدمه مما أبطل حيلته وأثار غيظه فبعث به الى قائد الجبهة وأمره أن يجعله في غمار الموت حتى يلاقي حتفه فقد ورد في السفر (وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميع إسرائيل فأخرجوا بني عمون وحاصروا ربّة، وأما داود فأقام في أورشليم وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت عليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلي أوريا الحثي فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأله داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا أنزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم

(١) سورة الأنبياء آية ٧٤: ٧٥.

ينزل إلي بيته فأخبر داود قـائلين لم ينزل أوريـا إلى بيته فقـال داود لأوريا أمـا جئت من السفـر فلمـاذا لم تنـزل إلى بيتـك فقـال أوريـا لـداود إن التـابـوت واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيـد سيدي مـازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيت لأكل وأشرب وأضطجع مع امـرأتي وحياتـك وحياة نفسك لا أفعـل هذا الأمـر فقال داود لأوريـا أقم هذا اليـوم أيضاً وغـداً أطلقك فأقام أوريا في أورشليم في ذلـك اليوم وغـده ودعاه داود فـأكل أمـامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيـده وإلى بيتـه لم ينزل، وفي الصبـاح كتب داود مكتـوبـاً إلى يـوآب وأرسله بيـد أوريـا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحـرب الشديـدة وأرجعوا من وراءه فيضرب ويموت)[1].

وقد نزه الله نبيه الكريم من هذا الإفتراء فأثنى عليه في عدة مواضـع من القرآن العظيم وها هي ذي قصته كما جاءت في القرآن، يقول تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾
وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞
وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ
أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا
لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) الإصحاح الحادي عشر فقرة ١: ١٥.

﴿شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[1]

وهي خالية من الزور والبهتان الذي وصمته به التوراة حتى أن علياً بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ توعد من يفسر هذه الآيات الواردة في سيدنا داود على نحو ما جاء في التوراة بالجلد وإقامة الحد عليه لأنه بذلك قد قذف نبياً كريماً يقول ـ رضي الله عنه: (من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة)[2]، وذلك لأن البعض إنخدع برواية التوراة المحرفة وفسر قصة سيدنا داود في القرآن على نحو ما جاء في التوراة المحرفة.

ولم يكتف محرروا التوراة بما نسبوه لأنبيائهم بل تجاوزوا كل الحدود المعقولة فنسبوا إليهم خيانة الأمانة التي كلفوا بتبليغها فقد ورد في سفر الخروج أن سيدنا هارون ـ عليه السلام ـ قد سهل لبني اسرائيل الشرك فصنع لهم عجلاً في غياب سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وأعانهم على عبادته فقد جاء في السفر ما نصه (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم واصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا **موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد الرب فبكروا في الغد وأصعدوا محروقات وقدموا ذبائح سلامة)**[3].

على أن الناظر الى هذه القصة في القرآن الكريم يرى مدى ما أصاب القصة نفسها في التوراة من تحريف وتغير إذا حاشا لنبي كريم كهارون أن يخون أمانة السماء التي حملها وكان أهلاً لها ولكنها النفسية اليهودية التي لا يتفك عنها الإسقاط حتى على أنبياء الله ورسله فقد جاء في القرآن الكريم أن

(١) سورة ص آية ١٧ : ٢٦.
(٢) انظر كتاب الأسفار المقدسة للوافي ص ٤٥.
(٣) الإصحاح الثاني والثلاثون فقرة ١ : ٦.

الذي صنع لهم العجل هو السامري وليس سيدنا هارون ـ عليه السلام ـ يقول تعالى :

﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ (٨٥) فَرَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ
أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى (٨٦) قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ
فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا
فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (٩٠) قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ
عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ (٩٢)
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى (٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى (٩٤) قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً
مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى (٩٦) قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى
ٱلْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾(١).

ومن جملة الكذب والتناقض الذي حوته التوراة في أقاصيصها ما ورد

(١) سورة طه آية ٨٣: ٩٨.

في الإصحاح الرابع من سفر التكوين أن هابيل كان راعياً للغنم يقول السفر (وكان هابيل راعياً للغنم) ثم في الفقرتين التاسعة عشر والعشرين أن يابال وهو في العقب السابع بعد هابيل أنه أول من رعى الغنم لأن السفر جعله أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي يقول السفر (فولدت عادة يا بال الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي)، وفي هذا التناقض والكذب الفاضح الذي يتسامى عنه الكتاب السماوي إذ كيف يكون هابيل راعياً للغنم ثم يعتبر من يأتي بعده في العقب السابع أول من رعى الغنم)[1].

ومن التناقض الوارد فيها أيضاً ما ورد في سفر التكوين من أن الله قد غضب على النوع الإنساني فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز المئة والعشرين سنة (فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرون سنة)[2]، ثم ورد بعد هذا في نفس السفر في إصحاح آخر أن أبناء نوح عاشوا أكثر من مئة وعشرين سنة، فقد ورد في الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر ما نصه (هذه مواليد سام لما كان ابن مئة سنة ولد إرفكشاد بعد الطوفان بسنتين وعاش سام بعدما ولد إرفكشاد خمس مئة سنة وولد بنين وبنات وعاش إرفكشاد خمساً وثلاثين سنة وولد شالح وعاش إرفكشاد بعدما ولد شالح أربعمائة وثلاث سنين وولد بنين وبنات)[3] . . .

لعمري ما هذا إلّا غيض من فيض فالقصص التوراتي في مجمله بحر زاخر بالأكاذيب والمتناقضات وحرى بكتاب كهذا أن لا ينظر إليه ولا يعبأ به فضلاً عن أن يكون مقدساً فما أضل العقول وأعمى القلوب التي أضفت عليه ثوب القداسة بعد كل هذا الزيف والبطلان الذي حواه.

رابعاً ـ في مجال العلم:

إن التوراة المحرفة لم تستطع أن تصمد أمام البحث العلمي إذ لم

(١) أخذ بتصرف من كتاب الأسفار المقدسة للدكتور الوافي ص ٤٩ ونسب يابال هذا هو ـ يابال بن متو شائيل بن محو يائيل بن عيراد بن حنوك بن قابيل بن آدم.

(٢) الإصحاح السادس فقرة ٣.

(٣) أخذ بتصرف من نفس المرجع السابق ص ٤٩.

تتريث بل تهاوت منذ الوهلة الأولى وفي أول سفر من أسفارها المسمى بسفر التكوين ليس ذلك فحسب بل وفي الفقرات الأولى من أول إصحاح من إصحاحاته بناء على ما قرره الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي عني بدراسة الكتب المقدسة ومقارنتها بمعطيات العلم الحديث إذ يقول عن دراسته تلك (ولقد كانت مقابلة نصوص الكتب المقدسة بحقائق العلوم موضوع تفكير الإنسان في كل العصور، ففي البدء قيل إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس. . . ولكن تطور العلم كشف للمفكرين عن وجود نقاط خلاف بين الاثنين وبهذه الطريقة خلق ذلك الوضع الخطير الذي جعل اليوم مفسري التوراة والأناجيل يناصبون العلماء العداء.

إذ لا يمكن في الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة، وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين وهي عدم قبول صحة المقطع الذي يقول في التوراة بأمر غير معقول علمياً)، ويذكر أنه قد تناول بحث العهد القديم والأناجيل بعد أن قام ببحث القرآن بمنتهى الموضوعية والحياد، فيقول (وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطياة العلم رسوخاً في عصرنا ـ ثم يقول بعد ذلك ـ غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة وتلك التي لا يحتملها التصديق وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية، وما نصيب الخيال في الهوى في عملية تحريرها، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على الكتب المقدسة)[1].

(١) أنظر كتابة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١١ الناشر دار المعارف الطبعة الأولى.

ويتحدث عن الرواية الأولى للخلق فيقول عنها: (إنها بناء يتكون من أخطاء من وجهة النظر العملية)[1]، ويدلل على ذلك بعدة أدلة منها على سبيل المثال: -

وجه نقده للفقرات الأولى والثانية من الإصحاح الأول والتي نصها: (في البدء خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض خربة وخالية **والظلمات** تغطي اللجه وروح الله يرف على المياه).

يقول عن الفقرتين السابقتين: (ونستطيع أن نقبل تماماً أن في مرحلة ما قبل خلق الأرض كان ما سيصبح الكون، كما نعرفه، غارقاً في الظلمات، ولكن الإشارة إلى المياه في تلك المرحلة أمر رمزي صرف وربما كان ترجمة **لأسطورة**... إن القول بوجود الماء في تلك المرحلة غلط)[2].

ثم يتناول الفقرات من ٣ إلى ٥ والتي نصها: (ليكن نور فكان النور، ورأى الله أن النور حسن وفصل بين النور والظلمات ودعا الله النور نهاراً والظلمات ليلاً وكان مساء وكان صباح: اليوم الأول).

فيعلق على هذا النص فيقول (إن الضوء الذي يقطع الكون هو نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم... ولكن النجوم حسب قول التوراة لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة حيث أن [أنوار] السماوات لا تذكر في سفر التكوين إلا في الآية ١٤ باعتبارها ما خلق الله في اليوم الرابع [ليفصل بين النهار والليل] [ولينير الأرض] وذلك صحيح تماماً ولكن من غير المنطق أن تذكر النتيجة **الفعلية** (أي النور) في اليوم الأول على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور، أي [المنيرة] في اليوم الرابع، يضاف إلى ذلك أن وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف: فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودور إنها تحت ضوء نجمها الخاص بها أي الشمس)[3].

(١) أنظر المرجع السابق ص ٤١.
(٢) أنظر المرجع السابق.
(٣) أنظر المرجع السابق ص ٤١.

ويتحدث عن الفقرات من ٦ : ٨ والتي نصها (وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصل بين مياه ومياه، وكان كذلك فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ودعا الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح اليوم الثاني).

فيقول: (أسطورة المياه هنا تستمر بانفصالها الى طبقتين بواسطة الجلد الذي سيجعل **الطبقة** العليا، عند الطوفان تنفذ من خلاله تمر لتنصب على الأرض، إن صورة انقسام المياه هذه إلى كتلتين غير مقبولة علمياً)[1].

ويعلق على الفقرات من ٩: ١٣ والتي نصها (وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد في كتلة واحدة ولتظهر اليابسة وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه [بحاراً] ورأى الله ذلك أنه حسن وقال الله لتنبت الأرض خضرة عشباً يحمل بذراً كجنسه وشجراً يعطي ثمراً من جنسه وبذراً ورأى الله ذلك أنه حسن وكان مساء وكان صباح: اليوم الثالث).

فيقول: (ومقبول علمياً أن القارات قد ظهرت في مرحلة من تاريخ الأرض كانت هذه مغطاة بالماء، ولكن أن يكون هناك في تلك الفترة عالم نباتي ينتظم جيداً بالتناسل بالبذرة قبل ظهور الشمس [التي تظهر كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع] وأن ينتظم تعاقب النهار والليل فذلك ما لا يمكن مطلقاً القول به)[2].

أما قضية تحديد عمر الإنسان على هذه الأرض فإن اليهود يحددونه بناء على توراتهم بـ (٤٠٠٤) قبل الميلاد وطريقتهم في ذلك كما ورد في كتاب (الإنسان في القرآن)[3] إنهم «يحسبون عمر الأنبياء بين موسى وعيسى عليهما السلام ثم يضيفون الحاصل إلى أعمار أجداد موسى الستة إلى إبراهيم ثم أعمار أجداد إبراهيم العشرة الى نوح ثم أعمار أجداد نوح العشرة إلى خلق

(١) أنظر المرجع السابق ص ٤٢.
(٢) أنظر المرجع السابق ص ٤٢.
(٣) للدكتور صلاح عبد العليم ج ١ ص ١٣٢ الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣) الطبع والنشر مطبعة الفجر الجديد.

آدم ـ عليهم السلام أجمعين ـ فيحصل لديهم (٤٠٠٤) سنة قبل الميلاد وبهذا يكـون الإنسان الأول وهـو آدم ـ عليه السـلام ـ قـد وجـد سنـة (٤٠٠٤) قبـل الميلاد».

وينقـل الكتـاب عن كتـاب (محـاولات الإنسـان لتقـديـر عمـر الأرض) النتائج التي توصل إليها العلماء في تحديد ظهور الإنسان فيقـول: «إن الحياة ظهرت بصورة مزدهرة منذ (٦٠٠) مليون سنـة بينما ظهـر الإنسان على سـطح الأرض منذ مليون سنة»[١].

لقد تهلهلت أوصال هذه التوراة المحرفة أمام جميع النقـود التي وجهت لها كما رأينا سابقاً، فأضحت ثوباً بـالياً عفـا عليه الـدهر بـل هو رقـع متناثـرة متناقضة متباينة وما ذاك إلا لكونها من عند غير الله من صنع البشـر إذ لو ظلت كما هي لما وجد فيها هـذا الشتات المتنـافر والإختـلاف والتباين وصـدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٢].

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٠٣.
(٢) سورة النساء آية ٨٢.

الفَصلُ الخَامِس
بواعِث التحريف وأهدافه

إن الناظر الى التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب عامة واليهود بخاصة اليوم يرى ـ وكما عرضنا في فصل سابق لجملة وأهم ما احتوته ـ أنها لم تعد ذلك الكتاب السماوي الذي أنزله رب العالمين على كليمه موسى ـ عليه السلام ـ وإنما هي سفر عولج معالجات شتى حتى يتواءم مع فكرة قومية لطائفة عنصرية تسمى اليهود، فهم قد اخضعوا نصوصها لأهوائهم حتى غدت مرآة صافية تعبر عن الشخصية اليهودية بكل صدق وأمانة إذ حوت آمالهم وتطلعاتهم وأهدافهم وغاياتهم وسلوكياتهم، فأسفار التوراة لم يوضع بها حرف أو كلمة أو جملة مما يخالف الوحي المنزل إلّا وهي ترمي إلى هدف وغاية لهم.

هذا ولسوف آتي على ذكر جملة من البواعث والأهداف التي من أجلها غير اليهود وبدلوا التوراة المنزلة على سيدنا موسى ـ عليه السلام.

فقد أضفت التوراة على إلهها ثوب الوحشية والقسوة واعتبر إله الحرب وما ذاك إلا ليبرروا لأنفسهم حق الإعتداء على الآخرين وسلب أموالهم وهتك أعراضهم.

ووصفته أيضاً بالحماقة والجهالة وأنه يحمل الذنب إلى الجيل الثالث أو الرابع وما هذا إلا تبرير للرعونة والحماقة اليهودية في كل صورها وحقدها الدفين على الأمم المحيطة بها، فإذا كان الههم بهذه الصفة فهم بها أولى ويصدق فيهم قول الله تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

يقول أحمد شلبي[2]: (النظرة السريعة للعهد القديم توحي أن الهدف الأسمى الذي أراده بنو اسرائيل من الكتاب المقدس كان تبرئة بني إسرائيل من العيوب وتلويث سواهم من الشعوب فأحد ابني آدم كان ضالاً وكان الآخر مهتدياً، ومن المهتدي ينحدر بنو اسرائيل وأبناء نوح الذين نجوا من الغرق كانوا ثلاثة ولكن بني إسرائيل يكثرون الهجوم على حام بن نوح ويسخطون عليه لا لشيء إلا أنه أبو الجنس الذي انحدر إلى مصر وما يليها من الجنوب وكراهية بني إسرائيل لمصر قديمة وعريقة ويصب سفر التكوين السخط على كنعان ابن حام بن نوح لأن الكنعانيين حاربوا العبرانيين فلما دون هؤلاء العهد القديم خصوا الكنعانيين بسخط الله كأن الله يسخط على من سخطوا عليه ويرضى على من رضوا عنه.

وهكذا كتب أسفار العهد القديم باسم الله والله منها بريء إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم).

تلك إشارة مجملة الى بواعث التحريف لدى اليهود لكتابهم المنزل وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولاً ـ محاولة التحلل والتخلص من أحكام التشريع الإلهي:

لقد كان من الدوافع الرئيسية التي دفعت بهم إلى تحريف كتاب الله رغبتهم في محاولة التخفيف من شدة بعض الأحكام التشريعية على نفوسهم مثل الرجم، فقد غيروه وبدلوا ووضعوا بدله الجلد والتسخيم[3] بدلالة قوله تعالى:

(١) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٢) من كتابه اليهودية ص ٢٦٩.

(٣) روى البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتي النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما؟ قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا التوراة فاتلوه إن كنتم صادقين، فجاؤا فقالوا لرجل ممن يرضون يا أعور إقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال: ارفع يدك فإذا فيه آية الرجم تلوح فقال: يا

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾[1].

بالإضافة إلى جعل بعض التشريعات خاصة بعد أن كانت عامة مثل الربا فقد جعلوه محرماً بين بني اسرائيل فقط ومباحاً لهم مع غيرهم كما مر معنا في فصل أسفار التوراة.

ثانياً ـ الحفاظ على السلطة التشريعية الزمنية لأنفسهم:

فمن ضمن الدوافع التي أدت بهم إلى تحريف كتابهم كتمان الحق حفاظاً على السلطة التشريعية الزمنية، يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

فهم كما جاء في تفسير هذه الآية قد أخفوا الكثير من الحقائق النازلة من قبل المولى جل شأنه ومن ضمنها البشارة بسيد المرسلين سيدنا ونبينا محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وصفته وصفة أصحابة الواردة في التوراة بدلالة قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ

محمد إن عليهما الرجم ولكنا نكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يجانيء عليها الحجارة) أنظر فصل مضمون التوراة الباب الأول.

(١) سورة المائدة آية ٤١ وانظر تفسير الفخر الرازي ج ١١ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ﴾[2].

وما أنكروا نبوته صلوات الله وسلامه عليه إلا ليستديم لهم بساط السلطة في يثرب إذ كانوا آنذاك على وشك أن يتوجوا ملكاً لهم فإن هم آمنوا سحبت منهم تلك السيادة بالإضافة إلى السلطة التشريعية[3] لأننا لا ننسى بأن أحبارهم كانوا يُقننون التشريعات من عند أنفسهم وينسبونها إلى الله مثل حجر الأعمال الكهنوتية على بني لاوى فقط وتميزهم على من سواهم من بني إسرائيل كما مر معنا في فصل أسفار التوراة، وكذلك إخفاؤهم للرجم كما مر معنا.

ثالثاً ـ العناد والمكابرة والقسوة:

من دوافع تحريفهم العناد والمكابرة والقسوة يقول تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩، أنظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١١ ص ١٨٩.

(٣) الرسالة السبعينية بأبطال الديانة اليهودية للحبر اسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ص ٧٦ مطبعة الفجالة الناشر مكتبة الجهاد الكبرى بالفجالة.

لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[2].

يقول الفخر الرازي[3] في تفسيره لهذه الآيات: (أي اشتدت قلوبكم وقست وصلبت من بعد البينات التي جاءت أوائلكم والأمور التي جرت عليهم والعقاب الذي نزل بمن أصر على المعصية والآيات التي جاءهم بها أنبياؤهم والمواثيق التي أخذوها على أنفسهم - ويقول في موضع آخر - وقد كان فريق من أسلافهم يسمعون كلام الله ويعلمون أنه حق ثم يعاندونه).

هذا وقد وصفتهم التوراة بصلابة الرقاب دلالة على قسوتهم وعنادهم ومكابراتهم انظر فصل أسفار التوراة.

رابعاً - محبة الدنيا وإيثارها على الآخرة:

من دوافع تحريفهم محبتهم للحياة الدنيا وإيثارها على الآخرة، يقول تعالى حاكياً عنهم:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

(١) سورة البقرة آية ٧٤ - ٧٥.
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧.
(٣) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٤.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾(١).

فهم قد حرم عليهم إخراج ومقاتلة بعضهم البعض ولكن رغبتهم في الغنائم جعلتهم لا يعبأون بهذا التحريم ويقدمون عليه لتحصيل لذات الدنيا العاجلة وإيثارها على لذات الآخرة الآجلة، هذا وقد أشارة التوراة المحرفة إلى هذا في مواطن عدة منها تذمر بني إسرائيل من موسى وهارون بعد خروجهم من مصر وطلبهم للمآكل والمشارب التي كانوا يتنعمون بها هناك، وحرمت عليهم أن يقتل اليهودي أخاه اليهودي.

خامساً ـ استمراء الكفر:

من دوافع تحريفهم لكتابهم استمراؤهم للكفر وتشرب قلوبهم به ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٢).

(١) سورة البقرة آية ٨٤ ـ ٨٦، وقد أورد الفخر الرازي قصة سبب نزول هذه الآية وهي أن الذين أخرجوا والذين فودوا فريق واحد وذلك أن قريظه والنضير كانا أخوين كالأوس والخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج وقريظة مع الأوس فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكننا نستحي أن نذل حلفاؤنا ج ٣ ص ١٧٣.
ويقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية «فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكام الكتاب إنما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية» أنظر تفسير أبي السعود ج ١ ص ١٢٦.

(٢) سورة البقرة آية ٨٨ ـ ٨٩.

يذكر المفسرون[1] في تفسيرهم لهذه الآية أن اليهود عليهم لعائن الله يزعمون الاستغناء بالعلم الذي معهم عن علم محمد - ﷺ - وعن علم غيره.

فكفرهم بسيدنا محمد - ﷺ - بالرغم من معرفتهم التامة بل تيقنهم من صدقه دفعهم الى طمث معالم أثره في كتابهم وإنكاره جملة وتفصيلاً وما ذاك إلا لتغلغل الكفر في نفوسهم وتشرب قلوبهم به، فقد ذكرت توراتهم المحرفة أن هارون قد صنع لهم العجل الذهبي ليعبدوه بالإضافة إلى النكسات الكثيرة التي كانوا يتركون فيها عبادة إلههم ويعبدون آلهه أخرى غيره وكثرة توبيخات إلههم لهم. راجع فصل أسفار التوراة.

سادساً - الحسد:

إن من دوافع تحريفهم لكتابهم الحسد، يقول تعالى عنهم:

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

ففي هذه الآية يشير المولى جل وعلا إلى أن من أسباب كفرهم بسيدنا محمد ﷺ - وبما جاء به من الحق تغلغل الحسد في نفوسهم فالبغي كما فسره الفخر الرازي هو الحسد[3] دفعهم إلى أن ينكروا نبوته ويطمسوا أثرها في كتبهم وينشروا بين الناس أنه ليس هوالنبي المنتظر حتى يصرفوا الناس

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١٢٤، تفسير أبي السعود ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) سورة البقرة آية ٩٠ - ٩١.

(٣) أنظر تفسيره الكبير ج ٣ ص ١٨٤.

عنه بالرغم من أنهم كانوا كما يقول ابن كثير[1] عن ابن عباس (يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب ـ يعني بذلك أهل الكتاب ـ فلما بعث محمد ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه ـ ويقول ابن كثير ـ كانت اليهود تستنصر بمحمد ـ ﷺ ـ على مشركي العرب يقولون اللهم أبعث هذا النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمداً ـ ﷺ ـ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩ ﴾.

هذا وقد نضحت توراتهم بصور الحسد منها حسد قايين لأخيه هابيل وحسد ساراى لهاجر وابنها اسماعيل وحسد يعقوب لأخيه عيسو على البكورية والبركة وأخذه لها منه بالحيلة وحسد راحيل لأختها ليئه هذا غيض من فيض[2].

سابعاً ـ السعي وراء المكاسب المادية:

ومن دوافع تحريفهم لكتابهم سعيهم وراء جمع المكاسب المادية وأكل أموال الناس بالباطل يقول عنهم القرآن الكريم:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[3].

ويقول عنهم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ

(١) أنظر تفسيره القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١٢٤.
(٢) أنظر فصل اسفار التوراة.
(٣) سورة البقرة آية ٧٩.

﴿الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[1].

ويقول عنهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2]،

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

ويقول عنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[4].

مفاد هذه الآيات جميعاً أن اليهود عليهم غضب الله عمدوا إلى كتابهم فحرفوه سواء بتغيير أو كتمان نعت وصفة سيدنا محمد - ﷺ - أو تغيير الأحكام التشريعية الواردة في كتابهم وما ذاك إلا ليشتروا به ثمناً قليلاً وكما ذكر الفخر الرازي في تفسير الآيات السابقة (أنهم ما فعلوا ذلك التحريف ديانة بل إنما فعلوه طلباً للمال والجاه[5] - وفي موضع آخر يقول - كان غرضهم من كتمانهم أخذ الأموال من عوامهم وأتباعهم[6] - ويقول - أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا)[7].

(١) سورة البقرة آية ١٧٤ : ١٧٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٧ .
(٣) سورة آل عمران ٧٧ .
(٤) سورة التوبة آية ٣٤ .
(٥) أنظر تفسيره المسمي التفسير الكبير ج ٢ ص ١٤٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ١١٧ - ١١٨، ٢٠٦، تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٥١ - ١٢٥، ج ٤ ص ٦٢، تفسير المنار ج ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠.
(٦) أنظر تفسيره التفسير الكبير ج ٥ ص ٢٦ . (٤) أنظر المرجع السابق ج ٩ ص ١٣١ .

ولقد عمد كهنتهم الى التوراة فجعلوا نصوصها توجب على بني اسرائيل أن يقدموا كل بكر من الأبناء وذلك بالفداء وجميع بكور البهائم والثمار للإله بالإضافة الى القرابين الأخرى مثل ذبائح السلامة والعشور التي تفرضها عليهم وغير ذلك كثير. . . وتقدم للكهنة باسم الاله في حين أنهم يجمعونها لانفسهم فيكونوا من ورائها ثروات طائلة. . . وهذا هو أكلهم لأموال الناس بالباطل. . . أنظر فصل أسفار التوراة.

ثامناً : الخيانة والغدر والكذب :

إن من دوافع تحريفهم تعودهم على الخيانة والغدر والكذب حتى أضحى هذا الأمر من أبرز سماتهم وأشهرها عبر تاريخهم الطويل، فهم. . .

أولاً : خانوا الله فلم يبلغوا ما نزل إليهم وما عرفوه من الحق وإنما غيروه وبدلوه يقول القرآن عنهم :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

ثانياً : مع الناس يقول تعالى :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

فهم قد جعلوا رائحة الخيانة والغدر والكذب تفوح من توراتهم المحرفة

(١) سورة آل عمران آية ٧٨.
(٢) سورة آل عمران آية ٧٥ : ٧٦.

فقد جعلوا الله يغدر بآدم وزوجه وجعلوا يعقوب يغدر بعيسوا أخيه ثم بخاله ثم هو وأبناؤه بحموري وأهل مدينته وغدر أخوة يوسف بيوسف ومن ثم غدرهم بالمصريين أثناء خروجهم وما هذا إلا غيض من فيض[1]

وهذا يفسر لنا النفسية اليهودية الحالية وتآمرها على العالم ويفسر لنا سر الكتب اليهودية الأخرى كالتلمود[2] والبروتوكولات[3] وما نضحت به من غدر وخيانه.

تاسعاً: العنصرية اليهودية:

لقد تميزت الطائفة اليهودية بالعنصرية المفرطة لدرجة أنها نزعت عن غيرها من الطوائف والأجناس البشرية ثوب الإنسانية وعدتهم في درجة الحيوانات وما ذاك إلا لمدى الغرور الذي أصاب هذه الشخصية اليهودية،

(١) راجع فصل أسفار التوراة.

(٢) لقد ورد فيه أن الإله قد أعطاهم السلطة المطلقة للتصرف حيال الأميين سواء بأخذ أموالهم أو قتلهم بأي صورة، فقد جاء فيه (سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم) وشرح هذا القول (إذا سرق أولاد نوح (أي غير اليهود) شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً يستحقون الموت لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاها الله لهم، وأما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الأمي لأنه جاء في الوصايا (لا تسرق مال القريب، وقال علماء التلمود مفسرين هذه الوصية إن الأمي ليس بقريب وإن موسى لم يكتب في الوصية (لا تسرق مال الأمي) فسلب ماله لم يكن مخالفاً للوصايا ـ وفي موضع آخر ورد فيه ـ مسموح غش الأمي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه) وورد فيه أيضاً (يلزمنا أن ننزع قلوب المسيحيين من أجسادهم ونقتل أفضلهم)، أنظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة د. يوسف حنا نصر الله ص ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٧٦ (الطبعة الثانية بيروت سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م).

(٣) ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في البروتوكول الأول (يجب أن يكون شعارنا (كل وسائل العنف والخديعة) إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة، ويجب أن يكون العنف هو الأساس ويتحتم أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات التي تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء قوة جديدة. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصل إلى هدف الخير، ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا). أنظر الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي ص ١٥٥ (الطبعة الثانية ١٩٧٦ القاهرة بإصدار مكتبة دار التراث.

فقد عمد كهنتهم وأحبارهم إلى كتاب الله المنزل ـ كما رأينا سابقاً ـ وجعلوا أصابع التحريف تعبث به وتذهب به كل مذهب فكان نتاج هذا كله زعمهم تميز العنصر اليهودي عما سواه من العناصر البشرية الأخرى.

فقد تمثلت هذه العنصرية:

أ ـ في العقيدة:

بدعوى إنتسابهم مباشرة إلى الإله فقد جعلوا من أنفسهم أبناء وأحباء الله يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾(1).

وورد في التوراة (لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك، إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم)(2).

وورد في التلمود (الشعب المختار (أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير... وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة... سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم)(3).

ب ـ في مجال الشريعة:

لقد حرفوا نصوص التوراة فجعلوا جميع ما حرمته خاصاً بهم وحدهم في تعاملهم مع بعضهم البعض أما ما عدا ذلك فقد أباحوا لأنفسهم أكل مال

(1) سورة المائدة آية ١٨.
(2) سفر التثنية الإصحاح السابع فقرة ٦ ـ ٨.
(3) أنظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله ص ٦٨ ـ ٦٩.

غير اليهود واستباحة دمائهم وأعراضهم والتسلط على جميع ممتلكاتهم وحجتهم في ذلك كما ذكرها القرآن الكريم:

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وورد في التوراة المحرفة (لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل اليها لتمتلكها)[2].

وورد فيها (لا تشهد على قريبك زور ـ لا تشته بيت قريبك ـ لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك)[3].

وورد في التلمود (سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم)[4]. وورد فيه (مسموح غش الأمي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه)[5].

وبناء على هذه النظرة العنصرية والوعود المكذوبة في التوراة بإعطاء الإله أرض الكنعانيين لإبراهيم ونسله الممتد من إسحاق فقط ثم تكرار الوعد بذلك لإسحاق ومن ثم ليعقوب ونسله أدى إلى زيادة الأمل لديهم فجعلهم يتصورون أن الإله قد أعطاهم الأرض من النيل الى الفرات ثم طمعت أنفسهم إلى أن يسودوا العالم أجمع ويصبحوا حكاماً له. . . وكان من آثار هذه العنصرية نشأة الصهيونية. . . فالصهيونية وليدة العنصرية: ومن ثم فإن الصهيونية تحاول بالتحريف للكتب المقدسة أن تتخذ من الدين سنداً لها،

(١) سورة آل عمران آية ٧٥.
(٢) سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرون فقرة ١٩ ـ ٢٠.
(٣) سفر الخروج الإصحاح العشرون فقرة ١٦ ـ ١٧.
(٤) أنظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة د. يوسف حنا نصر الله ص ٧٢.
(٥) أنظر المرجع السابق ص ٧٥.

فعمدت عقول كبار مفكريهم إلى اختلاق فكرة الصهيونية وهي الدعوة إلى العودة إلى فلسطين وإلى جبل صهيون الواقع في الجنوب من بيت المقدس الذي بني عليه داود ـ عليه السلام معبده الأول[1]. إلى جانب العمل على تحقيق السيادة والسيطرة على العالم انطلاقاً من دعوى التميز والسمو العنصري لليهود على غيرهم من شعوب العالم.

ويرجع البعض بفكرة الصهيونية الى عهود تاريخية موغلة في القدم منذ السبي البابلي يقول صبري جرجس[2] عن هذه الفترة (فقد كانت أكثر الفترات أهمية وحسماً في التاريخ اليهودي كله ومرجع ذلك في المقام الأول إلى أحبار اليهود أثناء سنى السبي كانوا يرنون بأبصارهم وهم جلوس على شاطيء النهر صوب صهيون يبكون المجد الذي ولى ويتغنون بالمجد الذي يرجى، فدفعهم ذلك إلى كتابة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة المعروفة باسم (أسفار موسى الخمسة) وفي هذه الأسفار وضعوا أساس السياسة المستقبلة للشعب اليهودي في إطار ما زعموا أنه عهد قطعه إلههم يهوه مع إبرام بإعطاء نسله أرض الميعاد لأنه شعبه المختار وقد ظل هذا المعنى يتردد خلال التوراة كلها، وليس من الميسور تعقبه في أسفار التوراة جميعاً وحسبنا أن نذكر من قبيل المثال ما ورد في شأنه في أحد المزامير (على أنهار بابل جلسنا بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون، على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادها، لأن هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون، كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة، إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي) (مزمور ١٣٧ : ١ ـ ٦).

وورد في كتاب اليهودية أن اليهود يرون أن موسى كان أول قائد للصهيونية (ويرى اليهود أن موسى كان أول قائد للصهيونية وأول من شيد

(١) أنظر اليهودية لأحمد شلبي ص ١٢٥ ـ ١٣١.

(٢) أنظر كتابه التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ص ٣٦ (الطبعة الأولى ١٩٧٠ م) ترجمة د. مصطفى كامل فوده الناشر عالم الكتب ـ القاهرة.

صرحها ووطد دعائمها، فهو الذي قاد بني إسرائيل ليدخل بهم فلسطين عقب خروجهم من مصر[1].

ويرى روجيه جارودي أن الصهيونية نوعان صهيونية دينية مصدرها متصوفوا اليهود وهذه لا خطورة فيها ويفسر النصوص الواردة في التوراة بناء عليها.

وصهيونية سياسية وهذه التي ابتدعها تيودور هرزل في القرن التاسع عشر الميلادي وقد كانت سمة هذا القرن العنصرية القومية التي ظهرت آنذاك في أوربا وتفشت فيها بالإضافة الى الاضطهادات التي كانت واقعة على اليهود فأراد أن يكون لهم وطن يجمع شتاتهم ويتميزون فيه بعنصريتهم وقوميتهم كباقي الأمم ولم يكن في ذهنه مكان محدد لهذا الوطن فقد وضع عدة أماكن في ذهنه الأرجنتين ـ جنوب أفريقيا ـ فلسطين.

غير أن اختياره وقع فيما بعد على فلسطين ليستقطب إليها محبي صهيون ويبعث الحياة في نصوص التوراة القائلة بالأرض الموعودة بعد أن عفى عليها الدهر[2].

غير أن فلسطين فقط لم ترو غليل الصهيونية الثائرة الطامعة فتطلعت ـ كما ذكرت سابقاً ـ الى تكوين حكومة عالمية تسيطر على العالم أجمع وتحكمه وهي في سبيل تحقيق هذه الغاية والهدف ترتكب شتى الموبقات شعارها في ذلك الغاية تبرر الوسيلة، وبروتوكولات حكماً صهيون أصدق شاهد على هذا فقد ورد في البروتوكول الخامس ما نصه (إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل)[3].

(١) لأحمد شلبي ص ١٢٦ نقلاً عن كتاب يقظة العالم اليهودي لـ إيلي ليفي أبو عسل.

(٢) أنظر كتابه ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية ص ٧ ـ ٨ ـ ١٠ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م إصدار دار الشروق القاهرة.

(٣) أنظر الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٧٧ وهي ترجمة للطبعة الإنجليزية الخامسة قام بترجمتها الى العربية محمد خليفة التونسي ١٩٧٦ م إصدار مكتبة دار التراث القاهرة.

وتوضح البروتوكولات مخططاتهم الرامية الى نشر الفساد والإنحلال الخلقي بين كافة الشعوب والأمم وكيفية شرائهم لضمائر الحكومات وبذر جذور الخلافات وإذكاء نار الحرب بين الدول والسيطرة على الاقتصاد العالمي.

وما الماسونية[1] عن الصهيونية ببعيد فهي من أفراخها التي وجدت لتحقيق غاية من غايات الصهيونية فقد ورد في البروتوكول الرابع ما نصه (إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا)[2].

هذا وقد أوجدت الصهيونية بالإضافة الى الجمعيات الماسونية أندية الروتاري والتي تظهر أن الغرض منها النظر في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية وتقوم في سبيل ذلك بإلقاء الخطب والمحاضرات والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة بينما غرضها الأساسي دس الأعين اليهودية بين الشعوب للحصول على معلومات تفيدهم في تحقيق شتى أغراضهم الإقتصادية والسياسية والصناعية[3]..

(١) هذه الجمعيات لها ظاهر ولها باطن فظاهرها كما يدعي مكاريوس شاهين أنها جمعية أدبية تخدم الإنسانية وتنور الأذهان وتنشر الأخاء وتوطد الحب بين الأعضاء تحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوانهم المحتاجين.
وباطنها كما يقول الحاخام الدكتور اسحاق وأيز أنها مؤسسة يهودية وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروحها إلا أفكار يهودية من البداية الى النهاية.
نقلاً عن كتاب اليهودية لأحمد شلبي ص ٣٣٣.

(٢) أنظر الخطر اليهودي ص ١٧٢.

(٣) أخذ بتصرف من كتاب اليهودية لأحمد شلبي ص ٣٣٦.

الخاتمة

النتائج العامة للبحث

لقد تبين مما سبق في بابي الرسالة ما يلي:

في الباب الأول (موقف القرآن الكريم من التوراة المنزلة):

أولاً: ضرورة اتفاق الكتب الإلهية في عقيدة التوحيد وسائر أركان العقيدة وفي الناحية السلوكية الأخلاقية والدعوة إلى العمل الصالح.

ثانياً: إن التوراة هي الكتاب السماوي الذي أنزله الله على كليمه موسى ـ عليه الصلاة والسلام في طور سيناء مكتوبة بيد الرحمن على ألواح وأنهاوالألواح شيء واحد.

ثالثاً: إنها أنزلت بلغة قوم موسى عليه السلام أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[1] أياً كانت هذه اللغة وإن كنت أميل إلى أنها اللغة المصرية القديمة. وذهب كثير من العلماء الى أنها نزلت باللغة العبرية.

رابعاً: أنها نزلت في فترة الميقات الذي حدده المولى جل شأنه بأربعين يوماً أمر موسى عليه السلام بصيامها.

خامساً: إيضاح مضمون هذه التوراة المنزلة من عدة نواح:

(١) سورة ابراهيم آية ٤.

فمن ناحية العقيدة:

قررت وحدانية الله واستحقاقه للعبادة وحده دونما سواه ودعت إلى عقيدة الإيمان باليوم الآخر وبشرة بنبوة المصطفى - ﷺ - وحددت وصفه ووصف أمته واشتملت على أمور غيبية كالصفات الخبرية مثل أثبات اليد والأصبع للمولى جل شأنه وأمور متعلقة بالساعة وأشراطها والجنة والملائكة وأمور تتعلق بحياة البرزخ وعذاب القبر وفضل يوم الجمعة والساعة المستجابة فيه.

ومن الناحية التشريعية:

تناولت العبادة من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وتناولت الحدود فجعلت حد الشرك والارتداد القتل وحد الزنا الرجم كما قررت القصاص في النفس والجوارح كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢)

كما اشتملت على تحريم شحم كل ذي ظفر من البقر والغنم جزاء بغيهم.

ومن ناحية القصص.

تناولت قصة آدم ومعصيته - وقصة ابني آدم والقرابين التي قدماها كما تناولت دون ريب قصص الأنبياء السابقين كقصة سيدنا نوح وسيدنا ابراهيم وسيدنا لوط وسيدنا يوسف - عليهم وعلى نبينا صلاة الله وسلامه - على نحو ما ورد عنهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

إن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام قد فقدت ولا يعلم أحد بمكانها إلا المولى جلت قدرته.

(٢) سورة المائدة آية ٤٥.

سابعاً: إن العلاقة بين تصديق القرآن الكريم لما بين يديه من الكتب السماوية وهيمنته عليها وثيقة الصلة وإن القرآن الكريم جاء مصدق لما جاء في التوراة المنزلة من الحق ومهيمنا وشاهداً ورقيباً عليها من حيث المحافظة عليها وإبقاؤها على ما أنزلت عليه أو إلحاق بعض التغيير والتبديل عليها.

ثامناً: إن القرآن الكريم هو الميزان الذي نزن به ما ورد في الكتب السماوية السابقة من حق ورشاد أو ما حرف من غي وضلال.

تاسعاً: إن تفضيل القرآن الكريم على ما عاداه من الكتب لكونه معجزة في لفظه ومعناه ولكونه ناسخاً لشريعة التوراة المنزلة وغيرها من الشرائع السابقة.

وفي الباب الثاني (موقف القرآن الكريم من التوراة التي بأيدي اليهود) أوضحت القضايا التالية:

أولاً: إن بين أيدي اليهود اليوم نسختين من التوراة توراة عبرية وأخرى سامرية وكلاهما مكون من خمسة أسفار هي التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية وأن هنالك خلافاً بين هاتين النسختين في العقيدة والشريعة والقصص على النحو الذي اتضح في صلب الرسالة.

ثانياً: إن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم نتيجة لما وقع فيها من تحريف وتغيير تختلف مع التوراة المنزلة بأنها تعود في تدوينها الى أربعة مصادر مختلفة هي المصدر اليهوي والمصدر الأيلوهيمي والمصدر الكهنوتي ومصدر تثنية الشريعة زد على ذلك الأخطاء التي ملئت بها ترجماتها وبخاصة الترجمة العربية.

ثالثاً: إن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم مليئة بالتحريف بشهادة القرآن الكريم والسنة المطهرة وشهادة أهل الكتاب

أنفسهم وبمطالعة هذه التوراة نجد أن هذا التحريف شمل اللفظ والمعنى في آن واحد.

رابعاً: أن هنالك أدلة تاريخية على وقوع التحريف في التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب وأخرى موضوعية تثبت لنا وقوع التحريف في مجال العقيدة والشريعة والقصص والعلم كما اتضح لنا ذلك في موضعه.

خامساً: إن لهذا التحريف بواعث وأهدافاً منبعها مادية النفسية اليهودية وتعلقها بالأرضيات.

سادساً: من خلال عرض محتوى الرسالة في بابيها نستطيع القول بأن النتيجة الواضحة لذلك هي أن التوراة التي بأيدي أهل الكتاب سفر حوى ضئيل حق مازجة كثير من الباطل لذلك قال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم والهنا والهكم واحد»[١].

يقول ابن حجر العسقلاني في تفسيره لهذا الحديث «أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج. ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه»[٢].

سابعاً: إن هذه الخاتمة توضح لنا موقف القرآن الكريم من التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم وهي بالتالي توضح لنا منهجنا كَمسلمين حيال ما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب منسوبة الى السماء فما كان موافقاً لكتابنا صدقناه وما كان مخالفاً كذبناه وما لم يرد فيه تصديق أو تكذيب توقفنا فيه كما ذكر العلماء مخافة أن نؤمن بباطل أن نكذب بحق.

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٩٣، ج ٦ ص ٢٥.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ١٧٠.

وأخيراً أسأل الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث الأمة الإسلامية وكل من لـه عقل حصيف من أهـل الكتاب وأن يجعـل عملي هذا خـالصاً لـوجهه الكريم. . . وإني لاستغفر الله عز وجل ممّا أكون قد أخطأت فيه أو لم يحالفني فيه الصواب، والله وحده هو حسبي ونعم الوكيل. وآخـر دعوانـا أن الحمد لله رب العالمين. . .

فهرس
الآيات القرآنية

فهرس
الأحاديث النّبويّة

يا معشر اليهود ويلكم صحيح البخاري ج ٥ ص ٧٩ ـ ٨٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير

١ ـ الألوسي: أبي الفضل شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ). تفسير روح المعاني طبع إدارة الطباعة المنيريه. دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، التاريخ (بدون.

٢ ـ البرسوي: الشيخ اسماعيل حقي (ت ١١٣٧ هـ). تفسير روح البيان. إصدار دار احياء التراث العربي بيروت، التاريخ [بدون].

٣ ـ البغوي: أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦). تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل. وهو بهامش تفسير الخازن. الطبعة الثانية. مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

٤ ـ البقاعي: برهان الدين ابراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ). حاشية نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ الطبعة الأولى: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٥ ـ الجمل: سليمان بن عمر العجيلي الشافعي (ت ١٢٠٤ هـ). الفتوحات الإلهية بتوضيح الجلالين للدقائق الخفية. إصدار دار إحياء التراث العربي بيروت، التاريخ [بدون].

٦ ـ الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (ت ٧٢٥ هـ). تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. الطبعة الثانية مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

٧ ـ خان: صديق حسن. فتح البيان في مقاصد القرآن تفسير سلفي أثري

خال من الاسرائيليات والخرافات. القاهرة: مطبعة العاصمة، التاريخ [بدون].

٨ - رضا: محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار. الطبعة الثانية بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، التاريخ [بدون].

٩ - زاده: محيي الدين شيخ. حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي. تركيا المكتبة الإسلامية، التاريخ [بدون].

١٠ - الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، التاريخ [بدون].

١١ - السيوطي: الإمام عبد الرحمن بن الكمال بن جلال الدين (ت ٩١١ هـ). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

١٢ - الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ). فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير. الناشر محمد العلي بيروت توزيع دار الباز مكة المكرمة.

١٣ - الطبري: أبي جعفر بن جرير (ت ٣١٠ هـ). جامع البيان في تفسير القرآن بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

١٤ - العمادي: قاضي القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد (ت ٩٥١ هـ) تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، التاريخ [بدون].

١٥ - الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٦٠ هـ). التفسير الكبير الطبعة الثانية. طهران دار الكتب العملية، التاريخ [بدون].

١٦ - القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. الطبعة الثانية بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٣٧٢ هـ/

١٩٥٢ م.

١٧ ـ قطب: سيد. في ظلال القرآن. الطبعة السادسة. بيروت ـ القاهرة: دار الشروق ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١٨ ـ ابن كثير: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤) تفسير القرآن العظيم. الطبعة الأولى. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م.

١٩ ـ المراغي: أحمد مصطفى. تفسير المراغي. الطبعة الثالثة. شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م.

ثالثاً: علوم القرآن

٢٠ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية. الطبعة الثانية: الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

٢١ ـ الزرقاني: محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. الطبعة الثالثة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، التاريخ [بدون].

٢٢ ـ الزركشي: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٠ م.

٢٣ ـ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن. الاتقان في علوم القرآن. الطبعة الرابعة بمصر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٢٤ ـ الصابوني: الشيخ محمد علي. التبيان في علوم القرآن. الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٢٥ ـ الصالح: الدكتور صبحي (ت ١٤٠٧ هـ). مباحث في علوم القرآن. الطبعة التاسعة بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٧ م.

٢٦ ـ عبد الباقي: محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، التاريخ [بدون].

٢٧ ـ القطان: الشيخ مناع. مباحث في علوم القرآن. الطبعة الثامنة بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

رابعاً: كتب الأحاديث النبوية

٢٨ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل. رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين. الاتحاد الأممي للمجامع العلمية ونشره الدكتور أ. ي. وِنْسنُك أستاذ العربية بجامعة ليدن. مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦ م مطبعة بريل في ليدن سنة ١٩٦٩ م.

٢٩ ـ مفتاح كنوز السنة. وضعه الدكتور أ. ى. فنسنك. ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٣٠ ـ الأزدي: الإمام الحافظ أبي داود سليمان أبي الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ). سنن أبي داود. راجعه محمد محيى الدين عبد الحميد. دار إحياء السنة النبوية. التاريخ [بدون].

٣١ ـ البخاري: الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. طبع على وفق النسخة السلطانية سنة ١٣١٣ هـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، التاريخ [بدون].

٣٢ ـ الترمذي: أبي عيسى بن سوره (ت ٢٧٩ هـ). الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. بيروت: دار احياء التراث العربي، التاريخ [بدون].

٣٣ ـ الإحسان: بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت مركز الخدمات والأبحاث الثقافية الطبعة الأولى. بيروت: دا الكتب العلمية ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٣٤ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي الطبعة الرابعة بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٣٥ ـ الدارمي: الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ) سنن الدارمي. القاهرة: دار الفكر ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٣٦ ـ دراز: الدكتور محمد عبد الله. المختار من كنوز السنة النبوية. الطبعة الثالثة مصر: عُني بنشرة عبد الله بن ابراهيم الأنصاري مدير الشئون الدينية بدولة قطر. وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

٣٧ ـ العسقلاني: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر، التاريخ [بدون].

٣٨ ـ العيني: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ) عُمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي، التاريخ [بدون].

٣٩ ـ ابن القيم: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) زاد المعاد في هُدى خير العباد. تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط. الطبعة الثامنة. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ مكتبة المنار الإسلامية الكويت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٤٠ ـ ابن ماجة: الإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧/ ٢٧٥ هـ). سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع التاريخ [بدون].

٤١ ـ النسائي: الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر. سنن النسائي. بيروت: دار الكتب العلمية، التاريخ [بدون].

٤٢ ـ النيسابوري: الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت

٢٦١ هـ) صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. الطبعة الثانية بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٩٧٢ م.

٤٣ ـ النيسابوري: أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم. المستدرك على الصحيحين في الحديث. مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع، التاريخ [بدون].

خامساً: كتب العقائد والديانات

٤٤ ـ ابراهيم: الدكتور صلاح عبد العليم. العقيدة في ضوء القرآن الكريم. الطبعة الأولى مكتبة الأزهر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

٤٥ ـ أحمد: ابراهيم خليل. محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن. الطبعة الخامسة. مكتبة الوعي العربي، التاريخ [بدون].

٤٦ ـ أحمد: القاضي عبد الجبار. شرح الأصول الخمسة. تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن هاشم تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الأولى القاهرة: مكتبة وهبه ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م.

٤٧ ـ الأورشليمي: الحبر اسرائيل بن شموئيل. الرسالة السبعينية بأبطال الديانة اليهودية مطبعة الفجالة. مكتبة الجهاد الكبرى، التاريخ [بدون].

٤٨ ـ الباجي: علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الشافعي (ت ٧١٤ هـ) على التوراة كتاب في نقد التوراة اليونانية. تحقيق: أحمد حجازي السقا. الطبعة الأولى بالقاهرة: مطبعة الحلبي. الناشر دار الأنصار ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٤٩ ـ التفتازاني: سعد الدين. شرح المقاصد. تركيا: دار الطباعة، ١٢٧٧ هـ.

٥٠ ـ ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) النبوات. دار الفكر، التاريخ [بدون].

٥١ ـ ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن

عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) شرح العقيدة الأصفهانية. قدم له وعرف به حسين مخلوف حسنين دار الكتب الحديثة، التاريخ [بدون].

٥٢ - راشد: الدكتور سيد فرج. السامريون واليهود. الطبعة الأولى الرياض: دار المريخ ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٥٣ - حجازي: عوض الله جاد. مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. الطبعة الثانية القاهرة: دار الطباعة المحمدية ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٥٤ - ابن حزم: الإمام أبي محمد علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل. الطبعة الثانية بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

٥٥ - دروزة: محمد عزه. تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم. الطبعة الثالثة صيدا - بيروت منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٥٦ - السقا: الدكتور أحمد حجازي. من الفروق بين التوراة السامرية والعبرية في الألفاظ والمعاني. الطبعة الأولى دار الأنصار، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٥٧ - شتيوى: محمد شلبي. التوراة مقارنة وتحليل. الطبعة الأولى. الكويت: مكتبة الفلاح ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٥٨ - الشريف: الدكتور محمود. الشعب الملعون في القرآن. الطبعة الثانية. دار مكتبة الهلال، ١٩٨٢ م.

٥٩ - شلبي: الدكتور أحمد. مقارنة الأديان اليهودية. الطبعة الخامسة القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨ م.

٦٠ - الشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ). الملل والنحل. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٦١ ـ التوراة السامرية ـ النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية. ترجمة: الكاهن السامري أبو الحسن اسحاق الصوري. نشرها وعرف بها أحمد حجازي السقا. الطبعة الأولى بمصر: مطبعة دار البيان ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٦٢ ـ طعيمة: الدكتور صابر. التراث الاسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه. الطبعة الأولى بيروت: دار الجيل ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٦٣ ـ ظاظا: الدكتور حسن. الفكر الديني اليهودي. الطبعة الثانية دار القلم للطباعة والنشر دمشق ـ دار العلوم للطباعة والنشر بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٦٤ ـ ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ). هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى. مصر: المكتبة القيمة، ١٣٩٨ هـ.

٦٥ ـ عبده: الشيخ محمد. رسالة التوحيد. الطبعة الثالثة بيروت: دار إحياء العلوم ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٦٦ ـ العطار: الشيخ أحمد عبد الغفور. الكتب المقدسة. لم يزل مخطوط بيد المؤلف ولم يطبع بعد.

٦٧ ـ العطار: الشيخ أحمد عبد الغفور. الديانات والعقائد في مختلف العصور. الطبعة الأولى بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٦٨ ـ علي: فؤاد حسنين. التوراة الهيروغليفية. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، التاريخ [بدون].

٦٩ ـ العقاد: عباس محمود. الله. كتاب في نشأة العقيدة الإلهية. القاهرة: دار المعارف.

٧٠ ـ المغربي: السموأل بن يحيى بن عباس. بذل المجهود في إفحام اليهود. تقديم محمد أحمد الشامي، القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة، التاريخ [بدون].

٧١ ـ ناصيف: عصام الدين حفني. محنة التوراة على أيدي اليهود. الطبعة الأولى القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٦٥ م/ ١٣٨٥ هـ.

٧٢ ـ الهندي: الشيخ رحمة الله بن خليل بن الحكيم الكيرانوى (ت ١٣٠٨ هـ). إظهار الحق. تحقيق وتعليق أحمد حجازي السقا. القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر ١٩٧٧ م.

٧٣ ـ وافي: الدكتور علي عبد الواحد. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. الطبعة الثانية القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

سادساً: كتب التاريخ

٧٤ ـ التاريخ العربي القديم والسيرة النبوية للصف الأول المتوسط قام بوضعه جماعة من المختصين الطبعة الثامنة ١٤٠٦ هـ.

٧٥ ـ ابن الأثير: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ). الكامل في التاريخ. الطبعة الثالثة بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

٧٦ ـ خان: ظفر الإسلام. تاريخ فلسطين القديم ١٢٢٠ ق. م. ـ ١٣٥٩ م منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي. الطبعة الثالثة بيروت: دار النفائس ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٧٧ ـ سوسة: الدكتور أحمد. العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية. الطبعة الثانية. دار العربي للإعلان والنشر والطباعة، التاريخ [بدون].

٧٨ ـ الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ). تاريخ الأمم

والملوك المسمى بتاريخ الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. الطبعة الثانية بيروت: دار سويدان ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

٧٩ ـ ابن كثير: الإمام أبي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ). قصص الأنبياء الطبعة الأولى القاهرة: دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٨٠ ـ ابن كثير: الإمام أبي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ). البداية والنهاية الطبعة الثانية. بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٧ م.

٨١ ـ هيكل: يوسف. فلسطين قبل وبعد. الطبعة الأولى بيروت: دار الكتب، دار العلم للملايين ١٩٧١ م.

سابعاً: كتب اللغة ومعاجمها

٨٢ ـ الأزهري: أبي منصور. تهذيب اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار القومية العربية للطباعة والنشر ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

٨٣ ـ بدر: محمد. الكنز في قواعد اللغة العبرية. القاهرة المطبعة التجارية الكبرى، التاريخ [بدون].

٨٤ ـ البستاني: المعلم بطرس. محيط المحيط. بيروت: مطابع مؤسسة جواد للطباعة التاريخ [بدون].

٨٥ ـ البستاني: المعلم بطرس. قطر المحيط. نسخة طبق الأصل بطريقة الأوفست نقلاً عن طبعة ١٨٦٩ م مكتبة لبنان.

٨٦ ـ الجوهري: اسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الثانية بيروت: دار العلم للملايين ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٨٧ ـ الزبيدي: محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. الطبعة الأولى مصر: المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٦ هـ.

٩٨ ـ جارودي: روجيه. ملف اسرائيل دراسة للصهيونية السياسية. ترجمة: د. مصطفى كامل فودة. الطبعة الثانية القاهرة: دار الشروق ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٩٩ ـ حتى: الدكتور فيليب. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين. ترجمة: د. جورج حداد عبد المنعم رافق الطبعة الثانية بيروت: دار الثقافة ١٩٧٥ م.

١٠٠ ـ ديب: سهيل. التوراة بين الوثنية والتوحيد. الطبعة الأولى بيروت: دار النفائس ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

١٠١ ـ سنقراط/ داود عبد العفو. جذور الفكر اليهودي. الطبعة الثانية. مطبعة النور النموذجية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

١٠٢ ـ سبنوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة. ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي مراجعة د. فؤاد زكريا الطبعة الثانية بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٨١ م.

١٠٣ ـ شنوده: زكي. المجتمع اليهودي. القاهرة مكتبة الخانجي.

١٠٤ ـ مكاريوس: شاهين بك. تاريخ الاسرائيليين. مصر: مطابع المقتطف ١٩٠٤ م.

١٠٥ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة: يوسف حنا نصر. الطبعة الثانية بيروت: سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م. بدون ذكر اسم دار النشر.

١٠٦ ـ ولفنسون: د. اسرائيل. تاريخ اللغات السامية. الطبعة الأولى بمصر: مطبعة الاعتماد ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩ م.

١٠٧ ـ قاموس الكتاب المقدس. تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين من منشورات مكتبة المشعل في بيروت. بإشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الأوسط الطبعة السادسة ١٩٨١ م.

تاسعاً: مراجع عامة

١٠٨ ـ ابراهيم: الدكتور صلاح عبد العليم. الإنسان في القرآن الكريم المبدأ والمصير. الطبعة الأولى القاهرة: مطبعة الفجالة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

١٠٩ ـ البخاري: الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد (ت ٧٣٠ هـ) كشف الأسرار أصول فخر الإسلام البزودي. بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

١١٠ ـ ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية. إصدار دار الفكر للطباعة والنشر التاريخ [بدون].

١١١ ـ الجندي: الأستاذ أنور. الإسلام والدعوات الهدامة المخططات التلمودية. نشر دار الكتاب اللبناني العدد ٣ الموسوعة الإسلامية العربية.

١١٢ ـ ابن حزم: الحافظ أبي محمد علي الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) الأحكام في أصول الأحكام. القاهرة مطبعة العاصمة. الناشر زكريا علي يوسف. التاريخ [بدون].

١١٣ ـ مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى. جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد.
اصدار رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد. مطابع دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٣٩٨ هـ.

١١٤ ـ الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة: محمد خليفة التونسي. ترجمة للطبعة الانجليزية الخامسة. القاهرة: مكتبة دار التراث ١٩٧٦ م.

١١٥ ـ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (٥٤٤/ ٦٠٦ هـ) المحصول في علم أصول الفقه دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض

العلواني. الطبعة الأولى طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

١١٦ ـوسلان: الدكتور صلاح بسيوني. القرآن الحكيم رؤية منهجية لمباحث القرآن. دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨١ م.

١١٧ ـوضا: محمد رشيد. الوحي المحمدي. الطبعة التاسعة بيروت: المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

١١٨ ـالأسنوي: الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الشافعي (ت ٧٢٢ هـ) نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي. ومعه حواشيه المفيدة (سلم الوصول لشرح نهاية السول). عُنيت بنشره جمعية الكتب العربية بالقاهرة عام ١٣٤٥ هـ.

١١٩ ـالشهرستاني: أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ) نهاية الإقدام. تحقيق وتصحيح الفروجيوم. بغداد مكتبة المثنى. التاريخ [بدون].

١٢٠ ـالشوكاني: محمد بن علي بن محمد (١٢٥٥ هـ). ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، وبهامشه شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي على شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي على «الورقات في الأصول» لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨ هـ) الطبعة الأولى بمصر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م.

١٢١ ـالعتر: الدكتور حسن ضياء الدين. بينات المعجزة الخالدة. الطبعة الأولى حلب: دار النصر ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

١٢٢ ـالعتر: الدكتور حسن ضياء الدين. وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين. مكة إدارة الصحافة والنشر، التاريخ [بدون].

١٢٣ ـالعتر: الدكتور حسن ضياء الدين. نبوة محمد ﷺ في القرآن. الطبعة الأولى حلب: دار النصر، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

١٢٤ ـالغزالي: الإمام أبي حامد محمد بن محمد. المستصفى من علم الأصول. الطبعة الأولى بمصر. المطبعة الأميرية ١٣٢٢ هـ.

١٢٥ ـالغزالي: الإمام أبي حامد محمد بن محمد. المنقذ من الضلال. وهو في هامش كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل لابراهيم الجيلاني. الطبعة الثانية بمصر: المطبعة الأزهرية ١٣٢٨ هـ.

١٢٦ ـالفراء: أبي يعلى محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ) العُدّة في أصول الفقه حققه وعلق عليه وخرج نصه الدكتور أحمد بن سير المباركي. الطبعة الأولى بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١٢٧ ـابن قيم الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب سعد الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد حامد الفقي. الطبعة الثانية بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

١٢٨ ـابن قيم الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب سعد الزرعي الدمشقي. (ت ٧٥١ هـ) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق محمد حامد الفقي. مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.

١٢٩ ـالماوردي: أبي الحسن علي بن محمد الشافعي. إعلام النبوة. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان التاريخ [بدون].

١٣٠ ـابن النديم: الفهرست لابن النديم. دار الطباعة للنشر بيروت، التاريخ [بدون].

١٣١ ـهراس: محمد خليل. ابن تيمية السلفي. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

عاشراً: الموسوعات ودوائر المعارف

١٣٢ ـ التهانوي: الشيخ المولوي محمد علي بن علي التهانوي. موسوعة اصطلاحان العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون بيروت شركة خياط للكتب ١٩٦٦ م.

١٣٣ ـ حفني: الدكتور عبد المنعم. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية. الطبعة الأولى بيروت مؤسسة المطبوعات العربية ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

١٣٤ ـ الشرباصي: الدكتور أحمد. موسوعة أخلاق القرآن. الطبعة الأولى بيروت: دار الرائد العربي ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

١٣٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة. بإشراف محمد شفيق غربال. إصدار دار الشعب القاهرة. ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

١٣٦ ـ دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي. الطبعة الثالثة بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٩٧١ م.

١٣٧ ـ الموسوعة البريطانية الجديدة تأسست عام ١٧٦٨ م إصدار جامعة شيكاغو الطبعة الخامسة عشر ١٩٧٥ م. الولايات المتحدة الأمريكية.

١٣٨ ـ الحموي: الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦١٦ هـ). معجم البلدان. إصدار دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

الفهرس